الشعر في بلاط عبد الرحمن الناصر

إعداد

سوزان عبد الفتاح الحولي

المشرف

الأستاذ الدكتور صلاح جرّار

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في

اللغة العربية و آدابها

كلية الدراسات العليا
الجامعة الأردنية

آب، ٢٠٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الجـــامعة الأردنيـــة

نموذج التفويض

أنا الطالبة: سوزان عبد الفتاح محمد الحولي ورقمي الجامعي: "٨٠٣١٢١٣" أفــوض الجامعـــة الأردنية بتزويد نسخ من رسالتي للمكتبات أو المؤسسات أو الهيئات أو الأشخاص عند طلبها.

التوقيع:
التاريخ: ٣٠ /٧/٢٠٠٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرار لجنة المناقشة

نوقشت هذه الرسالة "**الشعر في بلاط عبد الرحمن الناصر**" وأجيزت بتاريخ : ٣٠/٧/ ٢٠٠٧م.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيع
الدكتور صلاح محمد جرّار، مشرفاً أستاذ الأدب الأندلسي	.....
الدكتور عبد الكريم أحمد الحياري، عضواً أستاذ النقد الأدبي	.....
الدكتور محمد علي أبو حمدة، عضواً أستاذ البلاغة	.....
الدكتور يونس شنوان شديفات، عضواً أستاذ الأدب الأندلسي (جامعة اليرموك)	.....

تعتمد كلية الدراسات العليا
هذه النسخة من الرسالة
التوقيع.....التاريخ.....

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الإهـــداء

إلى زوجي الغالي الدكتور مراد .

لمّا رأيْتُ العلم أنفسَ بضاعة ، فلا يليق التقديم والإهداء إلا إليك، لأنك النور الذي يملأ عيني، والشمعة المضيئة في حياتي، قسيمي في تحمـــل أعبـــاء رحلـــة البحـــث الكؤود، فما هذا العمل إلا من ثمـــار صـــبرك، فهنيئـــاً مريئاً لك حلوه.

إلى ولديَّ العزيزين معتصم ومالك .

لأنكما قرة عيني ... وسكن نفسي ... ورياحين حيـــاتي ... فلذات كبدي ... لأنكما نبضٌ في قلبـــي أناديـــه ... لأنكما أملي وفي المستقبل ساعديّ، فأنا باســـم المحبـــة والأمومة أهديكما، فكل جهدي إليكما.

سوزان الحولي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

شكر وتقدير

لا يكون الحمد والثناء إلا لله ــ تعالى ــ الذي من عليّ بنعمة العلم، واصطفاني من النــاس لأكون قريبة منه بهذا العلم، فلا يخشى الله ــ تعالى ــ من عباده إلا العلمــاءُ، فأحمــده حمــداً كثيراً، وأسأله أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي، وميزان كل من مد يد العون لي.

ثم يطيب لي في هذا المقام أن أزجي فائق الشكر وعميق العرفان إلى الأستاذ الدكتور صلاح جرار، لما أولانيه من حسن رعايته، حيث أفاض عليّ من علمه ووقته ما لا يسعني تقديره حــق قدره.

والشكر الجزيل للدكتور محمد صبحي؛ لتقديمه يد العون لي من خلال توفير الكتب اللازمــة لهذه الدراسة من مكتبته الخاصة، فبارك الله فيه وجزاه عني خير الجزاء.

كما لا يفوتني أن أقدم الشكر الجزيل لأعضاء هيئة المناقشة الــذين أثــروا هــذه الرســالة بنصائحهم التي زادت هذا العمل قوة وعلماً، فالشكر كله لهم.

كما لا يفوتني أن أشكر كل مَن أسدى لهذا العمل يداً ولو كانت مثقال حبة من خردل، فكــل الشكر أيضاً إلى الصديقتين الوفيتين سوزان أبو السعود، وسهام العرتوفي.

وكذلك الشكر الموصول إلى الأخ محمد الحولي "أبو عمر" الذي لم يتوانَ لحظة عن تقديم يد العون والمساعدة لي، فجزاه الله كل الخير.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
قرار لجنة المناقشة	ب
الإهداء	ج
شكر و تقدير	د
فهرس المحتويات	هـ
ملخص الرسالة باللغة العربية	و
المقدمة	١
الفصل الأول: العوامل المؤثرة في الحياة الأدبية	٦
المبحث الأول: العوامل السياسية	٨
المبحث الثاني: العوامل الاجتماعية	١٢
المبحث الثالث: العوامل الثقافية	١٥
المبحث الرابع: دور المرأة في الحياة الأدبية	١٩
الفصل الثاني: الأغراض الشعرية التي سادت لدى شعراء عبد الرحمن الناصر	٢١
المبحث الأول: الشعر الحربي والسياسي	٢٢
المطلب الأول: مدح الناصر	٢٢
المطلب الثاني: وصف الغزوات	٣١
المطلب الثالث: التهنئة بالنصر	٣٨
المبحث الثاني: الشعر الإخواني	٤٠
المطلب الأول: المراسلات الشعرية	٤٠
المطلب الثاني: الهجاء	٤٩
المبحث الثالث: الشعر الوجداني	٦٠
المطلب الأول: الغزل	٦٠
المطلب الثاني: الرثاء	٧٠
المطلب الثالث: الفخر	٧٥
المبحث الرابع: الشعر الديني	٨١
المبحث الخامس: وصف البيئة الأندلسية	٨٦
المطلب الأول: وصف الطبيعة	٨٦
المطلب الثاني: وصف الثمار	٩٥
المطلب الثالث: وصف البساتين	٩٨
المطلب الرابع: وصف الحمام و هديله	٩٩
المطلب الخامس: وصف القصور	١٠١
المطلب السادس: وصف الأدوات	١٠٣
الفصل الثالث: الخصائص الفنية للشعر في بلاط عبد الرحمن الناصر	١٠٧
المبحث الأول: اللغة والأسلوب	١٠٨
المبحث الثاني: الصورة الشعرية	١١٥
المبحث الثالث: الإيقاع الموسيقي	١٢٥
الخاتمة	١٣٢
المصادر و المراجع	١٣٤
الملخص باللغة الإنجليزية	١٤٣

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر في بلاط عبد الرحمن الناصر

إعداد

سوزان عبد الفتاح محمد الحولي

المشرف

أ.د. صلاح جرّار

ملخص

تهدف هذه الرسالة إلى دراسة الشعر في بلاط عبد الرحمن الناصر، و التوصل إلى الأنماط الشعرية التي سادت في زمنه، أي من سنة ٣٠٠ -٣٥٠هـ.

و استقصت هذه الدراسة العوامل المؤثرة في الحياة الأدبية زمن عبد الرحمن الناصر، سواء كانت تلك العوامل سياسية، أو اجتماعية، أو ثقافية، أو اقتصادية، كما أبرزت دور المرأة في تلك الحياة. و كشفت هذه الدراسة عن الأغراض الشعرية زمن عبد الرحمن الناصر، فكان منها شعر حربي، اشتمل على (وصف الغزوات، و مدح الناصر، و التهنئة بالنصر)، و شعر إخواني، اشتمل على (المراسلات الشعرية، و الهجاء)، و شعر وجداني اشتمل على (الغزل، و الرثاء، و الفخر). و شعر ديني يتحدث عن (الزهد)، و شعر وصف البيئة الأندلسية و اشتمل على (وصف الطبيعة، وصف الثمار، وصف البساتين، وصف القصور، وصف الحمام و هديله، وصف الأدوات). وبعد حصر الأنماط الشعرية قامت الدراسة بمناقشة الخصائص الفنية لذلك الشعر من حيث اللغة و الأسلوب، و الصورة الشعرية، ثم الإيقاع و الموسيقا.

توصلت هذه الدراسة إلى عدة استنتاجات من أبرزها رعاية الناصر الكبيرة لنهضة الشعر، كما كشفت عن الثقافة التقليدية للشرق و أثرها في الشعر الأندلسي في تلك الفترة. كما توصلت هذه الدراسة إلى أن هذه المرحلة مرحلة نور وإشراق أدبي متميز، فقد رأينا نماذج شعرية عالية المستوى متنوعة الأغراض عند الشعراء، رغم كثرة الحروب وتواليها. و كشفت الدراسة عن عمق الإحساس و صدقه وعمق التجربة في الشعر الوجداني و تأثر لغة الغزل بالحياة الأندلسية المتحضرة، فاستلهمت منها صوراً و عبارات قد لا نجد مثيلاً لها في الغزل القديم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المقدمة:

إن البحث في الأنماط الشعرية التي برزت في بلاط شخصية تاريخية يعدُّ عملاً دقيقاً، و قد جاء الالتفات في هذه الدراسة إلى عبد الرحمن الناصر الذي حكم الأندلس خمسين عاماً متواصلة ٣٠٠-٣٥٠هـ، و الذي يُعدُّ نموذجاً دالاً على الحضارة و الإنجاز، حيث شهدت الأندلس في عهده صورةً مشرقة من صور الازدهار الحضاري و الثقافي و الأدبي، و الذي تمثل في كثرة العلماء و الشعراء و تنوع مجالات المعرفة.

و قد كان عصر الناصر أبهى عصور الزمان الأندلسي و أرفعه شأناً و أعلاه مكانة، و أكثره ازدهاراً في كل الميادين، مما دفعني إلى دراسة زمنه دون تردد، و رغبة في معرفة المزيد عن أسرار تلك الشخصية، كما دفعني إلى دراسة تلك الحقبة انتكاسات الأمة العربية و الإسلامية، فقد واجهت تلك الأمة أشكالاً مختلفة من الاستخفاف و الاستضعاف و الاحتلال بصورة متزايدة، لا تحمل أي أمارة على نهاية تلك المهزلة، فواجب كل ذي عقل و رأي في هذه الأمة أن ينقب عن اللحظات المضيئة في تاريخ الأمة و ذاكرتها، مما يساعد على اكتشاف أسباب النهوض و الوقوف عليها، لمواجهة الأخطار و التحديات و تجاوز المحن و الانتكاسات.

و في العهد الأموي في الأندلس و خصوصاً عهد الناصر ما يستحق النظر بل التأمل و الدراسة، لعل هذا التقدم و النهوض يزرع الأمل في النفوس المنكسرة، المحبطة، اليائسة.

إلا أنني عانيت الكثير في أثناء عودتي إلى المصادر الأساسية للأدب الأندلسي، لعدم وجود بعضها في المكتبات، و إن وجدت؛ فإنها تكون على شكل مصادر لا يسمح بإعارتها.

- **أهداف الدراسة.**

توجه الدراسة عنايتها للإجابة عن الأسئلة التالية:

- ما دور عبد الرحمن الناصر في رعاية الشعر و الشعراء في زمنه ؟
- ما أبرز موضوعات الشعر الأندلسي في عهد عبد الرحمن الناصر ؟
- ما أهم خصائص هذا الشعر ؟
- كيف استطاع الشعر الأندلسي أن يستوعب النهضة الكبيرة التي شهدتها الأندلس في زمن الناصر وتمثلها؟

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- هل كان للحياة الأدبية في الأندلس أيام عبد الرحمن الناصر أثر في ظهور فن الموشحات ؟

إلى أسئلة أخرى ستتضح أثناء الدراسة.

الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة متخصصة عن الحركة الشعرية في بلاط عبد الرحمن الناصر تحديداً، لكني عثرت على دراسات تناولت الأدب زمن الحكم الأموي في الأندلس بعامة، ومن هذه الدراسات:

١. **تاريخ الأدب الأندلسي/ عصر سيادة قرطبة،** لإحسان عباس.

و مما تناوله هذا الكتاب؛ الشعر الأندلسي و عوامل نشأته و تطوره في بيئته السياسية و الاجتماعية، و أثر الفتنة البربرية فيه، كما أنه تعرض لأشهر الشعراء الأندلسيين في العصر الأموي، غير أن هذا الكتاب ليس مختصاً بعصر عبد الرحمن الناصر على وجه التحديد، بل تعرض لبعض جوانب الأدب في زمنه باقتضاب. أما دراستي؛ فدرست الشعر دون النثر و في زمن الناصر تحديداً.

٢. ومن الدراسات التي تناولت شعر هذه الحقبة **الأصول الفنية للشعر الأندلسي/ عصر الإمارة،** لسعد شلبي.

و يدرس فيه الأصول الفنية للشعر الأندلسي عند المتشاعرين ثم الشعراء، و يحدد اتجاهات الشعر المحافظة و المجددة و أسبابها و مظاهرها ثم يقدم دراسة فنية تطبيقية لأعلام الشعراء في عصر الإمارة، و بما أن فترة حكم عبد الرحمن الناصر قد شملت شطراً من عصر الإمارة و شطراً من عصر الخلافة، فإن سعد شلبي لم يتناول من الشعر في زمن الناصر إلا بعض ما اتصل بعصر الإمارة فقط. لكنّ دراستي شملت عصر الإمارة و الخلافة معاً.

٣. **اتجاهات الشعر إلى نهاية القرن الثالث الهجري،** لمحمود نافع.

و يتناول فيه الشعر الأندلسي و علاقته بالتراث العربي، كما خصص جزءاً من الكتاب للحديث عن الشعراء الأندلسيين، حيث ألقى الضوء على حياة أبرزهم، و تحدث عن تأثر الشعر الأندلسي بالتراث الشعري العربي و ناقش أسباب هذا التأثير و بواعثه و بعض مظاهره، ثم تناول أوجه الشبه بين الشعر الأندلسي و الشعر العربي، إلى أن انتهى إلى كشف الأساليب التي تميّز بها كل اتجاه من اتجاهات الشعر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٤. **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**، أحمد هيكل.

اعتمد هيكل على التقسيمات التاريخية و السياسية في دراسته لحياة الأدب و اتجاهاته في الشعر و النثر، ابتداءً بعهد الولاة، و مروراً بعهد الإمارة، ثم عهد الخلافة فالحجابة العامرية، و يعرض بعدها واقع الأدب في عهد الفتن، و يختم كتابه بفصل عن النثر التأليفي في نهاية العصر الأموي بالأندلس.

فكان هذا الكتاب عاما تناول الشعر و النثر معاً دون الاقتصار على الشعر و على عصر الناصر، فكان الحديث عن الشعر في بلاط عبد الرحمن الناصر عابراً دون تخصيص أو تركيز. لكن دراستي اعتنت بالجانب الشعري و الأغراض الشعرية التي سادت زمن الناصر.

٥ ــ **صلاة في أروقة الزهراء / قراءة في المشهد الحضاري الأندلسي في القرن الرابع الهجري**، صلاح جرار.

وجه هذا الكتاب عنايته في البحث عن مقومات النهضة و عواملها في نموذج حضاري متميز، يتمثل في تجربة الحكم العربي الإسلامي للأندلس، من خلال دراسة مظاهر النهضة في الأندلس في القرن الرابع الهجري، و التي بدت في النهضة السياسية و العسكرية و الاقتصادية و العمرانية و سواها، وبعد ذلك تناولت الدراسة عوامل تلك النهضة، و مقومات نجاحها و انطلاقها، ثم أبرزت جوانب ثقافية أدبية في زمن عبد الرحمن الناصر.

جاء الكتاب مركِّزاً الأضواءَ على جوانب الحضارة و التي تسعى بدورها إلى إبراز الأدب، إلا أنها لم تتعرض لنصوص شعرية واكبت تلك الحضارة، و إنما اكتفت بعرض نماذج نثرية. لكن دراستي اهتمت بالجانب الحضاري و غيره من المظاهر و التي انعكست على الشعر.

٦ ــ **فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني و الثالث الهجري**، حكمة علي الأوسي.

بدأ هذا الكتاب فصوله بإلمامة تاريخية تناولت و بإيجاز عوامل الفتح و ظروفه و تأثيراته في المجتمع الأندلسي في الفترة الواقعة بين القرنين الثاني و الثالث الهجري، و نظراً لما للموشح من أهمية في تاريخ الشعر العربي و تطوره؛ فقد عني هذا الكتاب بالموشح عناية خاصة، و عرض للآراء التي قيلت في نشأته، ثم اختتم هذا الكتاب بفصل عن مظاهر التأثير العربي في الثقافة الإسبانية في محاولة لتوضيح ما تتمتع به الثقافة العربية من فاعلية و تأثير جعلاها تسهم إسهاماً كبيراً في العلوم المختلفة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إلا أن هذا الكتاب جاء عاماً، يعرض الشعر و النثر في تلك الفترة؛ مركزا على الموشح من الشعر دون العناية بفترة الناصر خصوصاً.

٧ ــ **الهجاء في الأدب الأندلسي**، فوزي سعد عيسى.

قام هذا الكتاب على ثلاثة أبواب، فقد عرض في الباب الأول معنى الهجاء، و مفهومه، و مراحل تطوره، و خصص الباب الثاني لاتجاهات الهجاء في الأندلس كالهجاء السياسي، و الاجتماعي، و هجاء العلماء، و هجاء أصحاب المهن، و هجاء التندر و السخرية، أما الباب الأخير فيقف عند الجوانب الفنية للهجاء، و يقع في فصلين، أحدهما عن لغة الهجاء و أساليبه، و الآخر عن صور الهجاء الفنية.

جاء هذا الكتاب يعرض غرضاً من أغراض الشعر في الأدب الأندلسي و هو الهجاء فقط، و لم تخص عصر الناصر إلا كونه جزءاً من الأدب الأندلسي. إلا أن دراستي استوعبت الأغراض الشعرية المختلفة من مدح و غزل و رثاء... والتي ستتضح في أثناء هذه الدراسة.

و من المصادر الأندلسية التي استفادت منها هذه الدراسة: **نفح الطيب** للمقّري، و **المُغْرب** لابن سعيد الأندلسي، و **المُطْرب** لابن دحية الكلبي، و **الذخيرة** لابن بسام، و **الحلة السيراء** لابن الأبّار، و **البيان المُغْرب**، لابن عذاريّ المراكشي، و **المقتبس**، لابن حيان القرطبي، و **جذوة المقتبس** للحميدي، و غيرها من المصادر الأندلسية ذات الأهمية.

و من **الرسائل الجامعية**:

معالم الحضارة في الشعر الأندلسي عصر بني أمية ، فريال العلي، فقد تناولت هذه الدراسة معالم حضارة الأمويين في الشعر منذ تأسيس الإمارة (١٣٨هـ) إلى نهاية الدولة الأموية في الأندلس، فتحدثت عن الأندلسيين الذين عاشوا في الأندلس ما بين عامي (١٣٨-٤٢١هـ) حيث يدخل في هذا التصنيف الشعراء المخضرمون الذين عاصروا زمن الأمويين و ملوك الطوائف، كما تستأنس هذه الدراسة بشعر الشعراء المشارقة الذين وفدوا إلى الأندلس في الحقبة نفسها و خالطوا أهلها و ساهموا بما نظموا من قصائد و مقطوعات شعرية في تسجيل أبرز معالم الحضارة في ذلك.

و في النهاية عرضت لموضوع الحضارة الأموية في القصائد و المقطوعات الشعرية متناولة الأغراض الشعرية و المضامين و اللغة و الأسلوب و الصورة الشعرية، و ناقشت من خلالها أثر الشعر المشرقي في الشعر الأندلسي، و ملامح أندلسية الشعر الذي تناول الحضارة الأموية في عصرها الذهبي.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن هذه الدراسة ليست مختصة بالشعر في بلاط الناصر، إلا أنها عرضت بعض جوانب الحضارة في زمنه و صدى هذه الجوانب في الشعر.

لذلك كانت معظم الدراسات التي تناولت الشعر في عهد الناصر في الغالب عامة و دون التركيز على فترته أو دوره في ازدهار الحركة الشعرية على وجه الخصوص، إذ كانت تلك الدراسات مقتضبة أو عابرة أو في سياق الحديث عن الأدب أو الحضارة في الأندلس.

المنهجية و طرائق البحث:

تنحصر هذه الدراسة في رصد الحركة الشعرية في بلاط الناصر، و موضوعات الشعر المختلفة التي شهدتها الأندلس، ثم تتناول هذه الدراسة قدرة الأساليب الشعرية على حمل القضايا الفكرية و الثقافية و الحضارية.

و قد قامت هذه الدراسة على ثلاثة محاور, أولاً: الحديث عن العوامل المؤثرة في الحياة الأدبية زمن عبد الرحمن الناصر، حيث يركز هذا المحور على المعطيات الثقافية ليضيء طريق الدراسة و يضع عليها الإشارات الضرورية التي قد يقف الباحث عندها، كما يركز على العوامل السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية و سواها.

أما الفصل الثاني: فيتحدث عن الأغراض الشعرية التي سادت لدى شعراء عبد الرحمن الناصر، حيث يعتمد هذا الباب في دراسته على النهج التحليلي في فحص النصوص الشعرية و للكشف عن أبعادها و مضامينها الحضارية المادية و المعنوية و مدى إحاطتها بثقافة العصر الذي تمثله.

و تتناول الدراسة في الباب الثالث الأبعاد الفنية، حيث يستفيد هذا الباب من المنهج الجمالي في بيان الأصول الفنية لتلك النصوص و تعرف سماتها الجوهرية التي تتمثل في خصائص الصورة الفنية، و اللغة و الأسلوب، و الوزن، و الموسيقا.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الأول: العوامل المؤثرة في الحياة الأدبية زمن عبد الرحمن الناصر

و فيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: العوامل السياسية

المبحث الثاني: العوامل الاجتماعية

المبحث الثالث: العوامل الثقافية

المبحث الرابع: دور المرأة في الحياة الأدبية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يعد الزمان كما كان, تدارك الله ــتعالىــ الأندلس بالخليفة عبد الرحمن الناصر، حيث أخمد الفتن، و كبح جِماح الأطماع الأوروبية في الأندلس، في نموذج نادر في الحكم و السياسة و إدارة الأزمات، فحقق الوحدة و الرضا، و حمى الوطن.

أصبحت قرطبة حاضرة الأندلس في القرن الرابع الهجري, فسطعت شمس الأدب و الفكر فيها، و بلغت شأواً عظيما في الفكر و الحضارة و الرقي، فأصبحت فردوس الأندلس، فلله درِّ ذلك الفردوس، ماء و ظل و أنهار و أشجار، يا أهل الأندلس لا تحسبوا بعد ذلك أن تدخلوا ناراً، فليس تدخل بعد الجنّة النار، ــ كما يقول ابن خفاجة [١] ــ.

ذلك الفردوس الذي فرض نفسه منارةً يهتدي بها العلماء، فقد شهدت هذه الحقبة من الزمن نهضة أدبيّة عظيمة نمت و ترعرعت في تربة خصبة، فقد فرضت دولة الأمويين نفسها في السياسة و الحرب و الكلام و الآداب و الفنون و العمارة، و غير ذلك من عناصر الحضارة الأندلسية في ذلك الحين، و قد صوّر الأدب و الشعر خصوصا عظمة الدولة، و قوّة الخلافة، فكان الشعر لسان حق عبّر عن الحياة في تلك الحقبة من الزمن.

و في ظل تلك الظروف المواتية تهيأت لأهل الأندلس أسباب الشِعر، و توافرت لهم دواعيه، فطُبعوا على الشغف به، و انبسطت ألسنتهم بقوله، حتى قلّ أن نجد منهم من ألمّ بطرف من الآداب و لم يقل شعراً.[٢] و في ذلك يقول القزويني في تعريفه لمدينة شلب في الأندلس: "من عجائبها ما ذكره خلق لا يحصى عدهم أنه قلّ من أهل شلب من لا يقول شعراً و يتعاطى الأدب و لو مررت بالحراث خلف فدّانه و سألته الشعر لقرض في ساعته أيّ معنى اقترحت عليه و أيّ معنى طلبت منه صحيحاً[٣]".

تداخلت العوامل و الدواعي في قول الشعر زمن الناصر، إلا أنني اجتهدت في تقسيم تلك العوامل إلى مباحث حسب ما تستدعيه الضرورة إلى:

١ ــ العوامل السياسية

٢ ــ العوامل الاجتماعية

٣ ــ العوامل الثقافية

---

[١] الطباع، عمر فاروق، (١٩٩٤). ديوان ابن خفاجة. بيروت: دار القلم. ص٢٣٦.

[٢] المَقّري، أحمد بن محمد التلمساني، (ت١٠٤١هـ). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**, ٨مج، (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر, بيروت, ١٩٨٦م. ج٢، ص١١٤٨-١١٦٧.

[٣] القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الأنصاري, (ت٦٨٢هـ), **آثار البلاد وأخبار العباد**, دار صادر, بيروت, ١٩٩٨م. ص٥٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالإضافة إلى ذلك لا نستطيع أن نغفل عن دور المرأة في تلك الحركة الشعرية؛ فخصصت لها جانباً من تلك الدواعي.

المبحث الأول: العوامل السياسية:

و قد أثرت في الحياة الأدبية زمن عبد الرحمن الناصر عدة عوامل سياسية، منها:

- "في ظلال جيش الناصر المظفر، و أسنته المشرعة التي لا تغلب، كان الكتّاب ينشئون، و العلماء يحاضرون، فنظم الشعراء، و غَنّت القيان، فدارت موضوعات الشعر على وصف المعارك و الفخر بالبلاد، و وصف الجيوش و الفرسان، و جو المعركة، و انهزام الأعداء، إلى آخر الموضوعات التي يفرضها جوّ المعركة"[١]. لم يبت المسلمون ليلة إلا على حربٍ وشيكة، أو حرب يصلون لظاها، ناهيك عن الفتن الداخلية التي أثارها المسلمون على بعض، فحفلت مدائح الملوك و الأمراء بذكر المعارك و الجيوش و العدد.

و في ظل تلك الأجواء الساخنة أعطى الشعراء لأقلامهم العنان في وصف المكانة التي تبوأها الناصر في زمانه، فقد انتصرت السياسة الأموية على الأزمات كلّها، "و اعتز ركن الدين، و احتمى ذمار المسلمين، و قام الجهاد على ساق، و خمدت نار الخلاف و الشّقاق، و دخل الناس في طاعته أفواجاً"[٢]

إن مجتمعا فيه مثل هذا الطموح لا بد أن يفسح في صدره مجالا لقول الشعر، و أن يعبد طريق التقدم و الارتقاء على أهواله و مكارهه بوجه الطامعين، فقد نجح الشعر في تصوير تلك الأهوال و قدرة الناصر على التصدي لها.

- واكب الشعراء النهضة السياسية و العمرانية، فقد كانت إنجازات الناصر العمرانية ميداناً لأهل الأدب يخوضون فيه، فكان العمران حافزاً قوياً لإلقاء الشعر و التغني بجماله و رونقه.[٣]

---

[١] القرطبي، ابن حيان أبو مروان, (ت٤٦٩هـ)، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، (نشره ب.شالميتا، و ف.كورينطي)، م. صبح، المعهد الإسباني للثقافة، مدريد وكلية الآداب، الرباط، ١٩٧٩م، ج٥، ص٣٠.

[٢] المراكشي، محيي الدين عبد الواحد، (د.ت). **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، المطبعة الجمالية، القاهرة، ١٩١٤م. ج٢، ص٢٢٣-٢٢٤.

[٣] جرار، صلاح، (٢٠٠٣م). **صلاة في أروقة الزهراء (قراءة في المشهد الحضاري الأندلسي)**. عمان: أمانة عمان الكبرى، ص٣٧ و ص٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

●كان السلاطين العرب "يفهمون اللغة الرومانية بدرجةٍ كافية، و لا سيَّما أفراد الطبقات العليا منهم مثل الخليفة عبد الرحمن الناصر، و في ذلك قال المقدسي: في كتابه "إن أهل الأندلس يتكلمون لغة عربية منغلقة مخالفة لما ذكرنا في الأقاليم و لهم لسان آخر يقارب الرومي"[١]. فهذا يعكس الثقافة الواسعة التي حظي بها الأندلسيون كذلك يعكس الامتزاج اللغوي الذي يثري بدوره الشعر و الأدب.

و يؤكد غرسيه غومس وجود هاتين اللهجتين العربية و الرومانية فيقول "لقد كانت قرطبة بلداً نصف عربي يتحدث أهله العربية، و عجمية أهل الأندلس"[٢].

●حطت الأمم في عصر الناصر في قرطبة حتى ضاقت بالوافدين حيث أصبحت درّة العصر و مشعل حضارته. جاءته تلك الوفود خاضعة مستسلمة من آفاق الأرض إلى مستقره و مستودعه، فتجمّع في قاعدة ملكه ما لم يكن قبله و لا بعده." فلم يقتصر البلاط الناصري على وفود القسطنطينية و لكنه شهد وفوداً من أوروبا عندما قدمت وفود هوتو (أوتو) ملك الصقالبة"[٣]، و ملك الفرنجة[٤]، و ملك قشتالة[٥]، و من ملك برشلونة[٦]، فضلاً عن وفود المغرب من بني زنانة [٧]، و بني رزين[٨].

قال المَقّري في أزهار الرياض: " كان ملكه بالأندلس غاية ما يكون من الفخامة و رفعة الشأن، هادته الروم و ازدلفت إليه تطلب مهادنته و متاحفته بعظيم الذخائر، و لم تبقَ أمة سمعت به من ملوك الروم و الفرنجة و المجوس و سائر الأمم إلا و جرت إليه، أو وفدت خاضعة راغبة، و انصرفت عنه راضية".[٩]

---

[١] المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البناء، (ت٣٨٠هـ). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، لندن، (١٠٩٤م). ص٢٤٣.

[٢] غومس, غرسيه, (١٩٦٥م). **الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه**، ط٢، **ترجمة حسين مؤنس القاهرة**: مكتبة النهضة المصرية، ص٣٥.

[٣] ابن عِذاريّ، أحمد بن محمد بن عذاريَ المراكشي, (د.ت), **كتاب البيان المُغرب في أخبار الأندلس والمغرب**, (تحقيق إ.ليفي بروفنسال)، دار الثقافة, بيروت, د.ت.

[٤] المَقَّري، **نفح الطيب**، ج١، ص٣٦٥.

[٥] **المصدر نفسه**، ج١، ص٣٦٥.

[٦] **المصدر نفسه**، ج١، ص٣٦٦.

[٧] ابن عِذاري، المراكشي، **البيان المُغْرَب**، ج٢، ص٢١٨.

[٨] **المصدر نفسه**، ج٢، ص٢٢١.

[٩] المَقَّري، أحمد بن محمد التلمساني، (ت١٠٤١هـ)، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، (تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي)، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة، الرباط، (١٩٧٨م). ج٢، ص٢٥٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن كثرة هذه الوفود التي عجت بقرطبة الخلافة تدل بشكل أو بآخر على المكانة السياسية التي تبوأتها الأندلس في عهد الناصر. و مما يدل على علو شأن الناصر موقفه من تلك الوفود، حيث كان لا يتكلم معهم إلا باللغة العربية عن طريق الترجمة.[١] ساهمت هذه الوفود بإثراء الشعر من خلال وقوف الشعراء أمامها بألسنتهم مادحين الناصر، و واصفين قوته وعزمه في تنفيذ الأمور، و سيطرته على زمامها، و مهنئين له بالنصر عليهم.

●لم يكن عبد الرحمن الناصر شاعراً على غرار غيره من الأمراء الأمويّن، حيث خانته الموهبة الشعرية المصقولة أو خانها، "إلا أنه شارك في مجالس الأدباء و تساجل مع الشعراء و أثر عنه شعر و رسائل و مجاوبات و توقيعات".[٢]

و على الرغم من جدية الناصر و تراكم المهمات الثقيلة على عاتقه و عدم انفطاره على الشعر "إلا أنه كان يأنس لسماع الشعر و مجالسة الشعراء و يعمد إلى إشراكهم في المناسبات الرسمية دافعاً بهم إلى المراكز العالية".[٣] و في هذا تصريح على اجتماع الشعراء في بلاط الناصر، فقد شهد ذلك البلاط ندوات أدبية منها ما عكس الجِد و منها ما عكس الهزل في الشعر، و في الفصل القادم من الرسالة توضيح لما جاء في هذه المجالس.

●كان الخليفة الناصر و ابنه الحكم من أكثر سلاطين الأندلس رعاية للعلماء و إكراماً لهم[٤]. و ذلك لأن في إكرامهم إكراماً للعلم و المعرفة و تأكيداً على دورهما في بناء الدولة و تحضرها و تقدمها.

قال أبو الوليد الشقندي في رسالته "تفضيل الأندلس على برّ العدوة" "إن ملوك الأندلس كانوا يتواضعون لعلمائهم و يرفعون أقدارهم، و يصدرون عن آرائهم في تفضيل، و أنهم كانوا لا يقومون وزيراً و لا مشاوراً ما لم يكن عالماً"[٥]. فالعلماء في رسالة الشقندي يدخل في دائرتهم الشعراء فالشاعر في ذلك الحين كان عالم عصره لجمعه عدداً من العلوم في وقت واحد. فنلمح اجتماع علماء العصر، و أمراء الكلام حول الناصر، فكانوا لسان حال الخليفة، مصورين و قائعه وأيامه.

---

[١] المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٣٥٠.

[٢] ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى, (ت٦٨٥هـ). **المُغْرب في حلى المَغرب**، (تحقيق شوقي ضيف)، دار المعارف، القاهرة. ج١، ص١٩٠.

[٣] الضَبّي، أحمد بن يحيى, (ت٥٩٩هـ)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٨٩م، ص١٨. وينظر: ابن الأبّار، أبو عبد الله محمد بن الأبار, (ت٦٥٨هـ)، **الحلة السيراء**، ط٢، (تحقيق حسين مؤنس)، دار المعارف، القاهرة، (١٩٨٥م). ج١، ص١٩٩.

[٤] المَقّري، **نفح الطيب**، ج٣، ص٣٥٠.

[٥] **المصدر نفسه**، ج٣، ص٢٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أصبحت قرطبة في عهد الناصر كعبة الأدباء و مجتمع العلماء و مقصد باعة الكتب، فاجتمع حوله علية الرجال و سروات الكتّاب خدمة له, لم يخدم الملوك مثلها في فضل آدابهم، و اتساع أفهامهم مع المروءة العالية و السيرة الحسنة. قال ابن حيان في المقتبس: " فقابَلَتْ للخليفة الناصر لدين الله بفضل ما أتاه أسباب من السعادة، و تطابقت فضائلها لديه باجتماع حلبة من فحول الشعراء أمراء الكلام فيها، و تناغيهم في مديح الناصر لدين الله داخلها، استثارة لجوده و تذرعاً إلى تكريمه، و افتتنوا في تقريظه، و توسّعوا في ذكر عدالة سيرته و سماحة كفّه، و شجاعة قلبه، و جزالة رأيه، و ثقوب فهمه، و نفوذ عزمه، و بصره بتدبير حربه".[١]

و نراه في موضع آخر يقول عن هؤلاء الشعراء: "كسوا دولته الغراء بأشعارهم المنقولة عنهم، أوضاحاً وحجولاً زادتهم حُسْناً و بهاءً، و كان المقدمون لديه من طبقتهم عدة خناذيد، مقدمتهم في الصبا أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه[٢]، و يليه من نمطه عبيد الله بن يحيى بن إدريس[٣]، و عبد الله بن سعيد المرادي[٤]، و إسماعيل بن بدر[٥]، و أغلب بن شعيب[٦]، و حسن بن حسان السناط[٧]، و غيرهم، و من كبار الطارئين عليه من المشرق، طاهر بن محمد البغدادي[٨]، و محمد بن حسين الطُبني الإفريقي[٩]".[١٠]

---

[١] القرطبي، **المقتبس**، ج٥، ص٤٠.

[٢] أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه، من أهل العلم والأدب والشعر، له الكتاب الكبير المسمى (العِقد) في الأخبار، توفي عام ٣٢٨هـ مدح الأمير محمد، والمنذر، وعبد الله، وعبد الرحمن الناصر (الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأزديَ, (ت ٤٨٨هـ). و **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**, الدار المصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٦م. ج٥، ص١٠١) و (الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م. ج٢، ص٦٧).

[٣] من أهل قرطبة، كان متفنناً في ضروب العلم إلا أن الشعر غلب عليه، هذا مع حفظه للآثار و السُّنن والغريب والأمثال، كتب الناس عنه كثيراً وكان ثقة. توفي سنة ٣٥٢هـ، (ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزديَ الحافظ, (ت٤٠٣هـ). **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة, ١٩٦٦م. ج١, ص٢٩٤) و (**البغية**، ترجمة رقم ٩٧٤).

[٤] هو عبد الملك بن سعيد الخازن قال فيه الحميدي (رئيس أديب شاعر، كثير الشعر، موصوف بالفصل)، توفي في آخر خلافة المستنصر سنة ٣٦٦هـ و تعرف تلك السنة بسنة الأدباء لكثرة من توفي فيها منهم، انظر: **النفح**, ج١, ص٣٩٣، ج٣، ص١٧٨, ٥٣٧.

[٥] ابن إسماعيل بن زياد أبو بكر القرطبي، كان مولى نعمة لبني أمية، ولآه الناصر كتاباته الخاصة سنة ٣٠٠هـ ثم ولآه إشبيلية، كان أثيراً لديه ومنادماً له، **الحلة**, ج١, ص ٢٥٤.

[٦] أغلب بن شعيب الجياني، شاعر مقدّم، سكن قرطبة، وكان من شعراء عبد الرحمن الناصر ومَن بعده، انظر: **الجذوه**, ج٥, ص١٧٤.

[٧] كنيته أبو علي ويعرف بالسناط، كان شاعراً مقدّماً مكثراً في أيام عبد الرحمن الناصر، (**بغية الملتمس**, **ترجمة** رقم ٦٣١), **اليتيمه**, ج٢, ص٦٢.

[٨] يعرف بالمهند البغدادي ويكنى أبا العباس، وصل إلى الأندلس من بغداد سنة ٣٤٠هـ وعمره حوالي الخامسة والعشرين، مدح الخلفاء، وكسب المال بمدائحه. توفي بقرطبة سنة ٣٩٠هـ و دفن في مقبرة الرّبض. **البغية**, **ترجمة** رقم ٨٥٩.

[٩] سمي (طارئاً) لأنه طرأ على قرطبة من طبنة وهي مركز منطقة الزاب بالعدوه، ولد سنة ٣٠٠هـ ودخل الأندلس ٣٢٥هـ كان شاعراً، أديباً متفنناً عالماً بأخبار العرب, (**ابن الفرضي**، ج٢، ص١١٩).

[١٠] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص٤١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: العوامل الاجتماعية:

تفاعلت عناصر المجتمع الأندلسي في صياغة عوامل اجتماعية مؤثرة في الحركة الأدبية، منها:

• عاش الأندسيون في طبيعة هادئة و جاذبة، و فاتنة تتصدى لعيون الشعراء فتشحذ قرائحهم، و تغري شاعريتهم، و تلهمهم لوحات شعرية هي من خير ما خطت و رسمت أقلام الأندلسيين، فقد هام الإنسان بالطبيعة منذ أن فتح عينيه على محاسنها و جمال روضها، فقد وجد فيها الكاتب منذ القدم مرتعاً لخياله، فيجود بالكلام الخالد و اللوحة الناطقة. فكان الوصف لتلك الطبيعة يمثل التفاعل مع الجانب المشرق السهل من الحياة.

و يرى الركابي أن الشعراء المبدعين وجدوا في الطبيعة ميداناً فسيحاً لحرية العمل، و تربة خصبة لنمو العواطف الإنسانية و موضوعاً أكثر ملاءمة للأسلوب القوي.[١] و قد كان لطبيعة الأندلس الزاخرة بالمفاتن أثر كبير في طبعهم على هذه السمة حتى لم تخلُ مدينة من مدنها من شاعر حاذق أو كاتب بليغ.[٢]

و يرى شوقي ضيف أن الأندلسيين تفننوا تفنناً واسعاً في هذا الجانب، فتركوا مادةً كبيرةً في شعر الطبيعة ، قادهم ترفهم إلى وصف الخمر مع وصف الزهر ثم وصف محاسن الشراب و ما ينطوي فيها من قيان.[٣] كما كانت المرأة عند الأندلسيين مرتبطة بمحاسن الطبيعة، و الطبيعة تجد في المرأة ظلها و جمالها، و لذا كانت الحبيبة روضة، و جنّة، و شمساً، و خمراً.....

و قال المقّري في نفحه عن شعراء الأندلس: "إنهم إذا تغزلوا صاغوا من الورد خدوداً، و من النرجس عيوناً، و من الآس أصداغاً، و من السفرجل نهوداً، و من قصب السكر خدودا و من قلوب اللوز و سرر التفاح مباسماً، و من ابنة العنب رضاباً".[٤]

• عاش الأندلسيون حياة اللهو و الطرب، فيرى جودت الركابي: أن تلك الحياة حياة اللهو التي عاشها الشعراء كانت سبيلاً لهذا الازدهار الشعري. فكانت الطبيعة مسرح حياة الشاعر اللاهية، و في أحضانها استسلم لحبّه و خمره و عكف يصور هذا اللهو و هذا الحب و هذا الخمر مقدماً لنا أروع اللوحات الفنيّة.[٥]

---

[١] القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، ص٥٤١.
[٢] الركابي، جودت، (١٩٦٠م). **في الأدب الأندلسي**، مصر: دار المعارف، ص٦٣.
[٣] ضيف، شوقي, (١٠٦٠م). **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**، ط٦، مصر: دار المعارف. ج٢، ص ٤١١.
[٤] المقري، **نفح الطيب**، ج ١، ص ٢٢٣.
[٥] غرسيه غومس، **الشعر الأندلسي**، ص٩٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يرى غرسيه غومس و هو يصف تلك المجالس بأنها لم تكن اجتماعاتٍ للشرب و إنما حلقات شعرية أدبية و كان المجلس ينقضي بين تقارض الشعر وارتجاله.[١] فهذا يدل على ارتباط الشعر بالحياة الأندلسية في لهوها و جِدها، كما أنها تدل على حب الأندلسيين للشعر و قرضه.

● كثرة الجواري و الغلمان، فكانت النتيجة لذلك إمعان أهل الأندلس في حياة الترف و الحب، فكان للشعراء قسطٌ وافرٌ من هذه الحياة الرخية فتغزلوا و أفرطوا.[٢] فمن الطبيعي أن ينعكس ذلك على الحياة الأندلسية، فكانت الجارية تحفظ العديد من الأبيات الشعرية لتضفي السعادة على قلب سيدها و نفسه إذا أراد الأنس والارتياح، فكانت الأمزجة الأندلسية في الغالب لا تهدأ إلا لسماع الشعر.

يرى غرسيه غومس: "أنهم لم يكونوا يمتازون بموهبة، و إذا تميز من بينهم نفر فإن سرّ امتيازهم في نظره يعود إلى حياتهم الخاصة الطريفة أكثر مما يعود إلى براعتهم في قول الشعر".[٣]

● الحنين الدافق الذي فجّر الأحاسيس، وأيقظ كوامن النفس، فبعدهم عن المشرق و سحره، و عن الأهل و الأحباب و الأوطان أذكى قرائحهم الشعريّة، فاحتفظ الشعراء بهذا الحنين بين الضلوع، و قد أوجد هذا الحنين الدائم عند أهل الأندلس ميلاً بالفطرة إلى التماهي مع الأصل و الأخذ من مناهله العلمية و الأدبية، فما غادرت صورة الحجاز و الشام و العراق مخيلة الذين هاجروا منها.[٤] فالألم في غالب الأحيان يكون سببا مباشرا للقول، فلوعة الفراق أذكت قلوب الأندلسيين من المشارقة، فغذى الحنين أرواحهم فجادت ألسنتهم بقول الشعر.

و فيما يتعلق بالظروف المحيطة بالأندلس زمن الناصر، فقد نجح العرب في تشكيل المجتمع الأندلسي وفقَ آرائهم و معتقداتهم ، و صاغوا المجتمع الأندلسي صياغة جديدة تمثلت في النواحي الفكرية و العمرانية و الحضارية، و استبدلوا تلك الأمشاج التي تكون منها المجتمع الإسباني مجتمعاً عربياً، عربي الملامح و السمات، و من يمعن النظر في خصائص الفتوحات العربية يلاحظون هذه الخاصية و هي: "أن العرب لم يدخلوا بلداً من البلدان فاتحين إلا فتحوه لغوياً، كما فتحوه سياسياً، و أبدلوه من لغته الأصلية إلى لغتهم العربية، و كان القرآن الكريم هو القبس الذي يضيء في أثناء هذا التصنيع، إذ لقنوه الأمم المغلوبة، و بثوا في أبنائهم إعجاباً لا

---

[١] غومس، غرسيه **الشعر الأندلسي**، ص٩٠.
[٢] البستاني، بطرس، **أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث**, ص ٦٥-٦٩.
[٣] غومس، غرسيه، **الشعر الأندلسي**، ص٣١.
[٤] المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٢٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حدّ له بأدبهم من شعر و نثر سواء في ذلك من اعتنقوا دينهم، أو من ظلوا على دينهم القديم"[١]. و كعادة العرب في كل بلد دخلوه، تفتحت لهم القلوب فإذا هي مؤمنة، و استجابت لهم العقول مستعربة، و انعطفت إليهم الضمائر فإذا هي مسلمة، و انطلقت بلغتهم الألسنة فإذا هي عربية مبينة.

و على الصعيد الديني، فقد أسلم الكثير من سكان الجزيرة على إثر الفتح العربي الإسلامي، و انتشرت اللغة العربية في الأندلس، و امتزجت دماء الفاتحين بدماء أهل البلاد الأصليّين.

أما على الصعيد الاجتماعي و نتيجة لامتزاج العرب بغيرهم و تفاعلهم طويل المدى مع سكان البلاد الأصليين انتشرت العربية، لكن انتشارها لم يمنع وجود لغة أخرى، و مما قاله الشاعر الإسباني فرانسيسكو: "تفشت عدوى الاشتغال بالأدب العربي بين أساقفة النصارى ممن استعربوا... فراحوا يقرضون الشعر بلغة عربية عالية، و هو لعمري حدث وحيد من نوعه في التاريخ"[٢]، فهذا خير دليل على شيوع العربية بين الإسبان الذين كانوا يعيشون بين العرب.

انقسم المجتمع الأندلسي من حيث علاقته باللغة العربية إلى طبقة عامة أخذت العامية لغة حديث، وقسم آخر أخذ العربية لغة إنتاج أدبي.

[١] كرد, محمد علي، (١٩٣٤م), **الإسلام والحضارة العربية**. القاهرة: مطبعة دار الكتب، ج١، ص٢٣٢.
[٢] المصدر نفسه، ج١، ص٢٣٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: العوامل الثقافية

ازدهرت الحركة الثقافية في الأندلس في زمن الناصر، و كان ذلك راجعاً لعدة عوامل، منها:

- نشوء جيل من الأدباء ممن ولدوا في الأندلس وتمثلوا طبيعتها، وبيئتها، و واقعها السياسي و الاجتماعي، و صوّروا مظاهرها الطبيعية و الاجتماعية و السياسية و العلمية في الأندلس.[١]
- تسرب بعض الأفكار العلمية و صوغها شعراً، مستخدمين الألفاظ و المصطلحات العلمية الخارجة عن إطار الفن و الإبداع في القول.

و من أوضح الأمثلة على ذلك تلك الأبيات التي وجهها ابن عبد ربّه إلى الفلكي ابن أبي عبيدة [٢] منافساً إياه في بعض القضايا الجغرافية و الفلكية رافضاً آراءه في كل ذلك.[٣]

- كان للغناء المشرقي و انتقاله على يد زرياب إلى الأندلس الأثر الكبير في التمكين للتقاليد الثقافية و المشرقية في بلاد الأندلس، فقد اهتمّ الأمراء الأندلسيون اهتماماً كبيراً بالغناء المشرقي و استقدموا الجواري المشرقيات خاصة المشهورات منهن.[٣]

فذكر ابن حيان أن زرياب كان يحفظ عشرة آلاف مقطوعةٍ من الأغاني بألحانها فضلاً عن أنّ مجالس الغناء كانت مجالس لنظم الشعر، و وصف الغناء والأصوات والمغنين و الآلات و غير ذلك.[٤]

إذن كانت للنهضة الغنائية التي أحدثها قدوم زرياب إلى الأندلس الأثر الكبير في الشعر الأندلسي.

فقد وجد الغناء في الأندلس قبولاً يكاد يكون شاملاً لا يتورع عن سماعه عالِمٌ و لا فقيه.[٥]

---

[١] جرار، صلاح، (٢٠٠٧م). **قراءات في الشعر الأندلسي**، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ص٢٠.

[٢] هو مسلم بن أحمد المعروف بصاحب القبلة لكونه كان مولعاً بالتشريق في قبلته وكان عالماً بالحساب والنجوم ترجم له ابن الفرضي في تاريخ العلماء وقال أنه توفي سنة ٢٩٥هـ، وترجم له الحميدي في الجذوة، والضبّي في البغية، وذكر أن وفاته كانت سنة٣٠٤هـ، وهذا التاريخ الراجح لأن الأفكار التي يعتنقها أبو عبيده ويجاهر بها تتناسب مع فترة الخلافة وما فيها من حرية فكرية ولهذا يرجح أنه عاش ظرفاً من تلك الفترة وجاهر بآرائه وتحمل مثل هذا النقد الذي يوجهه إليه ابن عبد ربه، انظر: ابن الفرضي، **تاريخ العلماء** ترجمة ١٤٢٠. الضبي، **بغية الملتمس** ترجمة ١٣٧١. الحميدي، أبو عبد الله محمد بن فتوح(ت٤٨٨هـ) **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ترجمة ٨٢٢.

[٣] المراكشي، ابن عذاري، **البيان المُغرب**، ج٢، ص١٩٤-١٩٥.

[٤] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، ج٢، ص٣١٩.

[٥] الحميدي، **جذوة المقتبس**، ص٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

• لقد بلغ من غرام أهل الأندلس بالشعر أن ظهر بينهم فنٌ شعري جديد "نتيجة لامتزاج العرب بالإسبان"، أقبل الناس فيما بعد عليه إقبالاً عظيماً، فتميّزوا به على أهل المشرق، و هو فن الموشحات.[١]

• الحركة الأدبية في الأندلس التي صيغت على شكل الحركة الأدبية في المشرق، فقد كانت قرطبة تترسم خطى بغداد في نهضتها، فكان المشرق قِبلة الأندلس، و من يتعمق في دراسة الأندلس يعرف سرعة الاتصال بينها و بين المشرق ، فتأثير الثقافة العربية المشرقية كان قوياً و فعّالاً، فرحل الكثير من العلماء من و إلى الأندلس، و من لم يرحل أرسل آثاره إليها، و ممن التحق بالأندلس من العلماء البارزين من أهل المشرق أبو علي القالي[٢] ، علي بن محمد الأنطاكي (ت٢٧٧هـ) [٣]، و أبو الطيب محمد ابن أبي بردة البغدادي[٤] ، و عبد الملك بن محمد السليماني المقدسي٤وغيرهم . فها هم الأندلسيون يولون وجوههم شطر المشرق و يجوبون الأقطار للبحث عن المنابع المهمة للأدب و الثقافة، فكان الشرق منبع العلوم و مورد الثقافة، "و لعل من الطريف معرفة أن كتابي "البيان و التبيين" و "التربيع و التدوير" نقلا في حياة الجاحظ إلى الأندلس، كما أن أبا الفرج الأصفهاني أرسل لعبد الرحمن الناصر نسخة من كتابه "الأغاني"[٥]، كما نقل ديوان المتنبي في حياته عن طريق أهل المغرب الإسلامي إلى الأندلس على يد "زكريا بن الأشج وهو جزائري الأصل، كان قد التقى بالمتنبي خلال إقامته بمصر، درس عليه ديوانه ثم رحل به إلى الأندلس"[٦].

يقول ابن بسام في ذخيرته عن تبعية الشعر الأندلسي للمشرق: "إن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل المشرق، يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة، حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طنّ بأقصى الشام و العراق ذباب لجثوا على هذا صُمّاً و تلو ذلك كتاباً محكماً"[٧].

و من يقرأ الشعر الأندلسي يخيل إليه أن الشعر في الأندلس خضع للمشرق في موضوعاته و أفكاره و معانيه و أخيلته وأساليبه.

---

[١] الشنتريني، ابن بسام أبو الحسن علي (ت٥٤٢ هـ)، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، (١٩٧٨_١٩٧٩).ق٢/١، ص١.

[٢] القرطبي، ابن حيان **المقتبس**، ج٥، ص ٤٧٩.

[٣] ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزديَ الحافظ, (ت٤٠٣هـ). **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة, ١٩٦٦م، ج١، ص٣١٦.

[٤] ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، ج٢، ص١١٤.

[٥] الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**, ط١، (تحقيق إحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، (١٩٩٧م) . ج٦، ص٧٤

[٦] ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، ترجمة ٤٥٥.

[٧] الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**. ج١، ص١٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول شوقي ضيف: "من يقرأ في الذخيرة و يتابع الأدباء و الشعراء في تقليدهم لأدباء المشرق و شعرائه، يخيل إليه أن القوم قد حبسوا أنفسهم داخل الإطار العام للأدب العربي، فهم يضعون المشرق نصب أعينهم، يتخذون منه مثلهم الأدبيّة العليا"[١].

- نهل العرب في قرطبة من كل منبع للثقافة. و لم يقتصروا على الثقافة المشرقية فقط. حيث كانت قرطبة أكثر مدن أوروبا رفعة في الثقافة و الحضارة "فكانت مركزا للثقافة اليهودية اللامعة أيضا، و كان أبرز من يمثلها حسداي بن شبرط وهو عالم و طبيب كان في خدمة عبد الرحمن الناصر، و قد اجتذب إلى المدينة الكثير من المفكرين والشعراء والفلاسفة اليهود"[٢].
- العناية بالمكتبات، فكانت مكتبة القصر التي عُني بها الناصر دليلاً واضحاً على الدرجة التي بلغتها الثقافة الأندلسية[٣]، حيث حوت تلك المكتبة مجموعة من الكتب العظيمة التي كانت موضع فخر. و هذا يشير إلى النهضة الأدبية التي تجلّت في كثرة الإنتاج الأدبي و العلمي المتميّز بخصوبته و تنوّعه، فانتشرت في الأندلس المكتبات الخاصة و العامة، وفي ذلك قال ابن سعيد عن قرطبة في ظل تلك الأجواء العلمية الأدبية: "هي أكثر بلاد الأندلس كتباً، و أشد الناس اعتناءً بخزائن الكتب، صار ذلك من آلات التعيّن و أثر سياسة. حتى أن الرئيس منهم الذي لا تكون عنده معرفة يحتفل أن تكون في بيئته خزانة كتب"[٤].

و على هذا الصعيد تكفي الإشارة إلى مكتبة الحكم المستنصر التي اشتملت على أربعمائة ألف مجلد، وبلغ عدد فهارسها أربعة وأربعين مجلداً في كل مجلد خمسون ورقة.[٥] و كان الحكم يبعث في طلب الكتب إلى الأقطار رجالا من التجار يرسل معهم الأموال لشرائها حتى جلب منها إلى الأندلس ما لم يعهدوه، و بعث في كتاب الأغاني إلى مصنفه أبي الفرج الأصبهاني و أرسل إليه بألف دينار من الذهب، فبعث إليه بنسخة من قبل أن يخرجه إلى العراق، و جمع بداره الحذاق في صناعة النسخ و المهرة في الضبط و الإجادة في التجليد،[٦] و كان الحكم يغري العلماء بأن يألفوا له كل في مجال تخصصه فكتب له أحمد بن فرج الجياني كتاب الحدائق[٧]، و ألف له محمد بن الحارث الخُشَني (ت٣٦١هـ) كتبا كثيرة بلغت مائة ديوان،[٨] و ألف محمد بن يوسف الورّاق

---

[١] ضيف, شوقي، **الفن و مذاهبه في الشعر العربي**، ص١٩٨.
[٢] القرطبي، ابن القوطية، **تاريخ افتتاح الأندلس**، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، (١٩٥٨). ص٥٩. وينظر: الجيوسي، سلمى الخضرا، (١٩٨٨م). **الحضارة العربية الإسلامية**. ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ج١، ص١٩٧.
[٣] ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص٤٥.
[٤] المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٢١.
[٥] ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى (ت٦٨٥هـ)، **المُغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، (١٩٦٤م) ج١، ص١٨٦. وينظر: **نفح الطيب**، ج١، ص٣٨٥، ٣٩٥.
[٦] المقري، **نفح الطيب**، ج١، ص٣٨٦.
[٧] الأندلسي، ابن سعيد، **المُغرب**، ج٢، ص٥٦.
[٨] ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، ج٢، ص١١٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

له ديوانا ضخما في مسالك افريقيا و ممالكها و كتبا أخرى،[١] و ألف أبو علي القالي كتاب الأمالي،[٢] أما مجالس العلم فكانت تعقد في المدارس، و المساجد، و القصور، حتى أن الحكم المستنصر أنشأ في قرطبة مكاتب لتعليم الأيتام، جعل بعضها عند المسجد وبعضها في سائر الأرباض بلغت سبعة و عشرين مكتبا[٣]، كان الأندلسيون يعنون بتعليم العربية قبل العلوم الأخرى و إلى جانب القرآن الكريم أيضا ليتفهموه، على خلاف أهل المغرب و المشارقة الذين كانوا يبدؤون بتعليم القرآن الكريم دون سائر العلوم[٤]. قال أبو بكر بن العربي: " لأن الشعر ديوان العرب و يدعو إلى تقديمه و تعليم العربية في التعليم ضرورة.... ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين، ثم ينتقل إلى درس القرآن فإنه تيسر عليك بهذه المقدمة".[٥]

فنلاحظ أن الثقافة الشعرية و اللغوية كانت في مكانة متميزة، والدليل على ذلك تعليم الأطفال للشعر منذ نعومة أظفارهم ، أما بالنسبة لتقديم تعليم الشعر على القرآن فلا يعد فضلاً للشعر على القرآن و إنما ضرورة لفهم القرآن وتعلمه.

المبحث الرابع: دور المرأة في الحياة الأدبية

---

[١] المقري، **نفح الطيب**، ج٣، ص١٦٣.
[٢] الأندلسي، ابن سعيد، **المُغرب**، ج١، ص١٨٦.
[٣] المراكشي، ابن عِذاري، **البيان المُغرب**، ج٢، ص٢٤١.
[٤] الركابي، جودت، **في الأدب الأندلسي**، ص٦٦.
[٥] ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي, (٨٠٨هـ). **مقدمة ابن خلدون**, ٢مج، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٩٩م.
ص٥٣٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المرأة مبدعة وملهمة في عصر الناصر و تميزها قادها إلى الاهتمام بالشعر، و مما ساعد على إبداعها: اهتمام الناصر بها. و من مظاهر ذلك:

- أن المرأة الأندلسية كان لها مساهمة فاعلة في بناء صروح الحضارة الأندلسية، حيث شاركت في مختلف ميادين الثقافية و العلمية و الأدبية، و اشتهرت عدد من النساء في مجالات مختلفة، و منهن مزنة كاتبة الخليفة الناصر لدين الله، قال صاحب الصلة: "أنها كانت حاذقة من أخَط النساء، توفيت سنة ثمانٍ وخمسين وثلاثمائة.[١] كذلك عائشة بنت احمد بن قادم القرطبية (ت٤٤٠هـ) كانت متفوقة في العلم و الأدب و الشعر و كانت حسنة الخط تكتب المصاحف و الدفاتر، و تجمع الكتب، و لها خزانة علم (كتب) و كانت تمدح الملوك بشعرها.
- و مثلما كان لبعضهن خزائن كتب، كان لبعضهن رحلات في سبيل العلم، مثل راضية مولاة الإمام عبد الرحمن الناصر و تدعى بنجم، مِمَن أعتقها الحكم عن أبيه و تزوجها لبيب الفتى، و حجّا معاً سنة ثلاثٍ و خمسين و ثلاثمائة، و كانا يقرضان الشعر و يكتبانه.[٢]
- و كانت بعض النساء يعملن في التعليم مثل فخر المعلمة التي اشتهرت بهذا الاسم لعنايتها بالتعليم، و قد توفيت سنة سبع عشرة وثلاثمائة.[٣]

ففي ظل الحكم الأموي للاندلس حظيت المرأة الأندلسية بمكانة مرموقة تميزت بها حتى بزّت أختها في المشرق الاسلامي[٤].

يقول هنري بيرس: "إن المرأة الأندلسية، كانت تتمتع بوضعية أكثر ليبرالية من وضعية أخواتها في المشرق"[٥]. فهذه المكانة الإجتماعية التي حظيت بها المرأة الأندلسية منحتها الحرية في التعبير عن فكرها، مما قادها إلى الإبداع، و من جانب آخر إن جمالها التي خصت به دون غيرها من المشرقيات أكسبها الثقة بالنفس، فكانت ملهمة لغيرها في قول الشعر و خصوصا الغزل، فقد وصل شعر الغزل إلى حد لم نعد فيه قادرين على عده.

---

[١] ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال, (ت٥٧٨هـ). **كتاب الصلة**، ط١، ٣مج، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، الدار المصرية للتأليف، القاهرة, ١٩٨٩م. ج٢، ص٦٩٢-٦٩٣

[٢] **المصدر نفسه** ، ج٢، ص٦٩٤.

[٣] ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، ج١، ص٣٥٣.

[٤] شاك، فون، البارون، (١٩٩١م). **الشعر العربي في إسبانيا وصقلية**. ٢مج، ترجمة الطاهر مكي، مصر: دار المعارف، ج١، ص١٠٧.

[٥] الجيوسي، سلمى الخضرا، **الحضارة العربية في الأندلس**،ج٢, ص٩٨٠، ١٩٩٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما نالت المرأة الأندلسية حظا وافرا من التعليم، فنبغ عدد كبير منهن في العلوم و الآداب و الفنون، وكان يعهد إليهن تربية أبناء الأمراء و الأغنياء و تأديبهم، فهذا ابن حزم قد تلقى ثقافته الأولى على يد نساء القصر، حيث يقول: "و لقد شاهدت النساء، وعلمتُ من أسرارهن ما لا يكاد يعلمه غيري، لأني ربيت في أحضانهن، و نشأت في أيديهن، و لم أعرف غيرهن، ... و هن علمنني القرآن، و رويننني كثيرا من الأشعار، و دربنني في الخط"[١] فيعكس هذا الرأي ارتباط الرجل بالمرأة و تأثيرها فيه، فالمرأة تصنع العالم و الشاعر، و الفقيه و المعلم، و صدق نابليون حينما قال:" وراء كل رجل عظيم امرأة" و من جانب آخر كيف نظن بالأبناء شرًا إذا نشؤوا بحضن العالمات.

أما بالنسبة للأدب و الشعر تحديدا، لقد شغف الأندلسيون بفن الشعر شغفا أذكى في نفوسهم رجالا و نساءً جذوة الشعر، مما جعل الأندلس تمتلئ شعراء وشاعرات، فازدانت البيئة الأندلسية بعدد غير قليل من النساء الشاعرات اللائي أسهمن في إثراء الأدب الأندلسي، فقد كان عدد الشاعرات في الأندلس من الوفرة و النضوج بحيث يشكل ملمحا بارزا من ملامح الشعر الأندلسي[٢].

و يرى أحمد أمين أن للنساء الأندلسيات أثرًا كبيرًا في الأدب من ناحيتين، الأولى، ما لهن من جمال و فتنة حركا في نفوس الأدباء الغزل والنسيب، والثانية، كان منهن الأديبات اللائي ساهمن في الحركة الأدبية بما أنتجن من أدب[٣].

فمن خلال ما سبق نلحظ أن المرأة الأندلسية احتلت أماكن حساسة في الدولة فكانت كاتبة للخليفة، و كانت زوجة مرفهة، و كانت جارية مدللة، و كانت راوية للشعر تروي الشعر و تغنيه، و كانت معشوقة جميلة، و غيرها من الصفات التي تتناسب مع الحياة الهانئة المترفة، و المتمثلة في انعكاس الحضارة في التعامل مع المرأة.

---

[١] ابن حزم، ابو محمد علي بن أحمد بن حزم, (ت٤٥٦هـ). **رسائل ابن حزم**، ط٢، ٢مج، (تحقيق إحسان عباس)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت, ١٩٨٧م. ، ج١، ص١٦٦.

[٢] الشكعة، مصطفى، (١٩٩٧م). **الأدب الأندلسي موضوعاته وفنونه**، ط٩، دار العلم للملايين، ص١١٨.

[٣] أمين، أحمد، (د.ت). **ظهر الإسلام**. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي. ج٣، ص٢٢٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثاني: الأغراض الشعرية التي سادت لدى شعراء عبد الرحمن الناصر

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: الشعر الحربي والسياسي

المبحث الثاني: الشعر الإخواني

المبحث الثالث: الشعر الوجداني

المبحث الرابع: الشعر الديني

المبحث الخامس: شعر وصف البيئة الأندلسية

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: الشعر الحربي والسياسي

عاش الشعر في هذه الفترة مع الحياة السياسية حتى أصبح ظلا لها لا يكاد ينفصل عنها، و يمكن أن نتصور هذه الحياة بألوانها المختلفة, فهي صراعان: صراع خارجي؛ في صورة غزوات و جهاد في الثغور, و صراع داخلي يتمثل في فتن و ثورات المارقين على طاعة الخليفة, و هي أيضاً معارك على أساس من العصبية و معارضة الحكم القائم. فقد كانت الأندلس في ذلك الزمن أشبه ما تكون بقاعدة حربية, قضت حياتها في جهاد مستمر إلا أنها و بقيادة الناصر استطاعت أن تذود عن حياض الإسلام, و تصد هجمات الأعداء. و قد نظم في هذه الحروب شعر كثير صوّر حياة الجهاد في الأندلس، و ركز هذا الشعر على مواضيع رئيسية تمَ تقسيمها إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مدح الناصر

اجتمع حول الناصر فحولُ الشعراء، الذين نذروا ألسنتهم و أقلامهم للإشادة بمناقب الخليفة و تخليد أمجاده. حيث كان دون أدنى شك أهلاً للمدح والفخر, فقد جمع أطراف بلده حول راية قرطبة، و أظلّ الأندلس بالعدل و السماحة و بعد النظر و الرفق و الكياسة، فازدهر الأندلس بحضرته و أينع.[١] وتسرَّب حب الناصر إلى القلوب, فقد كانت صفاته دائماً فاتنة تتصدى لعيون الشعراء، فتشحذ قرائحهم، و تغري شاعريتهم، و تلهمهم لوحات شعرية من خير ما خطّت أقلام الأندلسيين.

فالشعر في مدح الناصر كثير، و منه قاله إسماعيل بن بدر[٢] في الناصر:

لو كانَ يعبدُ دونَ اللهِ مـــن أحـدٍ ... ما كانَ غيرُك في الدنيا بمعبودِ

قد فاتَ قدرُك وصفَ الواصفينَ فما ... ذكـراكَ إلا بتحميـــدٍ و تمجيدِ

لما ذكرتُكَ يـــوماً قلتُ من جـذلٍ ... يـــا نعمة اللهِ في أيّامِه زيدي ![٣]

و كما ظهر في الأبيات أن الشاعر كان تقليديا في مدحه ،طرق معاني قديمة في الممدوح، فدوما ما كان الشعراء المشارقة يضعون ممدوحهم في مكانة مرتفعة، حيث كانوا يربطونهم

---

[١] مؤنس، حسين، (١٩٦٣م). **رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود**. القاهرة: الشركة العربية للطباعة والنشر، ص ٨٥-٨٦.

[٢] أبو بكر القرطبي: اسماعيل بن بدر، ولاه الناصر كتابته الخاصة سنة ٣٠٠هـ، كان أثيراً لديه، عاش حتى أوائل عهد الحكم المستنصر سنة ٣٥١هـ، غلبت عليه صناعة الشعر وكان مكثراً منه، وقد بقيت مقطعات من شعره بعضها في مدح الناصر وبعضها في رثاء ابن له وفي الغزل. الحميدي، **جذوة المقتبس**, ترجمة رقم ١٥٣. الضبي، **بغية الملتمس**، ترجمة رقم ٥٤٣. ابن الأبّار، **الحلة السيراء**، ج١، ص٢٥٤.

[٣] ابن الأبّار، **الحلة السيراء**، ج١، ص٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بالمقدسات، و نلاحظ أن الشاعر نوّع في استخدام الأساليب، من شرط ونداء ونفي ممـــا أضـــفى على النص مزيدا من الجمال.

فالشاعر في أبياته السابقة أضفى على الناصر درجات العلو و التنزيه, فلولا وجـــود الله ــ سبحانه ــ لكان الناصر المعبود في الأرض, ففي هذا المدح مبالغة واضـــحة فـــي تعظـــيم الناصر و إبراز هيبته.

و في موضع آخر شبه جعفر بن عثمان المصحفي[١] الإمامة بالرجل الـــذي ينتقـــل إلـــى الناصر كيف تتشرف الإمامة بتقلده، فيزيدها رفعة و مكانة و أبهة و سيادة، فقـــد أتتـــه طائعـــة مسلمة دون أدنى جهد فقال:

إمامٌ تلقـــتّـــه الخلافـــةُ صبّة ... إلى نَسَمٍ محمولةٍ عن إمامِها
فصارتْ إليه في حدودِ تمامِه ... و صارَ إليها في حدودِ تمامِها
يـــــنتقلُ بالناس يوم انتقالِها ... إليـــه سبيلٌ عن مَحْمَل قوامِها [٢]

و مما يلاحظ على الأبيات إبداع الشاعر في رسم لوحة فنية باستخدام الاستعارة التي أوضـــحت المغزى و أوصلت إلى الهدف في فكرة الإمامة، كما أنه وشَى أبياته بأسلوب التكرار الـــذي لـــم يجلب الملل إلى النفوس، بل زادها تشويقا وإمتاعا.

ازدحمت الصفات الحسنة في شخصية الناصر، فاحتار الشعراء في أيِّها يكون التبجيل, فهل هو غمامة أم نجم يلمع وسط الجيوش, أم هو غرّة القمر, أم هو الهلال. إنه الملك الذي اجتمعـــت تلك الصفات الأربع في سيفه و درعه؛ كما قال عبيد الله بن إدريس:

أغـــمامةٌ بيـــنَ البوارقِ تـــهْمَـــعُ ... أم شارقٌ وسطَ الكتائبِ يَلـــمَعُ
أم غرَّةَ القمرِ المنيرِ تحفُّهـــــــا ... زُهْرُ النُّجوم أم الهلالُ يُصَدّعُ
لا بل هو المَلِكُ الذي في درعِـــــهِ ... و نجادِه هذي الصِّفاتُ الأربـــعُ[٣]

---

[١] هو أبو الحسن المصحفي، بربري الأصل، ينتمي إلى قيس بالمحالفة، تقلد المناصب في أيام الحكم المستنصر، ثم أصبح حاجباً لابنه هشام، كان مقدماً في صناعة الكتابة، وله شعر كثير مدون، وقد تردد ذكره في المصادر التاريخية التي سردت دوره في الدولة، لكن شخصيته الأدبية تتمثل في ترجمته. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج٢، ص٢٥٧. الحميدي، **الجذوة**، ترجمة رقم ١٧٥.

[٢] ابن الأبار، **الحلّة السيراء**، ج٢، ص٢٦٤.

[٣] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص٤٦-٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كان للطبيعة الأثر البالغ في شحذ قرائح الشعراء, و استخدامها في أشعارهم لتكون دليل صدق على تأملهم و تألقهم في الخيال, فنلاحظ أن الشاعر استخدم العديد من مظاهر السماء في أبياته, كالغمامة و البرق و المطر. فإذا أراد الشاعر لشعره الخلود لا بد أن يزجي لمسات خاصة تضفي عليه الجمال, فالجمال أداة الاستقرار في النفوس, فاستخدم الشاعر أسلوب النفي و الاستفهام.

ومِنَ الشعراء مَنْ شبه الناصر بالربيع الذي يقضي بقدومه على المحل، فيمنح الأرض الروح التي تبعث فيها الحياة بعد موتها، فحياة الأرض حياة أهلها، و رخاءٌ و أمن لمن فيها، فقال أبو بكر أحمد في الناصر:

و أنتَ ربيعٌ إن سطا المَحْلُ صائباً ... إذا ما لَوَتْ عنه السّمَاءُ سحابَها

حَمَتْنا مياهُ الأمن قبلكَ فتنةٌ ... فلولاك حقّاً ما وَرَدْنا عِذابَهَا

بقاؤُك في الدُّنيا حياةٌ لأهلِها ... فَمنْ يتأبّى للحياةِ ذهَابَهَا[1]

عادت الطبيعة بسحرها الجاذب مرة أخرى لتثبت كبير الأثر في شعر الأندلسيين, فها هو الشاعر يتحدث عن الربيع و المحل و المياه، منتقيا منها صورا فنية متنوعة تروق الخليفة الناصر، فمن تشبيه مفرد (أنت ربيعٌ) إلى استعارة (سطا المحل) وغيرها.

و كما استخدم أساليب الإنشاء كالشرط مثلا (لولاك حقا ...).

" قابَلت للخليفة الناصر لدين الله بفضل ما أتاه من أسباب من السعادة، و تطابقت فضائلها لديه باجتماع حلبة من فحول الشعراء أمراء الكلام و تناغيهم في مديح الناصر لدين الله داخلها استثارةً لجوده و تدّرعاً إلى تكريمه، و افتتنوا في تقريظه و توسّعوا في ذكر عدالة سيرته و سماحة كفّه و شجاعة قلبه، و جزالة رأيه، و ثقوب فهمه، و تفرد عزمه و بصره بتدبير حروبه"[2].

قال ابن عبد ربه مادحاً الناصر في جوده و كرمه:

يا مَنْ عليه رداءُ البأسِ و الجودِ ... من جودِ كفّك يجري الماءُ في العودِ

لما تطلعْتَ في يومِ الخميسِ لنا ... و الناسُ حولك في عيدٍ بلا عيدِ

---

[1] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص٤٦-٤٧.

[2] **المصدر نفسه**، ج٥، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و بادرَتْ نحوَك الأبصارُ واكتحـلَتْ بحســنِ يوسفَ فــي محرابِ داودِ[١]

ظهر التأثر واضحا بالمشارقة في الأبيات السابقة في إضفاء صفة الكرم و الجود على الناصر، فالجود يخرج من يده و في هذا تأثر واضح بشعر المشارقة و خصوصا البحتري حين وصف بركة المتوكل حين شبه الجود يخرج من كفه (كف المتوكل)، ففي الموضعين تلاقٍ كبير، أما فيما يتعلق بجمال النص، فيأبى الأندلسيون إلا أن يكون للبلاغة دور كبير، فالصورة الفنية لها حضور واضح, فاستخدم الاستعارة المكنية (رداء الجود). كما شبه حسن الناصر بحسن يوسف-عليه السلام- حين يقف بالمحراب, فتكتحل عيون الناظرين بحسن رؤيته, و هنا يظهر التأثر بألفاظ القرآن الكريم أيضا في (محراب، يوسف، داود).

و قال ابن عبد ربه أيضاً:

بجودِ أميرِ المؤمنينَ تتبَّعَــــتْ عليَّ شِعَابُ العيشِ و هي حوافِلُ
و ألبسني ثوبَ الغنى بعد فاقــةٍ و أنضرَ عودِي بعدَ إذْ هو ذابــلُ
فأذهلني شكري له و امتنانُـــــهُ فعقلي مــن هـــــذا و ذلك ذاهِلٌ[٢]

لم نر تجديداً في أبيات الشاعر، فقد كان الشعراء يمدحون الأمراء، فقالوا فيهم مـــا قالـــه السابقون في ممدوحيهم، و على هذا فالمعاني التي جاء بها ابن عبد ربه قديمة ليس فيها تجديـــد، فالممدوح كريم جواد جميل منير، فالمدح كان تقليديا إذ أن الشاعر الأندلسي استفاد مـــن تـــراث الأوائل في المدح. فقد شبه الغنى بالثوب, و شبه نفسه بالعود الذابل تارة و بالعود النـــدي تـــارة أخرى, و ذلك نتيجة للجود الناصري الذي أسبله عليه.

و من أحسن ما قيل في مدح الناصر بمعنى دقيق قول حَسن بن حسان المعروف بالسِّـــناط:

أخَذُ الورَى من جودِهِ فَغـَنوا به كُلٌ بـــأجمـــَعـــِهـــِمْ و لم يُخْلِ به
كالشمسِ تأخذُ كلَّ عينٍ مِلأهـــــــا منها و تبقى و الشعاعُ بحَسْبِـــــــهِ

[١] مؤلف مجهول، **تاريخ عبد الرحمن الناصر**, (تحقيق ليفي بروفنسال، واميليوغرسيه غومس)، المجلس الأعلى للأبحـــاث العلميـــة, مدريد، غرناطة, ١٩٥٠م، ص٤٠، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص٦٧.
[٢] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، ص٤١-٤٢، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ملكاً يظلُّ المدحُ يهجو بعضَـــه بعضاً إذا ما المدحُ لم يُمدحْ بـــه[١]

و في هذا نلمح التجديد في استخدام الصور الفنية فكل مدح يكن هجاء إن لم يكون بالناصـــر، و ليس من الغريب استخدام المظاهر الطبيعية في الشعر الأندلسي، فكان لها الحضور الكبيـــر. و قد راوح الشاعر في أبياته السابقة بين أسلوبي الخبر و الإنشاء، من خـــلال (أخـــذوا الـــورى) كأسلوب خبري واستخدم أسلوب الشرط (إذا ما المدح لم يمدح به) كأسلوب إنشائي.

نلمح الصور البلاغية في هذه الأبيات، فكل بيت صورة فنية جميلة، فقد بـــرع الـــشاعر براعة كبيرة في تصوير جود الناصر و كرمه بدقة فنية و أسلوب رشيق، حيث كـــان الـــشاعر موفقاً في اختيار الألفاظ، و في مزجه بين الوصف و المدح، فأراد إبراز صفة الكـــرم و الجـــود فالمدح في رأيه يظل في قائمة الهجاء إن لم يكن في الناصر.

سار أبو عثمان عبيد الله بن يحيى على نهج غيره من الشعراء في مدح الناصر بإبراز صـــفة الكرم و الجود حيث قال:

و لمْ أرَ مِن جدوى على مُجتدِي الغِنى سوى جودك المُربي على القطر هامِلِه[٢]

و مما لاشك فيه أن الشاعر في بيته مال إلى التكسب والوصول إلى الجـــاه. وهنـــا نلحـــظ استخدام أسلوب النفي، وأسلوب الاستثناء حيث كان موفقاً في استخدامهما، كما استخدم المطـــر كمظهر من مظاهر الطبيعة أيضاً.

ثم إن غلو الشعراء في مدح الناصر بالجود اضطرهم إلى التزام الكثيـــر مـــنهم طريقـــاً واحداً في مدائحهم بحيث أصبحت أشكالاً تقليدية، و أصبحت معانيهم سطحية ليس فيها إبـــداع أو تحليق.

و من قول موسى بن حُدير[٣] في مديح الناصر و إبراز صفة الرهبة:

معظّمٌ تَحْسِرُ الألحاظُ مِن رَهـــَبٍ عنه، و تلحظُه الآمـــالُ من رَغَـــــبِ

---

[١] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**, ج٥, ص٤٤.

[٢] **المصدر نفسه**، ج٥, ص٤٦.

[٣] أبو الحكم: موسى بن حدير، كان مع رئاسته وجلالته من أهل العلم والأدب والشعر، ولما أفضت الخلافة إلى الناصر أقـــره علـــى المدينة واستوزره يوم استخلافه، وله شعر كثير. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج١، ص٢٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إذا بدا تضحـــكُ الدُّنيا لطـلعتِه و تَـتّقى الجنُّ منه سَوْرَةَ الغـضَـبِ
لما ارتقى في سماءِ الجودِ قادَ به إلى التَّبذلِ فينـــا جـــوهرَ الأدبِ[١]

تجلى البديع في الأبيات السابقة من خلال استخدام أسلوب الطباق بين (رهب ،رغب) و ذلك لتقريب المعنى من الأذهان، فقد يكون المعنى أوضح بضده، كما أن الأبيات لم تخل من أســاليب البيان باستخدام الاستعارة مثلاً في قوله (إذا بدا تضحك الدنيا لطلعته) و في (لما ارتقى في سماء الجود) ففي أبياته أناقة في القول و رشاقة في الأسلوب.

سلك الشاعر مسلكاً آخر في مدح الناصر فقد أوضح فيه الرهبــة التــي ســببها الهيبــة والوقار، فقد خافه الجن قبل أن يخافه الإنسان، إلا أن الدنيا تضحك لطلعته فهو شــجاع جــواد، جوده لا ينقطع، و كرمه لا يوصف.

مثلما أنشأ الشعراء شعراً في مدح الناصر أنشؤوا كذلك في تصوير الأمم التــي حطّــت على مِصْره، فأثنت على الناصر الألسن، فعُرِفَ فضلُه، و كَمُلَ، و تنافس الشعراء فيه من آفــاق الأرض إلى مستقره و مستودعه.

و إثر احتفال الناصر لدين الله لدخول رسول ملك الروم الأعظم صــاحب القــسطنطينية عليه بقصر قرطبة- الاحتفال الذي اشتهر ذكره في الناس- أحب الناصر في تلــك المناســبة أن يقوم الخطباء و الشعراء بين يديه يذكرون جلالة مقعده، و وصف ما تهيأ له من توطيد الخلافــة في دولته، فتصدر منذر بن سعيد البلوطي[٢] بعد إخفاق أبي علي القالي[٣] بخطبةٍ ختمها بشعر نالت إعجاب و إغراب الجميع ببلاغتها و بيانها[٤].

مَقالٌ كحدِّ السيف وسطَ المحافِــلِ فرَقتَ به ما بين حقٍّ و بــــاطــــلِ
بقلــبٍ ذكــيٍّ ترتمي جنباتــُــــه كَبارقِ رعد عندَ رعشِ الأنـــامــلِ

---

[١] ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ص ٢٣٤.

[٢] أبو الحكم: منذر بن سعيد، كان متفنناً في ضروب العلوم، وكانت له رحلة لقي فيها جماعة من العلماء في الفقه واللغة، وكان كثير المناقب والخصال الحميدة مع جهارة صوت وحسن ترتيل، وله تفسير على الكتاب العزيز. (الحميري، محمــد بــن عبــد المــنعم، (ت٩٠٠هـ). **الروض المعطار في خبر الأقطار**, (تحقيق إحسان عباس)، مكتبة لبنان، بيروت, ١٩٧٥م، ص٩٥.

[٣] اسماعيل بن القاسم أبو علي القالي اللغوي، ولد بمناز جلد من ديار بكر، فنشأ بها، ثم رحل منها إلى العراق في طلب العلم، وصل الأندلس سنة ثلاثين وثلاثمائة في أيلم عبد الرحمن الناصر. **جذوة المقتبس**، ج٥، ص١٦٤-١٦٥.

[٤] الرشاطي، أبو محمد, (ت٥٤٢هـ) و الإشبيلي, ابن الخراط (ت٥٨١ هـ). **الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنــوار**, (تقديم وتحقيق إيميليو مولينا وخاثينتوبوسك بيلا)، معهد التعاون مع العالم العربي, مدريد, المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ١٩٩٠م، ص٣٨-٤١. و انظر: الفتح بن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الإشبيلي, (ت٤٢٩هـ). **مطمع الأنفــس ومــسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**, ط١، (تحقيق محمد علي شوابكة)، دار عمان ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م، ص٢٣٩ ــ ٢٥٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فما دَحضتْ رجلي و لا زلَّ مِقولي ... و لا طاشَ عقلي يومَ تـــلكَ الــزلازلِ
بخيـــــر إمامٍ كان أو هو كائنٌ ... لمقتبلٍ أو في العصورِ الأوائـــــــل
ترى النَّاسَ أفواجـــاً يؤمّونَ دارَه ... و كلّهم ما بيــنَ راضٍ وآمـــــــلِ
وفودُ ملوكِ الروم وسطَ فنـــائِه ... مخافةَ بأسٍ أو رجـــاءً لنائـــِــــلِ
فعشْ سالماً أقصى حياةِ مُعَمَّـــرٍ ... فأنت غِيَاثُ كلِّ حافٍ و ناعـــــــل[١]

مما يلفت النظر في الأبيات السابقة أن قائلها فقيه، و في هذا إشارة لطيفة في تقريض الــشعر، فقد كان الشعر ملكة سائغة على ألسنة الكثيرين من الأندلسيين، و من الجدير بالــذكر أن الــشعر المشرقي ظل منارة تهتدي به الشعراء، لا سيما شعراء الأندلس، فقد طرح الشاعر في أبياته معاني سابقة في شعر الأوائل من المشارقة، مثل (الجود، اجتماع الناس من حوله، الهيبة،...)، و كمــا أن الأبيات لم تخل من البيان باستخدام الصور الفنية، و استخدام البديع كالطباق بين (الحق و الباطــل) و بين (الحافي و الناعل). كما وظف الشاعر الطبيعة باستخدام ظاهرة البرق و هذا لم يكن غريبــا في الشعر الأندلسي.

في الأبيات السابقة سلط البلوطي الأضواء على الفضائل التي اجتمعــت فــي شخــصية الناصر، حيث أخمد الناصر يوم توليه نار الشقاق والنفاق، و سكن زلازل المارقين المتمــردين، و رفع الحق و أذل الباطل، و قهر الأعادي. بتوليه اعتز ركن الدين، حمى ذمار المسلمين حيث دخل الناس في طاعته أفواجاً يطلبون الطاعة و الرضا.

حطت الأمم في عصر الناصر في قرطبة حتى ضاقت قرطبة بالوافدين حيث أصــبحت درّة العصر و مشعل الحضارة، جاءته الوفود خاضعة مستسلمة من آفاق الأرض فتجمــع فــي قاعدة ملكه ما لم يكن قبله و لا بعده، فلم يقتصر البلاط الناصري على وفود القسطنطينية و لكنه شهد وفوداً من أوروبا عندما قدمت وفود هوتو (أوتو) ملك الصقالبة[٢]، و ملك الفرنجة[٣]، و ملــك قشتالة[٤]،

---

[١] الفتح بن خاقان، **مطمح الأنفس**، ص٢٤٤.
[٢] المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ص ٢٤٣.
[٣] غومس، غرسيه، **الشعر الأندلسي**، ص ٣٥.
[٤] المراكشي، ابن عذاري، أبو العباس أحمد بن محمد، (د.ت). **البيان المُغرب في أخبــار الأنــدلس والمَغــرب**، ط٥، تحقيــق ج.س .كولان.ج أ. ليفي برفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٥م، ج٢، ص٢٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و في ذلك قال المقري: "كان ملكه بالأندلس غاية ما يكون من الفخامة و رفعة الـشأن، هادته الروم و ازدلفت إليه تطلب مهادنته و متاحفته بعظيم الذخائر، و لم تبق أمة سمعت به من ملوك الروم و الفرنجة و المجوس و سائر الأمم إلا و جاءت إليه، أو وفدت إليه خاضعة راغبة و انصرفت عنه راضية"[١].

قال أحمد بن عبد ربه قصيدة يصور فيها دخول تلك الوفود في الإسلام منها:

قد أوضحَ اللهُ للإسلامِ منهاجاً ... و النّاس قد دخلوا في الدِّين أفواجاً
و قد تزيَّنَت الدُّنيا لساكنهـــا ... كأنّـــها ألبست وشيـاً وديبـــاجـاً[٢]

لا تكاد قصيدة أو حتى مقطوعة من الشعر الأندلسي تخلو من صورة أو استعارة أو طبـاق أو غيره من صور البيان أو البديع، فالشاعر هنا استخدم الاستعارة في قوله (كأنّـها ألبست وشيـاً و ديبـاجـاً)، كما بدا التأثر واضحا بالقرآن الكريم في البيت الأول، (و النّاس قـد دخلـوا فـي الدين أفواجاً), و قوله تعالى : " و رأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا " العصر, آية٥" .

و القصيدة طويلة، فاقتصرت على ذكر هذين البيتين للدلالـة و الإشـارة، فهـي تثبـت شجاعة الناصر و قوته، و أنه أذل دول الكفر، و في ذلك يفهم التعريض بخلافـة بغـداد التـي وصلت إلى حالة التفكك في ذلك الوقت.

وذكر إسماعيل بن بدر أسر العلجة (طوطة)[٣] على الناصر لدين الله في شعرٍ مدحه به فقال:

و قد قِيـدتْ زعيمتُهم إليـــه ... كبلقيسٍ تـحفُّ به الجنـودُ
تلقتْ لا تـرى إلا شهابـَـاً ... به يرمي ويختـطفُ العديدُ
فبادرتِ السجودُ لنورِ وجهٍ ... له وَجبَ التواضعُ والسجودُ
فأوسعَها بفضلِ العفوِ أمنـاً ... و قد كادتْ بمهجتِهـا تجودُ[٤]

[١] المَقَّري، **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**، ج٢، ص٥٨.
[٢] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥, ص٨٩.
[٣] هي ملكة البشكنس و كانت من المعارضين للحكم الإسلامي في الأندلس، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥, ص٨٩، و انظر تاريخ إسبانيا الإسلامية، ج٢، ص٧٣.
[٤] ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد وصف الشاعر في الأبيات السابقة قوة الناصر الملوكية و الفخامة السياسية التي أوجبت على الناس الدخول في الإسلام، فبه عز الإسلام و انتشر، و له أخْضعت الهامات و ذلّت، فظهر الحق و زهق الباطل على يديه فاستحق المدح و الثناء.

في الأبيات السابقة وصل الشاعر بمدحه حد المبالغة, فخرج عن المألوف في جعل البشر يسجدون للبشر فهذا غير مسوّغ إن أراد منه رفعة جانب الممدوح.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: وصف الغزوات

لم تبت الأندلس ليلةً من عهد الناصر إلا على حربٍ أو غزوةٍ قريبة، كانت حياته مليئة بالجهاد و الثورات و الغزوات ضد الإسبان و المارقين و الثائرين الخارجيّين ، فكان الناصر قائداً عظيماً يجمع إلى الشجاعة مكارم الأخلاق فمدحوه الشعراء و وصفوا حروبه.

نظم الشعراء في الحرب الشعر الكثير الذي صور فيه حياة الجهاد في الأندلس، فقد هجر الناصر في غزواته الأهل و الأصحاب الأيام بل الشهور متحيناً فرصة الانقضاض على العدو و إذعانه لأمره، مما أثار إعجاب الشعراء الذين تفنّنوا في تطريز غزواته بكلماتهم الغرّاء التي تثلج الصدور والنفوس و تنقل جوّ المعركة، فراحوا يسجلون لنا أروع أحداث التاريخ بتلك الأبيات.

و من ذلك قول أحمد بن عبد ربه في أوّل غزوات الناصر و هي غزوة المُنْتِلُون:[١]

فَصَلْتَ و النصرُ و التأييدُ جنداكا ... و العزُّ أولاك و التمكينُ أخراكا

و رحمةُ الله في الآفاق قد نُشِرَتْ ... و الأرضُ تبدي تباشيراً لَمَيْداكا[٢]

قد اكتستْ حُللاً مِن وشي زهْرَتِها ... كأنّ زخرُفَها في الحسن حاكاكا

طلَعْتَ بين النّدى و البأس منتهجاً ... هذا بيمناكَ بل هذا بيسراكا

ضدان في قبضتيْ كفيكَ قد جُمِعَا ... لولاهما لم يَطبْ عيشٌ و لولاكا

و النّاسُ يدعونَ والآمالُ راغبةٌ ... و الطوعُ يرجوكَ والعصيانُ يخشاك

يقودُ جيشاً على الأعداءِ مرتَجساً ... عَرَمْرَماً يتركُ الأكامَ دَكْدَاكا

يا رحمةَ اللهِ في الدُّنيا و نعمتَها ... لِتَهْنِ رَحْمتُكَ الدّنيا ونعماك[٣]

تناولت الأبيات السابقة مدح الخليفة الناصر لدين الله حيث حدثتنا عن قوته و شجاعته بهذا النصر المؤزر؛ الذي استطاع من خلاله فتح مئتي حصن - كما أخبرنا ابن عبد ربه في شعره، و الشاعر في أبياته كأنه جندي خاض المعركة، فدخل مع الجنود المنتصرين فأخذ يصور قيادة الناصر للجيش، و طلوع الناصر بين أهله على أعدائه. ففي الأبيات السابقة راوح الشاعر بين

---

[١] غزوة المنتلون: أول غزوات الناصر لدين الله، وكان قد استعد بها من أول رجب من عام ٣٠٠ هـ إلا أنه فصل لها يوم السبت لسبع خلون من شهر رمضان وهو اليوم السابع عشر من نيسان الشمسي الكائن فيها. (للمزيد انظر: القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص٥٨).

[٢] ميْداكا: ميْد: أصابها ندىً أو بلل. ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي المصري، (ت٧١١هـ). **لسان العرب**, دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.

[٣] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص٥٩, **و ديوان ابن عبد ربه**، ص١٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أسلوبي الخبر و الإنشاء, فأضفى على نصه الجمال و الإمتاع فقد بدا الخبر واضحا في (فَصَلْتَ و النصر و التأييدُ جنداكا). و استخدام الإنشاء باستخدام أسلوب النداء مثل (يا رحمة الله) و أسلوب الشرط مثل (و لولاهما لم يطب عيش...), كما أن الأبيات توشت فازدانت بأساليب البديع باستخدام الطباق في(أولاك و أخراك) و (يمناك و يسراك), كما أن الشاعر تألق باستخدام الخيال فرسم صورا فنية أذهلت الأبصار بحسن صياغتها, و دقة رسمها ورونقها, فالأرض أبدت التباشير باستلام الناصر زمامها فاكتست بالحلل من زهرها.

في غزوةٍ مائتا حِصْنٍ ظفرْتَ بها ... في كلِّ حصنٍ غُوَاةً[١] للعناجيجِ[٢]
ما كان ملكُ سليمانَ لِيُدركَها ... و المبتني سَدّ يأجوجٍ ومأجوجِ[٣]

فمن الملاحظ أن الشعراء الأندلسيين كانوا أصحاب ثقافات عالية، فعكس ابن عبد ربه في شعره خبرته الثقافية و معرفته الدينية و تأثره بالقرآن الكريم، من خلال قصة ملك سليمان "عليه السلام" و سد يأجوج ومأجوج، إلا أن الأبيات لم تخل من ألفاظ صعبة كالعناجيج مثلا.

في نصفِ شَهْرٍ تركْتَ الأرضَ ساكِنةً ... مِنْ بعْدِ ما كانَ منها الطُّهرُ قد ماجا
لما رأوا حَوْمَة الشاهينِ فَوقَهُمُ ... كانوا بُغاثاً حواليْها ودُرّاجاً[٤]

وصف ابن عبد ربه حالة الأمن والاستقرار التي نزلت على الأندلس بقيادة الناصر فقد شبه الناصر بالصقر الحائم فوق الرؤوس و الثائرين من حوله كانوا بُغاثاً.

و على صعيد آخر جاءت الكثير من الأبيات التي مزجت المدح بالوصف و الإشادة بالانتصارات، فالتمثيل على هذا الجانب يعد استئناساً ببعض النماذج الأندلسية.

---

[١] غواة: غوى: الضلال والخيبة. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] عناجيج: عنج: مطايا واحدها عنجوج. **المصدر نفسه**.
[٣] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥ ، ص٦٢، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص٤٦.
[٤] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقال أبو عثمان عبيد الله بن يحيى بن إدريس في الناصر وقد غزا الروم في شهر رمضان و أدركه الفطر في بلاد العدو فلم يرحل للقاء العيد و إنما صمد إلى لقائهم:

يَهْنى الخلافة سَعْيُ خير إمَـــامٍ ... لله مسعـــــاه و للإســلامِ
مَلَكٍ تمكّن في المكارم و العُلـــى ... كتمكُّنِ الأرواح في الأجسامِ
عَزَمَ الرّحيلَ مصمّماً في عيـــدِه ... لشفاء غلَّةِ سيفِه الصَّمْصَـامِ
و أبى استساغة فِطره من صومِه ... ما لم يكنْ للسَّيف فِطرُ صيامِ[1]

في الأبيات السابقة دلالة واضحة على الجهاد المقدس من أجل الدين و نـصرة الحـق، فأبرزت الأبيات قوة الناصر في تمكنه و وقوفه أمام عدوه راغباً في إذعـانهم والتغلـب علـى ملكهم، ناسياً و متناسياً فرحة العيد و لذة الفطر، فعيده يكون في انتصاره، وإفطاره يكون بإفطار سيفه، ففي الأبيات براعة في وصف العراك و رباطة الجأش. حيث استخدم الطباق بين (الفطـر و الصوم) دون تكلف فأكسب لذة في تذوقه و قربا في تصوره، فجاء منسجما مع الأبيات متوافقا معها، و على صعيد آخر استخدم الشاعر الصورة في تشبيه تمثيلي كما ظهر في البيت الثاني، و استعارة كما ظهر في البيت الأول.

و لأبي بكر أحمد بن محمد بن مروان بن المنذر قصيدةٌ طويلة مدحه بها عنـد فـصوله إلى بعض غزواته منها:

فصولُك بين الجدِّ و الهَزْلِ فَاصِـلُ ... و يُمْنُكَ للدنيا وللديـنِ شامِـلُ
و غزوُك لا تخفى دَلائـــل نَصْرِه ... و قد بَرَقَتْ للنّجح منه المخايلُ
أيَثْبو وشيجٌ يسكن الموتُ ظِلّـــهُ ... و يهتزُّ منه في يدِ اللهِ عامِـلُ[2]

نلمح في الأبيات السابقة ظاهرة طبيعية، و هي ظاهرة البرق في الليل حيث قال(و قد بَرَقَتْ للنّجح منه المخايلُ) مستخدما أسلوب الاستعارة، كما استخدم أسلوب الطباق بين (الجِد و الهزل)، كما نوّع في المعاني باستخدامه أسلوب الاستفهام والنفي.

[1] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس** ، ج٥، ص٤٢.
[2] **المصدر نفسه**، ج٥، ص٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استطاع الشاعر أن يواكب الأحداث الحربية و يسجل نصر الناصر في قفوله من غزواته فقد تمكن الشاعر في أبياته وصف تخاذل الأعداء و هزيمتهم على يد الناصر التي لا تفهم إلا القتل لمن مرق و تمرد فكأنه تعود صنع الله ــ تعالى ــ في كل خارج متمرد، هذا الناصر الذي بقوته و عزمه أضحك سن الزمان.

هذا الناصر الذي خافه العصيانُ قبلَ أهله، فأنزلَ العاصين، و صلب المارقين حتى سجدَتْ رقابُهم رَغْماً عن أنوفهم له. فَرَحِم الله الأرضَ والبشرية من جورهم، فبالناصر استقام الزمان من ميله، فتباهى الشعراء و فرحت نفوسهم بصلب المارقين، فقال أحد الشعراء يصف نزول عبد الرحمن بن وضاح:

أتى ابنُ وضّاحٍ[1] بالوضّاحِ قرطبَةً ... قد قدّمَ الكلبَ ليس الكلبُ مؤذينا

أتى ولحيتُه في الأرضش مُسْبَلةٌ ... تراه حيناً و يَخفى بينها حينا

فيها من الصوفِ و الأشعار إن نُسِجا ... عبء بفضلتِهِ يكسو المساكينا[2]

في الأبيات تصوير لمجيء عبد الرحمن بن وضاح المارق قرطبة، فعبد الرحمن بن وضاح أحد المنتزين على مدينة لورقة من كورة تُدمير، فضايقه الناصر حتى أذعن بالطاعة وسأل الأمان لينزل إليه، فأعطاه إياه و نزل إليه، فدخل قرطبة و عياله في يوم مشهود، احتفل فيه الناس لرؤيته؛ حيث كان ضخم الجزار ، عظيم اللحية ، فتحدث الناس عنه، كما استغربوا شأن كلب ضخم، جاء به مقدماً أمام حمولته، تُحدث عنه أنه كان يعاقب الناس به[3].

بزّ الشاعر في أبياته السابقة أقرانه من الشعراء فاستخدم أسلوب المشترك اللفظي قي (الكلبَ و الكلبُ) و في ابن (وضاح و الوضاح) فبهذا الاستخدام أضاف الجمال إلى الأبيات بالإضافة الى العمق في التفكير.

قال أحد الشعراء في صلب سليمان بن عمر بن حفصون:

سحابٌ يمورُ الغيثُ منها وديمةٌ ... دماءَ المِدَى تهمي به و تمورُ

---

[1] هو عبد الرحمن بن وضاح، أحد المنتزين على مدينة لورقة من كورة تدمير، ابن حيان ، **المقتبس**، ج٥، ص١٩٦.

[2] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس** ، ج٥، ص١٩٦-١٩٧.

[3] **المصدر نفسه**، ج٥، ص١٩٦ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غيَاثَان فينا واكفانِ من الحيـــا و لكنّ ذا رجسُ و ذاك طهورُ
و ذَاك نجيعاً ليس يقبلُـــه الثرى و ذا ناجعاً يَسري به و يغـــورُ
تدنـــّسَتْ الدُّنيـــا بـــه فتطَهرَتْ بطونٌ لها من رجسِه و ظُهُورُ[1]

كأن الطبيعة لا تريد أن تنفك عن ألسنة الشعراء، فظلت مسيطرة على عقـــولهم فظهـــرت في أشعارهم، و بدا ذلك في استخدام عدة ألفاظ مثل (السحاب، الغيث، و ديمة) و في ذلك إشارة إلى استخدام الترادف أيضا بين لفظي (السحاب و الديمة) كما استخدم الشاعر أسلوب الطباق في (بطون و ظهور) و (رجس أو دنس و طهور) فهذه المحسنات أضفت على النص الجمال.
و قال أحمد بن محمد الرازي[2] في صلب أوصال عمر بن حفصون:

تبدّى لرأي العينِ مَرأىْ مجسّمـــاً و قامَ من الأجداثِ خُلقاً متمّمَا
رقى فوقَ جذعٍ بالـــــهواءِ معلقٍ يحاولُ منه بالنُّجومِ تحرُّمـــا[3]

في الأبيات السابقة صورة واضحة لصلب المارق، فقد بدا للعين معلقاً على جذع شـــجرة محاولاً الوصول إلى النجوم، و في ذلك دلالة واضحة على طول الشجرة المعلق بها المارق.
فقد أبدع الشاعر في وصفه، و في نقل صورة المتمرد إلى أذهان القارئين بصورة حية قريبة من تخيلهم. فبإراقة دم المارقين جلت ظلمات الكفر عن أرض قرطبة و الأندلس، فأشرقت و لاحـــت عليها الشمس الساطعة.
الناصر عاش و أحيا الناس معه بنعمة القضاء على الكفر و التمرد، فهو قائـــد الجيـــوش علـــى أعدائها، و مُخْمِدُ الفتن من أوّلها، فأبدع الشعراء في وصف صوائفه و غزواته و في ذلـــك قـــال ابن عبد ربه:

كم ألحم السيفَ من أبناء ملحمةٍ ما منهمُ فوقض ظهرِ الأرضِ ديَّارُ
فأوردَ النّارَ مـــن أرواح بارقةٍ كادتْ تمَيَّزُ من غيظٍ بها النّـــارُ

[1] المراكشي، ابن عذاري، **البيان المُغرب**، ج٢، ص١٩١-١٩٢.
[2] أحمد بن محمد بن موسى الرازي، أصله من الري، له في أخبار ملوك الأندلس، ألف في قرطبة كتابا على نحو ما ألف في أخبار بغداد،الحميدي، **جذوة المقتبس**، ج٥، ص١٥٤.
[3] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص٢٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأنّما صالَ فـــي ثني مفاضـــتِه ... مستأسدٌ حنقَ الأحشـــاءِ هَـــرّارُ[١]

لما رأى الفتنة العمياءَ قد دَخنتْ ... منها على النّاس آفـــاقٌ و أقطارُ

و أطبقت ظُلَمٌ من فوقِهـــا ظُلَـــمٌ ... ما يستضاءُ بها نورٌ و لا نـــــارُ

قادَ الجيادَ إلى الأعداءِ ساريـــة ... قباً طواها كطيِّ العصبِ إضمارُ[٢]

ملمومة تتبارى فـــي مـــلملمـــةٍ ... كأنّها لاعتدالِ الخـــــلقِ أقمـــارُ

تفوت بالثأرِ أقوامـــاً و تـــدركُـــه ... من آخـــرين إذا لم يدركْ الثـــأرُ

فانصـــاعَ ناصرُ دينِ اللهِ يقدمُهم ... و حولـــه من جنودِ اللهِ أنـــصـــارُ

كتائبٌ تتبـــارى حـــولَ رايتِـــه ... و جحفلٌ كسوادِ اللَّيـــــلِ جـــرارُ[٣]

جاء الشعر في تلك الأبيات متميزاً بشدة انفعاله، قريباً من أحداث واقعه، فجـــاء مـــصوراً لتلك الغزوة التي قادها الناصر حتى بدا ملازماً لها، فقد وصف الشاعر المعركة و أدواتها و لقاء أبطالها، فجاء الوصف في صورة فنية عالية المستوى تترجم هول الحرب و مخاطرها، و عـــدد أفرادها، فقد كان جيش الناصر جراراً كسواد الليل، و من الجميل في هذه الأبيات مزجهـــا بـــين وصف الحرب و مدح الناصر بإبراز شجاعته و إقدامه و قدرته في قيادة الجيش وبـــسالته فـــي أرض الوغى. كما تخلل هذه الأبيات صور فنية جزئية أثرت الموقف إلماما و توضـــيحا، كمـــا كشفت الأبيات عن تأثر الشاعر بألفاظ القرآن الكريم كما بدا في قوله (كادت تميز من غيظ بهـــا نار) و الآية من قوله تعالى: "تكاد تميز من الغيظ كلما ألقي فيها فوج" "الملك, آية ٨"

أبدع الشعراء في استخدام الصور حتى صارت مؤشرا على سعة خيالهم و رقة حـــسهم و دقة تصويرهم فقال عبيد الله بن إدريس:

كـــأنّ جيادَهُ عـــقبَانُ جـــوٍّ ... يَطِرْنَ على الأعادي كالأسودِ

و مُعْترك ٍ تخالُ النّقـــعَ فيه ... ستـــارةَ غادةٍ حسنـــــاءَ رُوَد

كأن صليلَ قرْع البيض فيه ... رنينُ الباكيـــاتِ علـــى اللحودِ[٤]

---

[١] المفاضة: فضض الدرع الواقي. ابن منظور، **لسان العرب**. هرار: هر: مكشر عن أنيابه. ابن منظور، **لسان العرب**.

[٢] قبا: من القب وهو دقة الخصر وضمور البطن في الخيل **المصدر نفسه**. العصب: نوع من الثياب المخططة. **المصدر نفسه**

[٣] الثعالبي، الثعالبي، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت٤٢٩هـ). **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٥مج، (تحقيـــق مفيد محمد قميحة)، دارالكتب العلمية، بيروت،١٩٨٣م، ج٢، ص٨٦.

[٤] ابن الكتاني، **التشبيهات**، (ت٤٢٠هـ). **كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**, ط٢، (تحقيق إحسان عباس)، دار الشروق، بيروت, ١٩٨٦، ص٢٠٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاء الشاعر في أبياته السابقة مصوراً لجو المعركة، فقد كان جنود الناصر كالطيور تطير على أعاديها فاعلة فعل الأسود، كما صور ساحة المعركة و أثر الغبار فيها فكانت كالغطاء الساتر، و في ذلك دلالة واضحة على شدة الاعتراك، و عدم القدرة على الرؤية؛ فالجو الساخن للحرب يرافقه صوت صاخب لصليل السيوف الذي شبه قرعها بصوت الباكيات على القبور.

و من هنا فإن الشعر في تصوير الحرب زمن الناصر كثيرٌ، فقد نطق الشعراء بلسان غيرهم، و عبروا عن أهدافهم ومواقفهم في حروبهم وجهادهم، فحفظ عزتهم ومنعتهم، و خلّد ذكرهم على مر الزمان.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: التهنئة بالنصر

بعد مكابدة المارقين العصاة، و الظالمين لأنفسهم والإسلام، ذاق الناصر حلاوة النصر و التأييد، و بانتصاره أحيا العدل بعد موته، و أصلح الحياة بالقضاء على عصاتها، و نشر رحمة في الأرض حتى أبدت الأرض تباشيراً لأهلها. فهنيئاً للأرض والبشرية بهذا الخليفة الجامع للمكارم و العلا.

أكثر شعراء دولته القول في تهنئتهِ بالقفول من غزواته، و من ذلك قصيدة أحمد بن عبد ربه إثر فتح الناصر لمدينة لبْلة، حيث مدح بقصيدته تلك الناصر، و أثنى على حاجبه بدر بن أحمد، الذي وكله الناصر بفتح تلك المدينة التي تقع غربي الأندلس، و استنزال صاحبها عثمان بن نصر، فلما نزل به بدر لاطفه و بذل الأمان له و لأصحابه، و أجابه إلى كل ما يحبه؛ إلا أنه أصر على المعصية، فنازله الحاجب بدر عند ذلك، و استجاش عليه أهل الطاعة، و اضطرب بالعسكر على باب المدينة بضروب من الخيل، و جاءوا إلى الحاجب بدر، منتزين في عثمان و حربه، فساوره في المدينة وجدّ عليه في حربه إلى أن اقتحم عليه المدينة ليلة الاثنين لعشر بقين من رمضان سنة (٣٠٤هـ) فقبض على عثمان بن نصر، و سار به مقيداً إلى قرطبة[١]، فقال ابن عبد ربه:

خليفةُ اللهِ و ابنُ عَمِّ رسو ... لِ اللهِ و المصطفى على رُسُلِهْ
هنّئْكَ نُعْمَى نَمَتْ سوَابِغُهـا ... كما استتمَّ الهلالُ في كَمْلِـهْ
وجهُ ربيعٍ أتاكَ باكِـرُهُ ... يرفلُ في حلّيهِ و فـي حُلَلِـهْ
كـأنَّ أثـوابَهُ ملبّـسَـةٌ ... أثوابَ غصنِ الزَّمـانِ مقتبلِـه
و جاءَكَ الفتحُ مالـه مثـلٌ ... و كلُّ شيءٍ يُعْزَى إلـى مَثَـلِهْ
مظـفـراً لا تُرَدُّ عَزْمَتُـهُ ... و مَنْ يُرَدُّ الكتابَ عـن أجَلَـهْ
إقـدام عمـرٍو و عنتـرةٍ ... يعجـز عن كـيـدِه وحيـلِـه
نصراً من الله قد تضمّنـهُ ... ينهضُ في رَيْثِهِ و في عجَلِـهْ[٢]

جاءت الألفاظ في الأبيات السابقة سهلة واضحة قريبة من الأفهام، بعيدة عن الحوشية و الغرابة، ظهر أسلوبه مسترسلا دون تكلف، كأن جعبته مليئة بألفاظ التهنئة، يريد أن يقول الكثير

[١] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص١٢٨.
[٢] **المصدر نفسه**، ج٥، ص١٢٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فكان الإيجاز أبلغ دليل. استخدم التشبيه الضمني حيث شبه حال الممدوح و عزمه بتنفيذ الأمـــور كحال الأجل الذي يُنَفّذ دون التراجع أو التأخير.

و قال ابن عبد ربه في فتح قرْمونة و الظفر بابن سوادة من قصيدة:

أمّا الهدى فاستقامَ من أوَدِه ... و مـــدَّ أطنَابَـــــهُ على عَمَـــدِهْ

و انتعشَ الدينُ بعدَ عَثْـــرتِه ... و اتـــصلتْ كفُّهُ على عـــضْدِهْ

و زلزلَ الكفرَ من قواعِـــدِه ... و جَـــبَّ رأسَ النِّفاقِ مِنْ كـــتَدِهْ

بفتح قرمونةَ التي بَسَقَـــتْ ... ما تمـــدَّ كفَّ الخِلافِ من عَدَدِهْ[1]

في الأبيات السابقة تهنئة للناصر بفتح مدينة قرمونة حيث أكثر الشاعر في أبياتـــه مـــن استخدام الصور الفنية ففي تلك المدينة أغزى الناصر إسحاق بن محمد لإنزال صـــاحبها حبيـــب ابن عمروس بن سوادة، ودخولها في طاعة الناصر، إلا أنه جاهر بالمعصية، فنفدت الكتب إلـــى أهل الطاعة بكل كور الغرب بالاحتشاد إلى إسحاق، فلما اشتد الأمر على جيش الناصر؛ أخـــرج لهم الحاجب بدر بن أحمد واضع الخطة في الجيش الكثيف، و العدة التامة، فاحتل عليه و أحـــدق به و رماه بالمجانيق حتى وقع في قبضة الأسر و ضيق الحصار، فاقتحم عليه بدر مدينة قرمونة و دخلها عنوة يوم الخميس لخمس خلون من ربيع الآخر من عام ٣٠٥هـ[2].

[1] القرطبي، ابن حيان، ج٥، ص١٣٧.
[2] **المصدر نفسه**، ج٥، ص١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: الشعر الإخواني

شاع في الأندلس الشعر الإخواني، و هو نوع من الترف الأدبي أوحت به البيئة الأندلسية، و كثر فيها كثرة كبيرة، حيث يتبادله أمراء و شعراء و فقهاء و عامة الناس، و ترجع أهمية هذه الأشعار لدلالتها الفنية التي تمتاز بها، و لأسلوبها الواضح الرقيق مع بعده عن التكلفة و النفاق العاطفي. و يقسم إلى مطلبين:

المطلب الأول: المراسلات الشعرية

نظم شعراء الأندلس الشعر في مختلف الأغراض، فلم يشذوا بوجه عام عن القواعد و الأساليب المتّبعة، حيث حاكى الأندلسيون غيرهم في هذا الباب، فقد اعتادَ الشعراء منذ القديم أن يبعثوا رسائل شعرية لبعضهم و للآخرين تعكس الرضا أو السخط، و تحمل في طيّها الاعتذار أو الشكر.

و قد حفلت كتب الأدب بهذا الفن ، كما عني الشعراء الأندلسيون بهذا الفن، ففي كتاب التشبيهات، استهدى إسماعيل بن بدر عوداً من عبد الحميد بن بسيل فبعث إليه بعود بالٍ، فكتب إليه إسماعيل:

جُدتَ لي حينَ جُدْتَ بعـــــــودٍ ... كان فيما مضى لآل الوليـــــدِ[1]
رقَّعَتْهُ الأكفُ جيـــلاً فجيـــــــلاً ... فهو عندي فسيفساً من عـــــودِ
نَسَجَتْ فوقه العناكبُ لمـــــــــا ... حَسِبَتهُ رسماً عفـــا من بُـرُودِ
كدريس السطور أو كبقايـــا الـــ ... حِبْرِ في الخطِّ أو رثـيثِ البرودِ[2]

في الأبيات السابقة ظهر العتاب واضحاً من إسماعيل بن بدر لصاحبه عبد الحميد بن سبيل نتيجة بعث العود البالي إليه و الدليل على ذلك أن العناكب نسجت فوقه بيتها فأصبح مهجوراً، و صور قدمه و هجرانه أيضاً بالسطور البالية أو بقايا الحبر التي خطت على ورق البرود القديم. كما اقتصرت الأبيات السابقة على استخدام أسلوب الخبر في التعبير، كما امتازت بوجود ألفاظ قوية تذكرنا بلغة الجاهليين في وصف الأطلال بالرغم من اختلاف الموقفين، فذاك يبكي الحبيب و هذا يذم عودا باليا إلا أن هناك ألفاظاً توحي بذلك مثل (دريس، السطور، بقايا) و من جانب آخر فهذا يعكس ثقافة الشاعر الأدبية التي أكسبته هذا الموروث اللغوي.

---

[1] آل الوليد: رمز في القِدم، ولعله يعني من تسميته الأساطير، ابن الكتاني. **كتاب التشبيهات**، ص١٠٩.
[2] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص١٠٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و قال كذلك جعفر بن عثمان يذكر شعراً أورده لإسماعيل بن بدر:

إذا انحدَرَتْ مـــــن بين فكَّيْكَ خِلْتَها ... أساودَ[1] رَمْلٍ يحذرُ النَّاسُ سُمّها
وقد وَرَدَتْني عنْـــــكَ غُرُّ شَوَارِدٍ ... تعالينَ أن يَمْنَحْنَ غيرُك ضَمَّها
فَخِلتُ الثُّريـــــا طالعتْني و غادَرَت ... مطالعُها سودَ الذُّرَا مُدْلِهمَّهـــا
مراسيلُ ألفاظٍ كما انسكبَ الحـــيا ... يُطبِّقُ بُطنـــانَ البلادِ فأكمهـــا[2]

هذه الأبيات تعكس مراسلة شعرية بين شاعرين، و فيها أيضاً عتاب و لـــوم لإســـماعيل ابن بدر لما ورد عنه من ألفاظ تسيء إلى جعفر بن عثمان حتى أنه شبه تلك الشوارد أو الكلمات بأنها أفاعٍ تحذر الناس من سمها، فمن يسمعها يحسب أنه بلغ الثريا إلا أن تلك الألفاظ لا توصله إلا إلى سود الجبال.

وفي تلك الأبيات دقة في استخدام الألفاظ وبراعة في التصوير، تعكـــس ذوق الـــشاعر الرفيع وحسن اختياره للفظ المناسب ليؤدي المعنى المراد دون جهد أو عناء.

وفيما روي عن حبِّ أحمد بن كليب[3] لأسلم بن عبد العزيز[4]، حيـــث اشـــتد كلفـــه بـــه، فَصرف فيه القول ففشت أشعاره فيه، و جرت على الألسن، و أُنشدت في المحافل و الشّاهد على ذلك أن أحمد بن كليب في أحد الأعراس في شوارع قرطبة مضى يزمر لعبد الرحمن الناصـــر وهو يزمر في البوق أخذ يقول في أسلم:

أسلمني في هـــــوا ... هُ أســـــلمُ، هذا الرّشـــــــا
غزالٌ له مقـــلـــــــةٌ ... يصيبُ بها مَـــن يشـــــــــا
وشي بيننا حـــــــاسدٌ ... سيسألُ عمـــا وَشـــــــــى
و لو شـــاء أن يرتَشي ... على الوصلِ روحي ارتشـــى[5]

---

[1] أساود: أفاعي. ابن منظور، **لسان العرب**.
[2] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص١١٢.
[3] أحمد بن كليب أديب شاعر مشهور بالشعر، ولا سيما شعره في أسلم، وكان قد أفرط في حبه حتى أداه ذلك إلى موته وخبره في ذلك طريف. الحميدي، **جذوة المقتبس**، ج٥، ص١٤٣، ترجمة ٢٤٤.
[4] أسلم بن عبد العزيز بن هاشم، يكنى أبا الجعد، ولي قضاء الجماعة بالأندلس لعبد الرحمن الناصر، وكانت له رحلة، روى فيها عن أبي موسى يونس بن عبد الأعلى وغيره، وله سماع بالأندلس من بقي بن مخلد ومحمد بن عبد السلام الشافعي، مات لسبع بقين مـــن رجب سنة عشرة وثلاثمائة. الحميدي، **جذوة المقتبس**، ج٥، ص١٧٢، ترجمة ٣٢٢.
[5] الحميدي، **جذوة المقتبس**، ج٥، ص١٤٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

سار الشاعر على نهج غيره من الشعراء الذين سلموا أنفسهم للطبيعة، ففي الأبيات السابقة وجَه الشاعر نظره إلى جمال الغزال، فاستدعاه في شعره ليشبّه أسلم به، و في ذلك تقليد لا ابتكار، إلا أنه استخدم الترادف في أبياته في كلمتي (الرشا و الغزال).

و روي كذلك أن أحمد بن كليب أصيب بمرض أقعده في المنزل أيّاماً فكتب شعراً يسألُ فيه أسلم الزيارة فقال:

أسْلم يا راحة العليل ... رفقاً على الهائم النحيل

وَصْلُك أشهى إلى فؤادي ... من رحمةِ الخالق الجليل[١]

لم أر في الأبيات السابقة ما يستوقفني سوى التمرد على الذات الإلهية، و الخروج على الدين، و هذا بحد ذاته مرفوض، و هذا ما يقود إلى رد الكلام على صاحبه.

و ذكر صاحب جذوة المقتبس أن أحمد بن كليب أهدى إلى أسلم كتاب "الفصيح" لثعلب و أرسل مع الكتاب بيتين من الشعر بألفاظ سهلة بسيطة لا تعكس عمق الخيال، يقول فيها:

هذا كتابُ الفصيح ... بكلِّ لفظٍ مليح

وهبتُه لك طوعاً ... كما وهبتُكَ روحي[٢]

و كذلك ذكر الحُمَيْدي في جذوته أن ابن كليب كتب لمحمد بن خطاب شعراً يتغزل فيه بأسلم، فعرضه ابن خطاب على أسلم فقال: هذا ملحون، و كان ابن كليب قد أسقط التنوين في لفظه في بيت من الشعر، فكتب ابن خطاب بذلك إلى ابن كليب، فكتب إليه ابن كليب مسرعاً:

---

[١] **المصدر نفسه**، ج٥، ص١٤٦.

[٢] **المصدر نفسه**، ج٥، ص١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ألحقْ لي التنوينَ فـــي مطمعٍ فإنَّني أنسيــتُ إلحـــــاقهُ
لا سيما إذ كان في وصلِ مَنْ كدرَ لي في الحبِّ أخلاقهُ[١]

هذه الأبيات تعكس رؤية خاصة للأندلسيين، حيث تعكس مدى اهتمامهم باللغة، فهذا قادهم إلى الحرص على الاستخدام السليم، و رفض كل ما هو ملحون، لأن في قوة اللغة قوة أصحابها.

و فيما ورد عن مريم الطويل و يوسف الطويل في تحقيق النفح عن ابن بسام أنّ أبا عـــامر ابن شهيد أحمد بن عبد الملك الوزير أهدي له غلام من النصارى لم تقع العيــون علـــى شـــبهه فلمَحَهُ الناصر فقال: أنّى لك هذا ؟ قال هو من عند الله، فقال له الناصـــر: تتحفونَنَـــا بـــالنجوم و تستأثرون بالقمر، فاستعذر و احتفل في هدية بعثها مع الغلام، و قال يا بنيّ، كن مع جملـــةِ مـــا بعثت به، و لولا الضرورة ما سمحت بك نفسي، و كتب معه هذين البيتين:

أمولايَ هذا البدرُ سارَ لأُفقِكم و للأُفقِ أولى بالبُدورِ من الأرضِ
أُرَضِّيكُمُ بالنفسِ و هي نفيســةٌ و لم أرَ قبلي مَنْ بمهجَتِهِ يُرْضِـــي[٢]

ظهرت معالم الطبيعة بارزة في الأبيات السابقة، حيث استخدم الشاعر الألفاظ التي تـــدل عليهـــا مثل(البدر، الأفق ،الأرض)، كما أنه استخدم أسلوبي النفي و النداء.
فحسن ذلك عند الناصر و أتحفه بمال جزيل، و تمكّنَت عنده مكانته.

كما أورد يوسف الطويل ومريم الطويل في تحقيقهما أنّ بعد الغلام أُهـــدِي أبـــو عـــامر بجارية من أجمل نساء الدنيا، فخاف أن ينتهي ذلك إلى الناصر فيطلبها فتكون كقـــصة الغـــلام، فاحتفل في هدية أعظم من الأولى و بعثها معها و كتب له:

أمولايَ، هذي الشمسُ و البدرُ أوّلاً تقدّمَ كيما يلتقي القمـــــرانِ
قِرَانٌ لعَمري بالسعادةِ قـــد أتـــــى فدُمْ منهما في كـــوثرٍ و جنانِ

[١] الحميدي، جذوة المقتبس، ص١٤٦-١٤٧.
[٢] المقري، أحمد بن محمد التلمساني, (ت١٠٤١هـ). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيـــب**, ٢مج، (تحقيق مريم قاسم الطويل ويوسف الطويل)، دارالكتب العلمية، بيروت, ١٩٩٥م. ص٣٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فما لهما و اللهِ في الحسن ثـــالِـــثٌ و مالكَ في مُلك البريّةِ ثـــاني[١]

ما يلفت النظر في الأبيات السابقة هو أسلوب القسم السماعي، (لعَمْري) و في هذا الأسلوب لم يخرج الشاعر من دائرة التقليدية بل ظل فيها، كما أنه نوّع بين أسلوبي الخبر و الإنشاء، و استخدم أسلوب النداء بأداة الهمزة (أمولاي).

ثم إن أحد الوشاة رفع للملك أن بقي في نفسه من الغلام مرارة، و لا يزال ابـــن شـــهيد يذكره، فعمل الناصر حيلة في أن كتب على لسان الغلام رقعة، يطلب فيها من ســـيده أن يتحيّـــل في استدعائه من الناصر. فلما وقف أبو عامر على تلك الرسالة كتب على ظهر الرقعة:

أمِـــنْ بعـــدِ إحكامِ النَّجاربِ يـــنبغي لديَّ سقوطُ الطّير في غابةِ الأُســـدْ
و مـــا أنـــا مِمّن يغـــلبُ الحبُّ قلبَهُ و لا جاهلٌ مما يدّعيه أولـــوُ الحَسَدْ
إن كنتُ روحي قد وهبتُك طائعاً و كيف يُرَدُّ الرّوحُ إن فارقَ الجسدْ؟[٢]

فلما وقف الناصر على الجواب تعجّب من فطنته و لم يَعُد إلى استماع واشٍ به. ففـــي الأبيـــات السابقة ظهرت التجربة الحياتية التي قادت إلى استخدام الحكمة، فالطـــائر الوديـــع لا ينبغـــي أن يسقط في غابة الأسود، كما ظهر الاستفهام الإنكاري في (أمِـــنْ بعـــد إحكام التجارب يـــــنبغي) و (و كيف يُرَدُ الرّوحُ إن فارق الجسد) حيث برز التوفيق في الاستخدام و في تنسيق الألفاظ و إخراج الصور.

و مما يلفت النظر في شعر المراسلات، أن الشعر لم يكن وقفاً على الشعراء المحتـــرفين و إنما شاركهم في ذلك الوزراء و الكتّاب و الفقهاء و الفلاسفة و الأطباء، فـــالمجتمع الأندلـــسي بسبب تكوينه الثقافي القائم على العربية وآدابها، جعل المجتمع يتنفس الشعر طبعاً، و كأنما تحول معظم أهله إلى شعراء.

فقال أبو عمر أحمد بن فرج صاحب كتاب "الحدائق": حدثني أبو بكر إسماعيل بن بـــدر، أنّه خاطب أمير المؤمنين الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد –رحمه الله– في غزاة آلـــىَ ألا يأنس بمنادمة أحد حتى يفتح معقلاً. فافتتح معقلاً بعد آخر و تمادى على عزمه في العزوف عن المنادمة فذكر أنه كتب إليه:

---

[١] المقري، **نفح الطيب** ، تحقيق يوسف الطويل و مريم الطويل، ص٣٤٧.
[٢] **المصدر نفسه**، ص٣٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لقد حلّتْ حُمَيا الرّاح عنـــدي و طابتْ بعدَ فتحِكَ معقـــلين
و آذنَ كلُّ هَمٍّ بانفـــــــــراج و أن يَقضي غريمٌ كل دَينٍ [١]

في الأبيات السابقة ظهرت الدعوة واضحة لشرب الراح إثر فتح المعقل، غير أنني أشك أن تكون تلك الدعوة لعبد الرحمن الناصر لما عُرِف من التزامه و تورعه وتقواه، و إن كانت له بعض الهفوات التي لا تصل إلى حد الشرب, فهو بشر و كل إنسان مُعَرَّض للخطأ، لكن أستبعد أن يكون الناصر متعاطيا للراح أو منادما فيها.
قال صاحب كتاب الحدائق على لسان اسماعيل بن بدر: فلم يحركه ما خاطبتـــه بـــه، فعاودتـــه بالمخاطبة فقلت:

يا ملكاً رأيُه ضيـــــــاءٌ في كلِّ خطـــــــبٍ ألمّ راجِ
مَن لي بيومٍ به فـــــــراعٌ ليس أخو حربِه بنـــــــــاجِ
بكلِّ بيضاءَ من رآهـــــا يحسبُها شعلةَ السِّـــــــراجِ
لا تـــنسَ مولاكَ في وغاها و اذكرْه في حومةِ الهيـــــاجِ [٢]

ظهرت الصراحة في الشرب و المنادمة في الأبيات السابقة و ذلك باستخدام اسم من أسماء الخمر و هو(بيضاءَ) كما شبهها بشعلة السراج الـــذي يناســـب جـــو المعركـــة و الحرب، فالموقف بالنسبة إلي واحد وهو الشك في شرب الناصر للخمر.
فذكر أن عبد الرحمن الناصر جاوبه:

كـــيفَ و أنّي لمـــــنْ يُنـــاجـــي من لوعةِ الهمِّ ما أُناجـــــي
يـــطمعُ أن يـــستريـــحَ وقتـــــاً أو يقتلَ الراحَ بالمـــــــزاجِ
لو حُمِّل الصخرُ بعضَ شَـــجْوي عادَ إلى رقة الزُّجـــــــــاجِ
كـــنتُ لما قد علمتَ الهَـــــوْ لَ إذ أنا مما شكوتُ نـــــاجِ

[١] ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج١، ص١٩٩.
[٢] **المصدر نفسه**، ج١، ص١٩٩-٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فـصرت للبين في عـــــلاجٍ طمَّ و أربى علـى العـــلاجِ
الـــوردُ ممـــا يُهيج حـزني و يـبعثُ السوسنُ اهتياجـي
لا ترجُ ممـــــا أرَدْتَ شيئـا ً أو يؤذنَ الـهمُّ بانفـــــراجِ[١]

جاءت هذه الأبيات تثبت قدرة الناصر على قرض الـشعر، فـأظهرت الأبيـات تواضـع إمكانياته، فكانت لغته سهلة، قريبة من الفهم، لا تكلف فيها و لا اصطناع، كما أنـه لجـأ إلـى استخدام بعض عناصر الطبيعة مثل (الورد و السوسن) و الغريب في ذلك أنه اسـتخدمهما فـي صورة غير مسبوقة، فالمعروف أن الورد و السوسن يبعث على الارتياح، لكن الورد و السوسن في نظر الناصر يبعث على الحزن و الألم.

و من المراسلات التي تمّت بين الأصدقاء، مراسلة محمد بن أبي عبـده إلـى صـديقه الشاعر أحمد بن عبد ربه يستدعيه فيها ليأنس بالطرب و اللهو، منها:

أعدْها في تصابيهـا جِذاعا ً فقد قضَـــتْ خواتمَها نزاعا ً
قلوبٌ يستخفُ بها النَّصابي إذا سُكبت لها طارَتْ شعاعا ً[٢]

فأجابه أحمد بن عبد ربه:

حقيقٌ أن يصاخَ لك استمـــاعُ و أن يعصى العذولُ وأن تطاعا
متى تكشفْ قناعَك للنَّصابـــي فقد ناديْتَ مَنْ كشَـــفَ القنـاعا
متى يمشِ الصديقُ إليّ فِتـراً مشيتُ إليه من كـرَمٍ ذراعـا
فجدّد عهدَ لهوك حين يُبلـــى و لا تُذهبْ بشاشتَـــهُ ضَياعا[٣]

[١] ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج١, ص١٩٩-٢٠٠.
[٢] الضبي، **بغية الملتمس**، ص١٠٠، و **ديوان ابن عبد ربه**، ص١٢٥.
[٣] الضبي، **بغية الملتمس**، ص١٠٠، و **ديوان ابن عبد ربه**، ص١٢٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما يلفت النظر في الأبيات السابقة تأثر الشاعر بالحديث النبوي و الذي جاء فيه، قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ: " إذ١ تقرَّب إليَّ العبد شبرا، تقربت إليه ذراعا، و إذا تقرب مني ذراعا، تقربت منه باعا، و إذا أتاني مشيا أتيته هرولة"[١]

و من خلال ما سبق تبين أن المراسلات كانت أمراً شائقاً في الكثير من المناسبات لدرجة أن الشاعر إذا أراد شيئاً هَمَّ مسرعاً و كتب إلى صديقه.

و ذكر ابن سعيد في المُغرب نقلاً عن صاعد في "طبقات الأمم" أن سعيد بن عبد الرحمن ابن محمد فَصَدَ يوماً، فبعث إلى عمه ابن عبد ربه راغباً في الحضور عنده فلم يسعفه، فكتب له:

لما عدمْتُك مؤنساً وجليسا ... نادمْتُ بقراطاً وجالينوسا
و جعلتُ كُتْبَهما شِفاءَ تفردّي ... و هما الشفاءُ لكل بَرْحٍ يُوسى[٢]

عكست هذه الأبيات مدى ثقافة الأندلسيين الواسعة التي لا تقف على حدود الثقافة العربية، بل تخطتها إلى كتب (بقراط) و جالينوس والتي تهتم بالجانب الفلسفي في الحياة.

فجاوبه عمه:

ألفيتَ بقراطاً و جالينوسا ... لا يأكلان و يرزآن وجليسا
فجعلتَهم دونَ الأقاربِ جُنَّةً ... و رضيتَ منهم صاحبا و أنيسا
و أظنُّ بُخْلَكَ لا يرى لك تاركاً ... حتى تنادمَ بعدَها إبليسا[٣]

[١] الإمام محيي الدين, (ت٦٥١هـ). **صحيح مسلم**, ط٣، (تحقيق الشيخ خليل شيحا), دار المعرفة, لبنان, ١٩٩٤م، ج١٧، ص٣.
[٢] ابن سعيد الأندلسي, **المُغرب في حلى المَغرب**، ج١، ص٢٠.
[٣] ابن سعيد الأندلسي, **المُغرب في حلى المَغرب**، ج١، ص١٩٩-٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم تكن المراسلات الشعرية وقفاً على موقفٍ و الرد عليه و إنما تعدّت ذلك بمعارضة بعض الشعراء بهدف التفوق، فقد عارض ابن عبد ربه مسلم بن الوليد في قصيدته أديرا عليّ الراح، مدفوعاً إلى ذلك بثقافته الأدبية الواسعة و طبعه الفني الأصيل و روحه الأندلسية الطموحة.

ففي هذه لم يجانب التحرر و يترك الإصغاء إلى قلبه و إنما تحرر فلم يلتزم مذهباً معيناً، و أصغى إلى قلبه فقال في كل أحاسيسه وخلجاته.

و عارض ابن عبد ربه مسلم بن عبد الوليد قائلاً:

أتقتُلُني ظلماً وتجحدُني قتلي	و قدْ قامَ من عينيكَ لي شاهداً عدْل
أطلابُ دخْلي ليس بي غيرَ شادنٍ	بعينيه سحرٌ فاطلبوا عندَه دخلي
أغارُ على قلبي فلما أتيتُه	أطالبُه فيه أغارُ على عقلي
بنفسي التي ضنَّتْ ردَّ سلامِها	و لو سألتْ قتليَ وهبتُ لها قتلي[1]

لقد أثبت ابن عبد ربه بهذه المعارضة قدرة شعرية فائقة نابعة عن موهبة أصيلة، و روح أندلسية مولعة بالشعر، مستخدما في ذلك أسلوب الاستفهام الإنكاري مثل (أتقتلني ظلما وتجحدني قتلي). فيمكن اعتبار المراسلات الشعرية نوعاً من الترف الأدبي أوحت به البيئة الأندلسية، و كثرت به كثرة بالغة، فقد امتازت المراسلات الشعرية بالوضوح و الرقة و بعدها عن التزوير العاطفي.

[1] ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي, (ت٣٢٨هـ). **العقد الفريد**، ٦مج، مطبعة لجنة التأليف و الترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م، ص١٣٧-١٣٨، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص١٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: الهجاء

يعرف الهجاء الأدبي في نظر ابن سلاّم الجمحي بأنه فن من فنون الشعر "يصور عاطفة الغضب أو الاحتقار و الاستهزاء، وسواء في ذلك أن يكون موضوع العاطفة هو الفرد أو الجماعة أو الأخلاق أو المذاهب"[١].

فهو من الأغراض التي اتجه إليها الشعر الأندلسي في هذه الفترة، فقد قال فيه الأندلسيون غير أنهم لم يشتهروا به اشتهار جرير والفرزدق.

و قد جاء الهجاء في الأدب العربي عامة و في الأدب الأندلسي خاصة مصوراً كاشفاً لسيئات المهجو، ومبرزاً إياه ، بغرض الضحك أو السخرية و إما بغرض الكره و الانتقام، أو البعد عن المألوف مما اعتاده الناس من الفكر والتصور.

أمّا في الأندلس فلم تقم للهجاء سوق رائجة، و لم يحرص الأندلسيون على إذاعته و الإكثار منه لحرصهم على غيره من الفنون التي فرضت نفسها عليهم، كوصف الطبيعة و الغزل و غيرها، أو ربما يرجع ذلك إلى أن شعر الهجاء ضاع فيما ضاع من التراث الأدبي في الأندلس، فضلاً عن أن كثيراً من المؤلفين أحجموا عن إثباته والاهتمام به مما أدى إلى قلته، و ابن بسام يؤكد ذلك في ذخيرته إذ يقول: "لقد صُنْتُ كتابي عن شين الهجاء و أكبرته أن يكون ميداناً للسفهاء"[٢]. و إذا كان صاحب الذخيرة قد صرّح بأنه أحجم عن إثبات هذا اللون من الشعر، فإن كثيراً من المؤلفين قد فعلوا مثل ذلك، فلم نجد في نفح الطيب، و الحلة السيراء، و المُعْجِب و المُطْرِب، و غيرها من المؤلفات الأندلسية شيئا من الهجاء، اللهم إلا أبياتاً قليلة، لا تقوى على أن توضح لنا خصائص هذا اللون من الشعر.

و يستطيع الدارس من خلال دراسة موضوعات الهجاء أن يقف على بعض القيم و المعتقدات السائدة في المجتمع الأندلسي، فقد اتجه الشعراء بهجائهم إلى أهل الفلك و النجوم، معبرين عن كراهية الشعر لهذه العلوم الجديدة، فواجهوها بالسخط و العداء، واستنكروا الاشتغال بها، و سخروا منها و من المهتمين بها، وفي هذا المظهر كان الشعر يمثل روح المحافظة، و يقوم بدور الخصم العنيد للعناصر العلمية، أو كان حينئذ يعدُّ ضرباً من الثقافة العلمية، كالجغرافيا و علم النجوم و الفلسفة"[٣].

---

[١] حسين، محمد أحمد، (د.ت)، **الهجاء والهجاؤون في الجاهلية**. مصر: المطبعة النموذجية، ص١٢.

[٢] ابن بسام، **الذخيرة**، ج١، ص٥٤٤

[٣] عباس، إحسان, (١٩٨٥م). **تاريخ الأدب الأندلسي/ عصر سيادة قرطبة**. ط٢، بيروت: دار الثقافة، ص١٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و قد كان ابن عبد ربه من أكثر الشعراء عداءً للفلك و الجغرافيا، فسخر من العلماء الذين قالوا بكروية الأرض و باختلاف الفصول حسب المناطق المناخية المختلفة، فاتهمهم بالسخافة. و يعزو الدكتور إحسان عباس موقف ابن عبد ربه إلى ثقافته الفقهية، فيقول: "و ربما بدا لي أن ابن عبد ربه كان أقرب إلى التزمت منه إلى الانطلاق، فقد أورثته ثقافته الفقهية نظرة محافظة متشددة تنفر من كل جديد وتعادي العلوم الدنيوية –إذا صحت التسمية– و يكفي أن نذكر صلته بمسلم ابن أحمد بن أبي عبيدة الليثي، الذي كان عالماً بالحساب و النجوم وكيف عابه لاهتمامه بهذه العلوم، و وصفه بأنه شاذ عن رأي الجماعة، و تهكّم بمعارفه الفلكية والجغرافية، و أعلمه بأنه لا يصدق ما تضمنته علومه"[١].

و من الشعر الذي جاء رافضاً للأفكار الجديدة في العلم، ومعادياً لكل جديد متطور؛ ما قاله ابن عبد ربه عن بعض معاصريه من العلماء المشتغلين بالفلك و الجغرافيا و الحساب على شاكلة ابن أبي عبيدة الليثي مستهزئاً ومنه:

زعمتَ بهْرام[٢] أو بَيْدخَت[٣] يرْزُقنا ... لا بل عُطاردَ أو مريخَ أو زحلا

و قلتَ إن جميعَ الأرضِ في فلكٍ ... بهم يحيط و فيهم يقسِمُ الأجلا

و الأرضُ كوريةٌحفَّ السماءَ بها ... فوقاً وتحتاً و صارتْ نقطةً مثلا

صيفُ الجنوبِ شتاءٌ للشمالِ بها ... قد صارَ بينهما هذا و ذا دولا

كما استمرّ ابن موسى[٤] في غوايتِه ... فوعْرُ السهولِ حتى خلته جبلا

أبلغ معاوية[٥] المصغي لقولهما ... أني كفرتُ بما قالا و ما فعلا[٦]

---

[١] عباس، إحسان, **تاريخ الأدب الأندلسي/ عصر سيادة قرطبة**، ص١٨٤.

[٢] بهرام: (إبهار الليل و هي الليلة التي يغلب فيها ضوء القمر النجوم، و هي الليلة السابعة و الثامنة و التاسعة، ابن منظور، **لسان العرب**.

[٣] بيدخت: (بيد) (بادت الشمس): غربت،**المصدر بفسه**.

[٤] ابن موسى، قاسم بن موسى المعروف بابن الأقشتين، **ديوان ابن عبد ربه**، ص٧٤.

[٥] معاوية، أحد القريشين النسّابين،**المصدر نفسه**، ص٧٤.

[٦] الأندلسي، صاعد بن أحمد الأندلسيَ, (ت٤٦٢هـ). **كتاب طبقات الأمم**، نشره: الأب لويس شيخو اليسوعيَ, المطبعة الكاثوليكية, بيروت, ١٩١٢م. ص٧٤. و انظر: الأوسي، حكمة علي ، (١٩٧٧م). **فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث الهجري**.ط٢، القاهرة: مكتبة الخانجي.ص٦٢. و انظر:هيكل، أحمد، (١٩٧٩م). **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**. ط٧، مصر: دار المعارف، ص٣١٥، و **ديوان ابن عبد ربه**،ص١٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

جاءت الأبيات السابقة تثبت لنا أن كل جديد مرفوض بصرف النظر عن الخدمة التي يقدمها، إلا أنها عكست من جانب آخر اهتمام الأندلسيين بالعلوم الفلكية و الحسابية و الجغرافيا، فإذا رفضنا كل جديد لا نصل إلى التقدم، فالاكتشاف مفتاح التطور في كل زمان و مكان، لكن لا بد من الصمود لإثبات القدرات. وفيما يتعلق في الأبيات فقد استخدم الشاعر ألفاظا فلكية تعكس معرفة في هذا الجانب، مثل(عطارد ،مريخ، زحل)، كما استخدم الطباق في الألفاظ مثل (فوق، تحت، صيف، شتاء، جنوب، شمال،سهول، جبال)، أما عن اللغة فكانت بسيطة مفهومة تخلو من الألفاظ الغريبة. كما أن السخرية بدت واضحة من خلال الأبيات السابقة، و بدا أيضاً كره ابن عبد ربه للفلك والجغرافيا، فقد سخر من العلماء الذين قالوا بكروية الأرض، و باختلاف الفصول حسب المناطق المختلفة فاتهمهم بالغواية والسخف، فصب غضبه على بعض معاصريه المشتغلين بالفلك و الجغرافيا و الحساب، من أمثال ابن أبي عبيدة الليثي، و ابن موسى، و معاوية.

كما سخر ابن عبد ربه من المشتغلين بالفلك وعلم النجوم في قصيدة أخرى فقال:

إذا كان أخو النَّجم ... يرى الغيبَ بما ضَمَّه
إلامَ يطلبُ الرزقَ ... طلابَ العاجزِ الهمَّة
وهذي الأرضُ قد وارتْ ... كنوزاً عدّةً جمَّة
فلا و اللهِ ما لله ... خلقٌ يحتوي علمَه[1]

كشفت الأبيات السابقة محدودية أفق ابن عبد ربه في استيعاب الجديد المتطور من العلم، فسخريته و تهكمه واضح من المشتغلين في الفلك و علم النجوم، ففي رأيه: أن علم الفلك فيه تعدٍّ واضح على قدرة الله ــتعالىــ و تجرؤ على معرفة الغيب الذي لا يعرفه إلا هو.

فنراه في الأبيات السابقة مستنكراً من أولئك الذين يطلبون الرزق من الله ــتعالىــ و هم قادرون على معرفة أسراره، إلا أنه يؤكد في البيت الأخير عجز أولئك بمعرفة علم الله ــ تعالى ــ.

و في قصيدة ثالثة يسخر ابن عبد ربه من المنجمين الذين تنبأوا تأخر الغيث، و لكن نبوءتهم لم تتحقق إذ سرعان ما هطل الغيث، وفي ذلك يقول:

---

[1] القرطبي، أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، (ت ٤٦٣ هـ), **بهجة المجالس و شحذ الذاهن والهاجس**, (تحقيق محمد مرسي الخولي)، دار الكتاب العربي، القاهرة, ١٩٨١م، ج٢، ص١١٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قلْ لابنِ عذراءَ السخيفِ الحِجَى ... زرى عليكَ الكوكبُ الثـــاقبُ
ما يعلمُ الشاهدُ من حكـمِنـــا ... كيفَ بحكمِ حكمِـــه غائـــبُ
فقلْ لعبّاسٍ وأشيـاعـــِـــه ... كيف ترى؟ قولُكم الكـــــاذبُ
خـــانكم كيوانُ في فـــرسِـــه ... و غـــرَّكم في لـــونِه الكاتـــبُ
فكلـــكم يكذبُ فـــي علمـــِه ... و كلـــُـــكم أصـــلُه كـــــاذبُ
ما أنـــــتم شيءٌ و لا علمُكـــم ... قد ضَعُفَ المطلوبُ و الطَّالـــبُ
تغـــالبـــون اللهَ في حكمـــِه ... و اللهُ لا يغـــــلبُـــه غـــالـــــبُ[1]

يبدو من خلال الأبيات السابقة أن ابن عذراء و ابن عباس من الأشخاص الـــذين اشـــتغلوا بذلك العلم، الذي كان مرفوضاً في ذلك الزمن، فاتهمهما بالسخف و الكذب، لا بل كل ما جاء به كاذباً أيضاً، فعلمهما محدود وقاصر، و علم الله واسع قاهر، فقـــد خـــذلهما الله ـــتعالى ـــ فـــي علمهما، و جاء المطر ليكون دليل صدق على كذبهما كما بين ابن عبد ربه. بالإضافة للـــسخرية و التهكم، ظهر التأثر بألفاظ القرآن الكريم بين قوله (قد ضَعُفَ المطلوبُ و الطالـــبُ) و بين قوله تعالى (و إن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذون منه ضعف الطالب و المطلوب) "الحج, آية ٧٣"

لا شك أن الشعراء في هجائهم للمشتغلين بالفلك و النجوم ـــ و كما بدا من خلال الأبيات السابقة ـــ يلحّون على فكرة واحده محددة هي أن الله ـــ عز وجل ـــ هو وحـــده المـــستأثر بعلـــم الغيب، و أن أولئك العلماء لا يملكون من أمرهم شيئاً.

و من أشكال الهجاء أيضاً، سخط الشعراء على الزمان و أهله، و يمثل ابن عبد ربه هذا الاتجاه خير تمثيل "فعلى الرغم مما بلغه من مكانة، و ما شهر عنه من تقوى وديانة، فقد كان ـــ فيما يبدو ـــ ضيق الصدر، حاد الطبع، سريعاً إلى الهجاء، متبرماً بالناس، كثيـــر الـــشكوى مـــن الزمان و أهله، سيء الظن بالمجتمع مسرعاً إلى رؤية الـــسيئات دون الحـــسنات فـــي زمانـــه وأهله"[2].

إن تجربة ابن عبد ربه في الحياة أوصلته إلى درجة بعيدة من التشاؤم و الـــسخط فهـــو يرى أن الخير قد انعدم من الدنيا، و أن أبناءها ليسوا إلا كلاباً توزّعوها بينهم فقال:

و أيامٍ خلتْ من كلِّ خيـــرٍ ... و دنيا قد توزَّعها الكـــلابُ

---

[1] بهجة المجالس، ج٢، ص١١٣. **و ديوان ابن عبد ربه**، ص٣٦.
[2] عباس، إحسان، **تاريخ الأدب الأندلسي/عصر سيادة قرطبة**، ص١٨٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كلابٌ لو سألتُهم ترابـــاً لقالوا عندنا انقطع الترابُ[١]

للأدب رسالة سامية في الحياة، وظيفته تهذيب النفس و إمتاعهـا، فـإني لا أرى ضـرورة لاستخدام البذيء من الكلام كي لا ينزل عن المكانة التي هو فيها، كما يجبُ أن يختارَ صـاحب الأدب لأدبه ما يبقيه في الصورة المثلى, فكان ابن بسام على حق لما صان كتابـه مـن شـين الهجاء، فإني آخذ على صاحب الأبيات (ابن عبد ربه) استخدامه الشتم في كلامه، لأن المـسلم قبل أن يكون أديبا ليس طعّانا و لا لعّان و لا بذيء.

بلغ الشؤم أوجه عند ابن عبد ربه لدرجة أن الدنيا خلت من كـل خيـر فـي نظـره، و أصبحت موزعة بين الكلاب الذي عنى بهم البشر. و إني أخالف ابن عبد ربه في فكرتـه تلـك، لأن الخير سيبقى موجوداً في الناس إلى يوم الدين، فهذا ما بشّر به رسولنا الكريم محمد -صلى الله عليه و سلم-

و نراه مَرّة أخرى يائساً من الدهر متشائماً من الحياة فيقول:

يا دهر مـا لي أطَّبيـــــ كَ و أنتَ غـيرُ مواتِ
جرعتني غصصاً[٢] بها كدّرْتَ صـفوَ حياتـي
أين الذين تسابقـــــوا في المجدِ للغايـــاتِ
قومٌ بهـــم روحُ الحيا ةِ تردّ فـي الأمـواتِ
و إذا هُمُوا ذكروا الإسا ءةَ أكثروا الحسنـاتِ[٣]

نرى التشاؤم سار بابن عبد ربه إلى الانعزال في هذه الحياة و ابتعد عن كل مَـنْ فيهـا لأنه أدرك بعد تجربة طويلة أن أخاه هو درهمه الذي يقبض عليه بيده. فكانت لغته بسيطة، كمـا أنه استخدم أساليبا إنشائية مثل الاستفهام في قوله:(أين الذين تسابقـــوا....) و أسلوب النـداء كما بدا في قوله: (يا دهر مـالك ضنـكٌ).

[١] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٢، ص٣٤٢، و **ديوان ابن عبد ربه**، ص٣٠.
[٢] غصصاً: غصص: الغصة: الشجا. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٣] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص١٠٠، و **ديوان ابن عبد ربه**، ص٤٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قالوا نأيْتَ عن الإخوان قلتُ لهم ما لي أخٌ غيرَ ما تطوي عليه يدي[١]

هل صحيح أن الدرهم هو الأخ الحقيقي للإنسان في الحياة ؟! أم كانت تلك النظرة المبتورة مبنية على موقف معين في الحياة ؟! فإني أرجح أن موقف ابن عبد ربه من الناس مبنيٌ على موقف سلبي من أحد الإخوان، و أرى أن تحسن الموقف يؤدي إلى تحسن النظرة إلى الحياة و الناس معاً.

و ننتقل من جدية ابن عبد ربه إلى التصوير الهزلي الساخر كما جاء في تصوير أحمد ابن نعيم[٢] لأحدى النساء فيقول:

كأن كلتا صَفحتيْ وجهها رُكَّبَتا من كوبتيْ[٣] نافخ
لو كُنتِ نبتاً كنتِ من حَرْمَلِ[٤] أو أكْلاً كنتِ من الكامخ*[٥]

يسخر أحمد بن نعيم في الأبيات السابقة من إحدى النساء؛ فيشبه انتفاخ وجهها بإحدى آلات النفخ الموسيقية. نلحظ من خلال الأبيات أن الشاعر سار في أبياته السابقة على نهج السابقين بتوظيف مظاهر الطبيعة النباتية في شعره، فهذه عادة كانت بارزة في الأدب الجاهلي تحديدا. أما ما يتعلق بهجائه فإن أفضل الهجاء يكون بسلب المهجو الصفات المستحسنة فيه و التي تخص النفس من الحلم و العقل و سعة الصدر و ما يجري مجرى ذلك، و ليس قبح الوجه أو الصوت أو القامة و غيرها من الصفات الجسدية التي قد لا تؤثر في شخصية المهجو. كما جاء في رأي قدامة بن جعفر.

و قد يحمل هجاءه على الاستفزاز دون إلصاق العيب بالمهجو، و يأتي رأي أبي هلال العسكري مؤيداً ما جئت به فأبلغ الهجاء عنده هو: "الذي يزري بأخلاق المهجو لا بخلقته".[٦]

و من باب مزج هجو النساء و المغنيات و هجاء بخيل، قال إسماعيل بن بدر:

---

[١] ابن عبد ربه، **العقد الفريد**، ج٣، ص٣١.
[٢] أحمد بن نعيم السلمي، أديب شاعر قديم، مشهور الشعر قبيح الهجاء، ظن الحميدي أنه كان موجوداً في أيام عبد الرحمن الناصر. الحميدي، **جذوة المقتبس**، ج٤، ص١٤٨.
[٣] كوبتي: الكوبة: الطبل الصغير، و لعله أراد به هنا آلة موسيقية تنفخ بالفم. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٤] الحرمل: نبات كالسمسم. **المصدر نفسه**.
* الكامخ: نوع من الإدام تعيفه الأعراب. **المصدر نفسه**.
[٥] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٢٤٦.
[٦] العسكري، أبو هلال، (ت٣٩٥هـ). **ديوان المعاني**, مكتبة القدسي، القاهرة, مصر، ١٣٥٢هـ، ج١، ص٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

تنفّسَ لمَّا لاحظَ القومُ خَبـــــرَهُ و قطّبَ لمَّا لامستـْــه الأصـــابعُ
فقلنا له إنّا شبـــــاعٌ فجُدْ لنـــا بعودٍ فما في القوم غيرُك جـــائعُ
فأسمَعَنا درداءَ صلعاءَ رجّعَـــتْ بصوتٍ لها تستكُّ منه المسامـــعُ
فو الله ما أدري كلابٌ تهارشتْ بحلقومِها أم نقنقتْ بي ضفـــادعُ[١]

في الأبيات السابقة هجا إسماعيل بن بدر مغنية قبيحة الصوت، فتخيـــل أن صـــوتها كـــلابٌ تهارشت في حلقومها، أو أصوات الضفادع، و كلاهما صوته قبيح مزعج. و من خلال الأبيـــات السابقة لمحنا البذاءة بالقول لاستخدام بعض الألفاظ النابية مثل (الكلاب و نقيق الضفادع).
وقال أحمد بن فرج في ذم البخل :[٢]

نَحرَ الضفادعَ في الصنيع و لم يدعْ للنَّمل دارجـــــةً و لا للقُمَّـــــلِ
وضعَ الطعامَ و لو عليه ذبابَـــــةٌ نزلتْ لتكملَ شبعةً لـــــم تُكْمِلِ
و كأنَّما خُرطَتْ صحافُ طعامِـــه من دقةّ ، و جفانه، مـــن خردَلِ
و كأنّ صحفتُهُ على أضيافِـــــــهِ في البُعْدِ و الإبطاءِ فترةُ مرسلِ* [٣]

و قال ابن عبد ربه في هذا الجانب أيضاً:

طعام مَن لستُ له ذاكراً دقّ كمـــا دقّ أن يذكرا
لا يفطر الصائمُ من أكله لكنّه صومٌ لمن أفطرا[٤]

وصل ابن عبد ربه إلى هدفه من خلال تلاعبه في ألفاظه كما بدا في الأبيات السابقة.
و في المقطوعتين السابقتين لاحظت التندر في الهجاء، فقد عمد كلا الشاعرين في إظهار صورة هزلية على سبيل الدعابة و الظرف، فقد أثبت الشاعران قدرتهما على التصوير و الإضحاك في

---

[١] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٢٤٥.
[٢] الطفيليين: طفيل: من يأتي الولائم دون أن يدعى إليها. ابن منظور، **لسان العرب**.
* فترة مرسل: الفترة التي لا يبعث فيها رسول.**المصدر نفسه**.
[٣] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٢٤٣.
[٤] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٢٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وقت واحد. وقد شاع هذا الضرب من الهجاء في الأندلس حتى اعتبر غرسيه غومس: "أن الهجاء الأندلسي أصبح آخر الأمر مجرد تصوير لاذع"[١].

و ربما يرجع السبب في انتشار ذلك اللون من الهجاء إل البيئة الأندلسية المتحضرة و التي شاع فيها اللهو و الفراغ و الميل إلى الدعابة و التظرف، و من ناحية أخرى يرجع إلى طبيعة الأندلسيين أنفسهم التي جبلت على المرونة و السهولة.[٢]

و رسم الشعراء صوراً كثيرة لمظاهر البخل عند بعض الناس، و تندّروا كثيراً بموائدهم و أطعمتهم على نحو يذكرنا بأحاديث الجاحظ في كتاب البخلاء، فمن ذلك هذه الصورة الساخرة لأحمد ابن فرج؛ حيث سخر من الطفيليين الذين يقحمون أنفسهم في الحفلات و موائد الطعام، فقال:

أفديّكَ منْ مُتوجِّدٍ غضبانِ ... حتى يلوحَ له ضبابُ دُخانِ
يقتادُهُ شمُّ القتارِ بأنفِه ... مثلَ اقتيادِ النجمِ للحيرانِ
و علا الدخانُ بِشنت بولة[٣] مربياً ... ينبيه ِ أينَ مطابخُ الإخوانِ
لم ينصرفْ إلا و في أكمامِه ... حملٌ و في أعفاجِه[٤] حملانِ
كالموتِ تسعى في التخلص جاهداً ... منه و تلقاهُ بكلِّ مكانِ[٥]

المعاني في الأبيات السابقة مطروحة عهدها الأدب العربي منذ القديم حتى امتاز بها ابن طفيل في العصر العباسي. إلا أن الشاعر برع في تصوير الطفيليين في إحدى الموائد، فكانت صورته جميلة، قد تكون مستوحاة من مشهد عاشه الشاعر، و مما يسجل للشاعر تنوعه للأساليب الخبرية و الإنشائية كأسلوب النفي في قوله: (لم ينصرف إلا وفي أكمامه)، و أسلوب الاستفهام كقوله: (أينَ مطابخُ الإخوان ؟).

و تذكر المصادر أن عبد الرحمن الناصر جلس ذات يوم في جماعة من خواصه و معهم أبو القاسم بن لب، و كان يعدّه للمجون و التطايب فطلب منه أن يهجو عبد الملك بن جهور -أحد

---

[١] عومس، غرسيه، **الشعر الأندلسي**، ص٦١.
[٢] المقري، **نفح الطيب**، ج٢، ص٦١.
[٣] سنت باولا: قرية من قرى وادي إشبيلية. المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، (د.ت)**. الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة**، (تحقيق محمد بن شريفة)، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٠م. ج٢، ص٤٨٧.
[٤] أعفاجه: العفج: هو مكان الكرش لمن لا كرش له، والجمع أعفاج. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٥] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٢٤٤-٢٤٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

وزرائه- فقال: أخافه، فقال لعبد الملك وزيره: فاهجه أنت. فقال: أخاف على عرضي منه، فقال الناصر: أهجوه أنا ثم قال:[١]

لـــبّ أبـــو القاسم ذو لحيـــةٍ طويلةٍ في طولِها ميـــلُ[٢]

ثم قال لابن جهور: لا بد لك من تذييل هذا البيت فدع الاعتذار، فقال:

و عرضُها ميلان إن كُسِّرتْ و العقلُ مأفونٌ و مدخولُ[٣]
لو أنَّه احتاجَ إلى غسلـــِــها لم يكفِه في غسلِها النيلُ

فضحك الناصر و قال للبّ: إنه قد سبب لك القول فقل، فقال لب:

قال أمينُ اللهِ فـــي خلـــقِه[٤] لي لحيةٌ أزرى بها الطولُ
و ابن عُيَيْر[٥] قالَ قولَ الذي مأكولُه القرظيلُ[٦] و الفـــولُ
لولا حيائي من إمام الهدى نخسْتَ بَالمنخسِ "شُوقُولُ"

لم يكن لب أول من هجا نفسه في الموروث العربي، قد سبقه الحطيئة إلى ذلك عنـــدما رأى صورة وجهه في الماء، فقال:

أرى لي وجهـــا شوّه الله خَلْقَهُ فقُبِّح من وجـــهٍ و قُبِّح حامـــِلُه[٧]

---

[١] المراكشي, ابن عذاري، **البيان المُغرب**, ص٢٧٧.
[٢] في **بغية الملتمس** موجودة طويلة أزرى بها الطول، ص١٠٠.
[٣] في **بغية الملتمس** موجودة "مخبول", ص١٠٠.
[٤] في **بغية الملتمس** موجودة "في عصرنا", ص١٠٠.
[٥] في **بغية الملتمس** موجودة "جهير"، ص١٠٠.
[٦] في **بغية الملتمس** موجودة "قرضيل"، ص١٠٠. و القرظيل: (قرظ): شجر عظام لها سوق غلاظ أمثال شجر الجوز. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٧] طه، نعمان محمد أمين، (١٩٨٧م). **ديوان الحطيئة**. شرح ابن السكيت, (ت١٨٦هـ)، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص٣٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فلما بلغ لب إلى قوله "شو" سكت فقال له الناصر "قُولُ" فأتمَّ له على نحو ما أضمر، فقال له أنت هجوته يا مولاي، فضحك الناصر.

و مما قيل في اللحى قول أحمد بن نعيم:

كأنه لحيتَه معروشةٌ غرسَتْ في عارضَيْ قردةٍ من ذيلِ خنزيرِ[١]

هذا المعنى كما أشرنا سابقا كان مطروحا سبقه إليه الحطيئة في ذم شكله و هجاء نفسه.
و قال مؤمن بن سعيد[٢] أيضاً:

قد صارَ عثنونَه للريح ملعبةً كأنَّه علمٌ في عودِ بيطارِ[٣]

وجد الشعراء في العيوب الخلقية عند بعض الناس مادة خصبة للتندر و الدعابة، فالتقطوا هذه العيوب مثل ضخامة اللحى، و أبرزوها في صور (كاريكاتورية) ساخرة تقوم على التجسيم والبراعة في لمح العيوب التي تثير السخرية والإضحاك.
فقد قال مؤمن بن سعيد هاجياً نفسه ولحيته:

فها أنا ذا قد جيتُ أحملُ لحيةً إليكَ لها خطبٌ و شأنٌ من الشأنِ
كأني تيسٌ قد تطاولَ عمرُهُ و أفنى فنوناً من تيوسٍ وجديانِ
و لي صاحِبٌ تحتَ السراويلِ فاسقٌ يقود بعثنوني إلى كلِّ خسرانِ[٤]

و هكذا نجد أن المقطوعات الشعرية غلبت على قصائد الهجاء؛ لأن ذلك قد يكون أدعى إلى ذيوع الهجاء و حفظه و علوقه بالأذهان و النأي به عن الإطالة و الاستثقال.

---

[١] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٢٥٠.
[٢] أبو مروان: مؤمن بن سعيد، شاعر قرطبي علا نجمه في أيام الأمير محمد واختص بمدح مسلمة ابن الأمير محمد والقائد هاشم بن عبد العزيز، وكان كثير التندر والتهكم مكثراً من الهجاء، و قد أفسد الهجاء ما بينه وبين هاشم فسجنه. (ابن سعيد الأندلسي، **المغرب**, ج١، ص١٣٢.
[٣] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٢٥٠.
[٤] **المصدر نفسه**، ص٢٥١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و حيث قيل للفرزدق: ما اختيارك للقصار؟ قال لأني رأيتها أثبت في الصدور و فـــي المحافـــل أحفل، و قيل للحطيئة، ما بال قصارك أكثر من طوالك ؟ قال لأنها في الآذان أولج و في أفـــواه الناس أعلق.[١]

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

[١] الأصفهاني، أبو الفرج، (ت٣٥٦هـ) **كتاب الأغاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت, ١٩٥٥م. ج٢، ص٣٣.

المبحث الثالث: الشعر الوجداني

هو شعر الشعور و الإحساس اتجاه الغير، شعر العاطفة القوية الواضحة، يلجأ إليه الشاعر للتعبير عن مكنونه للآخر، فينقل عبره إحساسه إليه.

و قد ارتأيت أن ينقسم هذا المبحث إلى ثلاثة مطالب: شعر الغزل فشعر الرثاء ثم شعر الفخر.

المطلب الأول: الغزل

الغزل: هو حديث الفتيان و الجواري.[١] قال ابن سيده: الغزل هو اللهو مع النساء و مغازلتهن[٢].

و في المصطلح: هو أدب وجداني يعبر عن الأحاسيس في مجالات الحب، هو ليس أدباً وصفياً يرسم المظاهر الخارجية، إنه استحضار لما سبق، أو شيء ترك في العين دمعة، أو في القلب لهفة.[٣]

و قد انكفأ الشعراء في هذا الاتجاه في كثير مما أبدعوا على تجاربهم الوجدانية الخاصة، و من معاناتهم الشخصية و العاطفية في الحياة الأندلسية، فالشاعر في كثير من الأحيان يصدر عن ذاته في التعبير بما يشعر به من صَدٍّ و شوق.

يعد الغزل من أكثر فنون الشعر انتشاراً في الأندلس، فقد شغف به الشعراء و وجدوا فيه مجالاً للإبداع، فما من شاعر إلا و قد أدلى بدلوه فيه، و قد استطاع الشاعر أن يصف حبه و لهوه بأبيات عكست الأجواء الأندلسية و تعبيره عن خوالج و كوامن نفسه.

ومما لا اختلاف فيه أن البيئة الأندلسية بطبيعتها الفتانة و حضارتها وعمرانها و حدائقها و رياضها و مجالس اللهو والخمر و الغناء و السبي المتواصل و أسواق النخاسة كان لها الباع الأكبر في ازدهار تيار الغزل، حيث امتزج العرب بسكان الأندلس وعاشوا حياة رخية ناعمة، أورثتهم الرقة و اللين و الكلام و المشاعر و بجانب ذلك حظيت الأندلس بجمال بشري كبير إلى جانب جمال طبيعتها مما حفَّزَ أنظار العرب و نبّه عواطفهم، فقالوا في الغزل و التشبيب في النساء، و وصفوا الجمال الذي ملك زمام قلوبهم شعراً عاطفياً جميلاً رقيقاً.

---

[١] المقري, أحمد بن محمد التلمساني، (ت١٠٤١هـ). **المصباح المنير**، مكتبة لبنان ناشرون, بيروت, ١٩٨٧م، ص٧٠.
[٢] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة غزل.
[٣] غريب، جورج، (١٩٧٥م). **الغزل: تاريخه وأعلامه**، ط٣، بيروت: دار الثقافة، ص٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و مما لاشك فيه أن الغزل انتشر في الأندلس انتشاراً واسعاً لاتصاله الوثيق بالطبيعة الإنسانية، فالإنسان يحتاج دائماً لتغذية حاجاته الفطرية التي تتفق مع مجتمعه، و يتجه بكل قدراته لتحقيق رغباته من خلال ما يسمى الحب[١].

لم يخرج الغزل الأندلسي عن الإطار العام للغزل العربي، فقد جاء غزلهم في معظمه غزلاً تقليدياً يحاكي غزل العرب الأوائل حيث ترددت فيه تلك الأفكار و تلك المعاني فوقفوا على الأطلال و بكوا الديار، قال ابن عبد ربه:

ديارٌ عفَتْ تبكي السحابَ طلولَها ... و ما طَلَلٌ تبكي عليه السحائبُ
و تندُبها[٢] الأرواحُ حتى حسبتُها ... صدى حفرةٍ قامتْ عليها النوادبُ[٣]

و من خلال الأبيات نلاحظ أن فكرة البكاء على أطلال الحبيب لم تكن جديدة في شعر الأندلسيين، فقد سبقهم الجاهليون في بكاء الديار و الندب على فراق الحبيب، و الدليل على ذلك قول لبيد ابن ربيعة:

عفَتِ الدّيارُ: مَحَلّها،فُمقامُها ... بمِنى،تَأبّدَ غَولُها، فرجامُها[٤]

وقال ابن عبد ربه أيضاً:

و الدارُ بعدَهُمُ مقسّمةٌ ... بين الرياحَ و هاتنٍ[٥] الوَدْقِ[٦]
دَرَجَ الزمانُ على معارفِها ... كمدراجِ الأقلامِ على الرَّقِّ
لم يبقَ منها غير أرمِدَةٍ[٧] ... لُبِّدْنَ[٨] بين خوالدٍ وُرْق
و سطور آناءٍ[٩] بَعقوَتِها[١٠] ... محنوّةٍ كأهلةِ المَحْقِ[١١]

---

[١] الدجاني، بسمة صدقي، (١٩٩٤م). **القصيدة العربية الأندلسية الغزلية**. القاهرة: دار المستقبل العربي، ص٣٦.
[٢] تندب: ندب: جرح، لأنه احتراق ولذعٌ من الحزن. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٣] **ديوان ابن عبد ربه**، ص٢٦.
[٤] التبريزي، الخطيب، (١٩٩٧م). **شرح المعلقات العشر**، تحقيق فخر الدين قباوة، دمشق، سوريا: دار الفكر. ص١٦١.
[٥] هاتن: المطر الضعيف الدائم. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٦] الودق: المطر. **المصدر نفسه**.
[٧] أرمدة : رمد: دقاق الفحم. **المصدر نفسه**.
[٨] لبدن: لبد: لزم. **المصدر نفسه**.
[٩] آناء: أنى جمع نؤي وهو الحاجز حول الخيمة. ابن منظور، **لسان العرب**.
[١٠] العقوة: عقا: الساحة.**المصدر نفسه**.
[١١] المحق: محق: أن يذهب الشيء كله حتى لا يرى منه شيء. **المصدر نفسه**. **ديوان ابن عبد ربه**، ص١٣٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي الأبيات السابقة نلحظ ابن عبد ربه يبكي الديار، و يقف على أطلالها، فإنه يبكي الحبيبة، و يبكي حبه الذي نبت في تلك المرابع، حيث أصبحت تلك الدار ذكريات دار في خيال الشاعر، قضى الزمان على معالمها فلم يبق منها سوى الرماد الذي يذكي بلهيبه قلب الشاعر، إذ من العبث أن يتعلق بمنازل دارسة لولا ارتباط ذكرياته بها. و جاءت هذه الأبيات تمثل تواصل الشعر الأندلسي مع أصوله الشعرية العربية القديمة، و يبدو أن الشاعر الأندلسي شديد الارتباط بالتراث.

و قد تفاوتت الآراء في هذا التقليد و تباينت "فهناك من يرى أن الطلل رمز اليأس و ذكر المرأة فيه إنما هو بارقة أمل يتشبث الشاعر بها، فالمرأة رمز الأمل "[١] في حين يرى بعضهم "أن الطلل رمز للفناء و الموت الذي كان هاجس الإنسان الأول و لا يزال، و إن الطلل تجسيد عياني لقدرة الموت التي لا تظهر.و المرأة التي يرد ذكرها في المقدمات الطللية مصدر لخصوبة الحياة و استمرارها"[٢] "غير أنا لا ننكر أن الوقوف على الطلل هو نوع من التفكير في مشكلات أساسية يحاور فيها الشاعر نفسه في معنى الحياة. و أن ذكر المرأة فيه نوع من الهرب لا ضرب من اللهو"[٣] و إنه في القصيدة الجاهلية يشكل نقطة عبور الزمان من الماضي إلى المستقبل، و من هنا جاء قول (زهير بن أبي سلمى)" و قفت بها من بعد عشرين حجة وبهذا توحد الزمان و المكان ليؤلفا معاً في فلسفة العمل قاعدة للتعبير في كليهما"[٤]

كما أكثر الأندلسيون من وصف المرأة وصفاً تقليدياً تتردد فيه تلك المعاني و الأفكار التي ترددت في أشعار المشارقة، فتحدثوا عن جمال العينين و جمال المحيا، و طيب الريق، و حمرة الخدود، مثال ذلك قول السّناط:

غزاليةُ العينين وَرديّةُ الخدِّ ... كثيبيّةُ الردفين غُصْنِيّةُ القَدِّ

ثنت بتثنيها التقيِّ عن التّقى ... و حَدّ تصديها الرشيدُ عن الرّشدِ

لها ناظرٌ يعدو على القلبِ لحظُه ... و خدٌّ على لحظِ النواظرِ يستعدي

تزاني عيونَ الناظرينَ إذا رنتْ ... بعينٍ لها تزنى و تُعفى عن الحدِّ[٥]

---

[١] عبد الرحمن، نصرت، (١٩٨٢م). **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**. ط٢، عمّان: مكتبة الأقصى ، ص١٦٧-١٧٠.
[٢] النعيمي، أحمد، (١٩٥٠م). **تاريخ الشعر حتى نهاية أواخر القرن الثالث الهجري**. القاهرة: دار الكتب المصرية، ص١٠٢.
[٣] ناصف, مصطفى، (١٩٨١م). **الصورة الأدبية**، بيروت: دار الأندلس، ص٢٣٦-٢٣٧.
[٤] الرباعي، عبد القادر، (١٩٨٤م). **الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى**، الرياض: دار العلوم، ص٤٢-٤٣.
[٥] الحميدي، **جذوة المقتبس**، ص١٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مما تقدم نلاحظ أن الشعر الأندلسي ظل متأثراً بشعر العرب الأوائل، و بقي يتطلع إلى التراث القديم، و يغذي فكره الإنساني بالشعر القديم و شعر صدر الإسلام، لذلك جاء هذا الشعر كما و صفه ابن بسام "بين رقة الهواء و جزالة الصخرة الصماء، لم يخرج عن الإطار العام للغزل القديم، فقد جاء غزلهم في معظمه غزلاً تقليدياً تتردد فيه تلك المعاني و الأفكار التي ترددت في أشعار المشارقة"[١].

و قال ابن عبد ربه في جمال العيون:

و كأنَّما ترنو بعينِ غزالةٍ ... فقدَتْ بأعلى الربوتين ِغزالَها

بيضاءُ تُسْتَرُ بالجمال وجهَها ... كالشمس يَسترُ بالضياءِ جمالَها[٢]

فالعيون مفاتيح الحب و أسرار الجمال، فما ترك الشعراء تلك المفاتيح دون مداعبة أو عبث و مجون، فحازت العيون على نصيب الأسد من غزلهم فخطت أقلامهم الكثير من الشعر في جمالها. و الكثير منهم وصف عيون المحبوبة بعيون الغزال و في هذا تأثر بالطبيعة، فقد شبه ابن عبد ربه محبوبته بالغزال الذي فقدت غزالها فأخذت ترنو بعينها مفتشة عن غزالها الضال.

أضفى السّناط على محبوبته عِدة صفات منها: غزالية العينين و لم يخصها بهذه الصفة بل أتبع لها صفات أخرى مثل كثيبة الردفين، غصنية القد، كما تغزل في مشيتها التي حرفت الأنظار إليها.

و قال يوسف بن هارون الرمادي في حمرة الخدود و جمال الوجوه:

و كأنّ دُرّ الخدِّ يكسى حُمرةَ الياقوتِ من نظر العيون إليهِ

و كأنَّ خجلتَه إذا ما فارقتْ وجناتِهِ عادتْ إلى شفتيهِ[٣]

---

[١] الشنتريني، ابن بسام، **الذخيرة**، ق١، م١، ص١٤.

[٢] **ديوان ابن عبد ربه**, ص١٦٠.

[٣] جرَار، ماهر، (١٩٨٠م). **شعر الرمادي (شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري)**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

عزا الرمادي حمرة الخدود إلى الخجل الذي يزيد المرأة جمالاً فوق جمال، فكانت تلك الحمـــرة مرايا تعكس الإلهام في وجدان الشعراء، فألهبت تلك الخدود بحمرتها قرائح الـــشعراء فنظمـــوا الشعر متغزلين بجمال الخدود.

نلاحظ من خلال الأبيات السابقة أن الغزل تربة خصبة للصورة الفنية، فقد تشابكت الـــصور في الأبيات السابقة حتى أُخرجت في قالب مثير.

و من المعاني التي رددها الشعراء في غزلهم فكرة النحول التي عبر بها الشعراء عـــن حبهم و ما حلَّ بأجسامهم من السقم و النحول، حيث نجد أنها فكرة ليست جديـــدة فـــي الـــشعر العربي بل كانت مطروقة منذ العصر الجاهلي، فقد برزت هذه الفكرة في غزل ابن عبـــد ربـــه فقال:

هيَّجَ الشَّوق دواعـــــــــي سقمي ... و كسا الجسمَ ثيابُ الألـــم
أيُّها البينُ أقلـــــني مَـــــــرّةً ... فإذا عُـــدْتُ فقـــد حلَّ دمي[1]

فالشاعر في أبياته السابقة نراه مفضلا للعودة إلا أنه يخشاها، لأن عودته مرهونةٌ بسفك دمـــه. و كما ظهر السقم و السهد في الأبيات السابقة من علامات الحب كما أنهما نتيجة مـــن نتائجـــه، و الشاعر يصرح بذلك و يجد تعليلاً جميلاً لهما.

و مِنَ الشعراء مَن اتخذ مِن الغزل الطاهر مذهباً له مثل ابن فرج الجياني[2] الذي يقول:

و طائعةِ الوصالِ عَفَفْتُ عنها ... و ما الشيطانُ فـــيها بالمطـــاع
بدتْ في الليلِ سافرةً فبـــاتتْ ... دياجـــــي الليلِ سافـــرةَ القناع
و ما من لحظـــةٍ إلا ومنهـــا ... إلى فتـــنِ القلـــوبِ لهـــا دواعِ
فملْكتُ النهى جمحاتِ شوقي ... لأجري في العفافِ على طباعي
و بتُّ بها مبيتَ السّقبِ[3] يظما ... فيمنعُه الكعامُ مـــن الرَّضـــاع
كذاك الروضُ ما فيه لمثلى ... سوى نظرٍ و شمٍ من متـــــاع

---

[1] المقري، **نفح الطيب**، ج٩، ص٢٦٢.**و ديوان ابن عبد ربه**، ص١٧٩.

[2] أحمد بن فرج الجياني صاحب كتاب الحدائق، ترجم له الحميدي في الجذوة وذكر أنه وافر الأدب كثير الشعر، وكتاب الحدائق ألفه للحكم المستنصر وضمنه الكثير من الشعر العذري للأندلسيين، أنظر: الحميدي، **الجذوة**، ترجمة ١٧٦.

[3] السقب: سقب: ولد الناقة. ابن منظور، **لسان العرب**.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ولست من السوائم[١] مهملاتٌ فاتخذُ الرياضَ من المراعـــي[٢]

صوّر الشاعر في أبياته عفته و طهارته في حبه فهو لا يريد من الحـــب إلا النظـــر لأن عقله نهاه عن طاعة الشيطان في الوصل، فبات ظمآناً للحـــب، يمنعـــه الفطـــام و العقـــل مـــن ممارسته؛ فليس له من ذلك الحب سوى النظر و الشم و التمتع بالجمال؛ فقد شبه نفـــسه بـــابن الناقة الذي بلغ الفطام فيمنعه الكعام من الرضاع، و في ذلك مزج واضح بين الطبيعة و الحـــب. فالأبيات السابقة تنم عن شعور مرهف رقيق، و لغة سهلة قريبة من الأفهام، فقد التزم الـــشاعر بالعفة التي اعتبرها من مزايا الرجولة و مرجحات السيادة، فظل الشاعر متمسكاً بالأخلاق مبتعداً عن الفحش و التبذل و انتهاك الحرمات.

أفاض الشعراء في وصف العيون الجميلة التي ترمي قلوب العـــشاق بـــسهامها و الخـــدود الحمراء التي تشبه الياقوت، و كثيراً ما تمتزج تلك الأوصاف بأوصاف الطبيعة حيـــث صـــور الشاعر ابن عبد ربه لوحة فنية جميلة يمزج فيها مزجاً جميلاً بين جمال الطبيعة و رقة المحبوب و لذة الشرب فيقول:

اشربْ على المنظرِ الأنيقَ و امزجْ بريقِ الحبيبِ ريقي
و احللْ وشاحَ الكعابِ رفقاً خوفاً على خصرها الرقيق
و قل لمن لامَ في التصابي خذوا قليـــلاً عـــن الطريق[٣]

نلحظ في الأبيات السابقة دعوة صريحة إلى شرب الخمر فقد يكون السبب في ذلك إطفاء لوعة الحب في نفس الشاعر و إن كان ذلك غير مبرر و لا مرغوب، و كثيرا ما مزج الـــشعراء بين الغزل والخمر، و كان الشاعر في هذا الجانب تقليديا محاكيا لغيره من الشعراء المشارقة، و من الجدير بالذكر أن الشاعر التزم في أبياته السابقة بصيغة الأمر و لم ينوّع في صيغ أخرى، و ربما أراد من استخدام الأمر إغلاق باب التواصل، فلا يريد من المحب إلا التنفيذ، و من جانـــب آخر قد تكون هذه المقطوعة تعكس تجربة حقيقية عاشها الشاعر، فهو معانٍ من الحب لا يريـــد لغيره الحرقة بناره، فيعطيه العلاج من ألم الحب مباشرة.

---

[١] السوائم: سوم: الإبل الراعية. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] الحميدي، **جذوة المقتبس**، ص ٩٧، ٩٨.
[٣] المقري، **نفح الطيب**، ج٥، ص١٠٨، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص١٣٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما حدثنا الشعراء عما يصيب الإنسان من أسى و ألم عند يوم الفراق و لحظة العناق في الوداع، و ابن عبد ربه واحد منهم يصور يوم الوداع تصويراً يصف الحزن الذي يعتري النفوس في تلك اللحظة حيث رسم لوحة فنية رائعة للحظات الوداع، حيث يسهب من وصف حالة المرء وقت الوداع، فيأتي شعره تعبيراً عن عاطفة داخلية قوية تعكس مدى الشوق و مكابدة الفراق، فيقول ابن عبد ربه:

ودَّعتني بزَوْرَةٍ و اعتناق ... ثم نادَتْ متى يكونُ التلاقي
و بدَتْ لي فأشرقَ الصبحُ منها ... بين تلك الجُيوبِ والأطواق
يا سَقيمَ الجفونِ من غير سَقمٍ ... بين عينيكَ مصرعُ العشاق
إن يومَ الفراق أفظعُ يومٍ ... ليتني متُّ قبلَ يومِ الفراق[1]

عبرت الأبيات السابقة عن لواعج النفس و معاناتها من الفراق، و قد جاء البيت الرابع إشارة إلى قوله تعالى" يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنت نسياً منسيّا " "مريم, آية ٢٣"، فقد أظهرت الأبيات الحسرة لفراق الحبيب لأنهما يجب أن يضمهما ليل واحد، فالأبيات أبدت مشاعر الحزن و الأسى الذي يسببهما الفراق.

فليس بجديد على الشعراء أن يتفجعوا للحظات البين و دنو ساعة الفراق، فمنذ الجاهلية و الشعراء يبكون و ينتحبون، و تتأجج قلوبهم بنيران الأسى من فرط الوجد و الصبابة، في اللحظة التي يقفون فيها لتوديع محبوباتهم.

فقد اقتفى شاعرنا الأندلسي آثار آبائه و أجداده في ذلك. و هذا ما أشار إليه ابن حزم بقوله: ... من البين الوداع، أعني رحيل المحب أو رحيل المحبوب، و إنه لمن المناظر الهائلة و المواقف الصعبة، التي تفتضح فيها عزيمة كل ما في العزائم، و تذهب قوة كل ذي بصيرة، و يظهر مكنون الجوى ... و لعمري لو أن ظريفاً يموت في ساعة الوداع لكان معذوراً إذا تفكر فيما يحل به بعد ساعة من انقطاع الآمال، و حلول الأوجال، و تبدل السرور بالحزن، و إنها ساعة ترق القلوب القاسية، و تلين الأفئدة الغلاظ "[2].

---

[1] الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، ج٤، ص١٢١، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص١٤١.
[2] ابن حزم، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، ج١، ص٢٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كذلك أفاض الشعراء في وصف ليالي المحبين، و كم تكون ثقيلة ثقيلة، بما يرخيه الليل عليهم من سدول الهموم فقال يوسف بن هارون:

لمقليّه[١] ليلٌ له من هُمومِهِ ... دُجاهُ ،و من وجدٍ ــ تضمّن ــ دائمُه
كأنَّ سوادَ الشوقِ جيشٌ مدرّعٌ ... تريّثَ فيه خوفَ صبحٍ يُهاجمه
و أبطأ عنه الصبحُ حتى كأنّه ... رأى من سوادِ الليلِ ما لا يقاومُه
تجاوَبَ فيه ورُقُهُ[٢] فكأنّها ... تبثُّ حديثاً بالنّهارِ تكاتِمُه
كأنّ سوادَ الليلِ ساقَ صباحُهُ ... فقامَتْ عليه بالرثاءِ حمائمه[٣]

عانى الشعراء القدماء من ليالي الحب كما عانى الأندلسيون، و خير دليل على ذلك ما جاء به امرؤ القيس حينما قال:

و ليلٍ كموجِ البحرِ أرخى سدوله ... عليَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتليَ[٤]

فمعنى المعاناة من ليل الحب مطروق منذ القديم و لم يكن فيه تجديد.

في الأبيات السابقة يحكي ابن هارون قصة ليلة قضاها بين مد الشوق و جزر الحب، لا يريد من الليل أن يطول، يريد بزوغ الفجر و إشراق النهار، فكلما اقترب النهار شعر بالحزن الذي يطارده، فكيف تكون المقاومة؟ فقد ألبس ليلة شوقه عدة الحرب للقاء الصباح الذي يهاجمه، فخافه الصبح فأبطأ بالمجيء، لأنه رأى من سواد الليل ما لا يستطيع أن يقاومه، رأى قوة الحب و عنف الوجدان؛ لكن مهما أراد الشاعر من الليل الإطالة لابد أن يأتي صبح يجليه، فوقعت الواقعة التي خشيها الشاعر و ظهر الصبح الفاضح، فجعل الحمامات تنوح إعلاناً لبدئه في قوة و رشاقة في الأسلوب.

---

[١] مقليه: مقلّ من مَقْل: ناظريه. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] وُرقه: وُرق: اختلاط السواد بالبياض، **المصدر نفسه**.
[٣] **شعر الرمادي**، ص١١٩.
[٤] التبريزي، الخطيب، **شرح المعلقات العشر**، ص٦٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فالأبيات رقيقة جميلة، فيها تصوير لحال العشاق الذين يحبون الليل الساتر و يكرهون الصبح الفاضح، الذي ينشر ما تكتمه الليالي.

لم يتورع الأندلسيون من وصف أجزاء المحبوبة كالنهود مثلاً، فمنهم من تغزل بشكل النهود و صور متعته بالنظر إليها فقال يوسف بن هارون:

ليالي يميني تَقبضُ الكاسَ مَرَّةً و أخرى لها قبضٌ على نهدِ كاعبِ
نهودٌ كتفاح اللجين كأنَّها لتدويرها قد أفرغَتْ في قوالبِ[١]

هذا ما أشار إليه أحمد الحوفي بقوله: "أن الغزل الفاحش نبت أجنبي نقل من الحبشة إلى اليمن، فساعدت حضارة اليمن على نمائه و تعهده بعض الشعراء المتأثرين باليمن و الأحباش، فغلظت سوقه، و بسقت فروعه، و كانت ثمراته هذه القصائد العابثة التي أبدع صوغها امرؤ القيس و الأعشى و سُحيم من قبل، ثم عمر بن أبي ربيعة من بعد"[٢].

وقال عبد الملك بن جهور:

أُخِفُّ وَقعي و أسعى سَعيَ مستترِ عليَّ سترٌ من الظلماءِ و الغَسَقِ[٣]
و اجتني لك نهداً لا نظيرَ له كأنَّما هو رمّانٌ على طبقِ[٤]

اجتمع الشاعران في وصفهما للنهود بتشبيهها بالفاكهة المدورة فيوسف بن هارون شبهها بالتفاح، و ابن جهور شبهها بالرمان فقد بدت تلك الأبيات حسية لأنها وصفت النهود وصفاً جسمياً دقيقاً من حيث التدوير. إلا أنني آخذ على الشاعرين المجاهرة و الصراحة بالغزل، فليست المجاهرة من أخلاق العرب لأن العربي يعد العفة من مزايا الرجولة، و مرجحات السيادة، فيتعفف إن لم يكن عفيفا، ويستتر و لا يعلن للناس فحشه، وقد أشارت الدراسات الأدبية إلى أن هذا اللون من الشعر دخيل على العرب و ليس من طباعهم.

---

[١] **شعر الرمادي**، ص٥٤.
[٢] الحوفي, أحمد، (١٩٦١م). **الغزل في العصر الجاهلي**. بيروت: دار القلم. ص٣٦٨.
[٣] الغسق: غسق: الظلمة. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٤] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٦٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن هذه الأبيات عبرت عن نوع من الحب أساسه الشوق إلى الاستمتاع بالمرأة. فيرى الدكتور أحمد الحوفي بهذا الصنف من الغزل الذي يمتزج الحب به بميول شهوانية، و عواطف خالية من التحرج، و أوصاف ربما لا يرضى عنها إلا أنصار الأدب المكشوف الجريء، أنه نبتٌ أجنبي نقل من الحبشية إلى العربية فكانت ثمراته هذه القصائد العابثة التي أبدع صوغها امرؤ القيس، والأعشى و سُحَيْم من قبل ثم عمر بن أبي ربيعة من بعد.[١]

وعلى الرغم مما في تلك المقطوعات من حسية تمسّ الحياء إلا أن الباحث لا يستطيع أن يخفي إعجابه بها، حيث تملك تلك الأبيات قدرة فنية فائقة تعكس براعة أصحابها في رسم اللوحات الجميلة.

و يرى غرسيه غومس في شعر الغزل، أن الاتجاه في الحب كان في الغالب حسياً تحركه الشهوة، و تجدد نشاطه الرغبة بصورة مستمرة.[٢] و إني أرى في هذا الحكم تعسفاً ضد الأندلسيين؛ فمن الممكن أن يمثل هذا الاتجاه جانباً واحداً من الغزل؛ فقد وجد في غزل الأندلسيين ضروبٌ أخرى من الغزل يتعفف أصحابها فيها. و ليس غريباً أن نجد في الأندلس غزلاً حسياً؛ لأن أكثر الشعراء انغمسوا في الملذات و انساقوا وراء الشهوات ولكن ذلك لا يعني عدم وجود شعراء آخرين يميلون إلى العفة في حبهم. و على أي حال فإن الأندلس عرفت الشعر المادي المحسوس كما عرفت الشعر الطاهر العفيف كما لمحنا بعض صوره في الشوق و السقم و الوداع، فدار شعرهم حول معاني الصدق في الحب و الصبر على الهجران؛ لذلك جاء غزلهم تعبيراً عن عاطفة ذاتية، و انفعالات شخصية تنبئ عن صدق الشعور، و رقة الاستعطاف.

---

[١] الحوفي, أحمد، **الغزل في العصر الجاهلي**، ص٢٦٨.
[٢] غومس، غرسيه، **الشعر الأندلسي**، ص٧٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: الرثاء

اللافت للنظر في الشعر الأندلسي، أنَ الرثاء فيه انقسم إلى قسمين: رثاء السلطة أو الحكم ــ إن صح التعبير ــ ورثاء الأهل، فقد بكى الشعراء الأندلسيون في شعرهم و ذرفوا الدموع، و ارتفعت أصواتهم وراء أصحابهم مضمخة بالآهات الحزينة، و الزفرات الحارة.

ويرى أبو هلال العسكري أن المرثية مديح للميت، و الفرق بينها و بين المديح أن تقول: كان كذا وكذا، و تقول في المديح: هو كذا و أنت كذا، فينبغي أن يُتَوَّخى في المديح[١].

فالرثاء إذن إطراء للميت، و ذكر لصفاته الحميدة، و أخلاقه النبيلة، و مآثره الإيجابية، فتظهر النفس الملتاعة، و القلب المرتجف، و العين الدامعة، و الفؤاد المتفطر، و الحسرة على هذا الذي مضى من حيث لا رجعة إلى هذه الحياة الدنيا[٢].

وفي هذا الصدد يقول حازم القرطاجني: "و أما الرثاء فيجب أن يكون شاجي الأقاويل مبكي المعاني ، مثيراً للتباريح، و أن يكون بألفاظ في وزن مناسب ملذوذ"[٣].

فهذا اللون من الشعر تعبير انفعالي بطبيعته ينفس فيه المصاب عن لواعج النفس، إزاء موقف معين، كما أنه وسيلة إلى مدح المرثي و تكريمه و تخليد ذكره و مآثره.

و في هذا الفن، مشى الأندلسيون على خطى المشارقة في رثاء الميت، و التفجّع عليه، و المغالاة في وصفه، و وصف الرزء الذي حَلّ به ، فقد اتجه جزء من هذا الرثاء لرثاء الأمراء، و مما قيل في ذلك قول المصحفي في وفاة الناصر، و بيعة ابنه المستنصر بالله، فقال:

ألا إنَّ أياماً هَفَتْ بإمامِها ... لجائزةٌ مشتطّةٌ باحتكامِها

تأمّلْ: فهل من طالعٍ غيرِ آفلٍ ... بهنَّ ، و هل من قاعدٍ لقيامِها ؟

و عاينْ: فهل من عائشٍ برضاعها ... من النَّاسِ إلا مَيّتٌ بفطامِها ؟

كأنّ نفوسَ النَّاسِ كانت بنفسِه ... فلما توارى أيقنت بحِمامِها

فطار بها يأسى الأسى وتقاصرتْ ... يدُ الصبرِ عن إعوالِها والتدامِها*[٤]

---

[١] العسكري, أبو هلال، (٣٩٥هـ). **كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر**, (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم)، المكتبة العصرية، بيروت, ١٩٨٦م، ص١٣١.

[٢] القيرواني, أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني, (ت٤٦٣هـ), **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، ط١، (تحقيق محمد قرقزان)، دار المعارف، بيروت، ١٩٨٢م، ج٢، ص٨٠٥- ٨١٣.

[٣] القرطاجني, أبو الحسن حازم بن محمد، (ت٦٠٨هـ). **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، (تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة), دار الكتب الشرقية، تونس, ١٩٦٦م. ص٣١٥.

* التدامه: لدم: من اللدم: ضرب المرأة صدرها. ابن منظور، **لسان العرب**.

[٤] ابن الأبّار، **الحلة السيراء**، ج١، ص٢٦٤، و انظر: المراكشي، ابن عذاري، **البيان المغرب**، ج٢، ص٣٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

إن صورة الرثاء التي بين أيدينا مشحونة بحسرة على فقدان الناصر، كما أنها قدمت نصيحة في الدهر و هي أن الموت مصير كل إنسان مهما كَبُر أو عَلا، و هذه الصورة تتفق مع فلسفة الموت التي لا تفرق بين أحد، و إنما كل واحد ينتظر دوره في هذه الأرض، عبّر الشاعر عن ذلك بأسلوب واضح سهل بيّن من خلاله مكانة المرثي في نفسه مستخدماً أسلوب الاستفهام، فجاء حزنه في الأبيات تلقائياً ينبع من عاطفة شعورية صادقة. كما استخدم الصورة الفنية ليعبر بها عما يجول في خاطره إزاء الحدث الجلل، حيث شبه نفوس الناس و قد استقرت في نفس الناصر، فلما مات الناصر مات جميع الناس، فهذه الصورة قد تعكس حب الشاعر للناصر، أو قد تعكس رثاء الشعر للخليفة و في هذا الجانب قد يكون الشاعر دخل في باب التملق.

لم تقتصر مراثي الأندلسيين على الأمراء فقط، إنما امتدت إلى الأقارب و مثل هذه المراثي تترك المجال واسعاً للقول و التفجع، حيث تظهر في تلك المراثي ذاتية الشاعر بكل وضوح دون عناء في تجليها.

و لعل من أبرز ما يميز هذا اللون من الرثاء هو صدق العاطفة، و حرارة الانفعال، و عمق الألم، فليس أصدق بالتعبير ممن كان المصاب في داخله، فلا يعلم الحزن إلا مَن يكابده و يتقلب على جماره، فماذا ننتظر من والدٍ فقد ولده غير أن يصرخ و ينتحب و يصاب بالذهول حين خطفت يد المنون ابنه، و لعل رثاء الأبناء من أشد أنواع الرثاء صعوبة، هذا ما أشار إليه ابن رشيق بقوله: "من أشد أنواع الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلاً أو امرأة؛ لضيق الكلام عليه فيهما و قلة الصفات"[١] فقال ابن عبد ربه:

بَليَتْ عظامُكَ والأسى يتجددُ ... و الصبرُ ينفدُ والبكا لا ينفدُ
يا غائباً لا يُرْتجى لإيابهِ ... و لقائهِ حتى القيامةِ موعدُ
ما كانَ أحسنُ ملحداً ضُمِّنْتَهُ ... لو كانَ ضمُّ أباك ذاكَ الملحدُ
باليأس أسلو عنكَ لا بتجلدي ... هيهاتَ أين من الحزين تجلّدي[٢]

[١] القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، ج ٢، ص٨١٨.
[٢] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص٨٨، **وديوان ابن عبد ربه**،ص١٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أظهرت الأبيات حزن الأب على ابنه، فقد استطاع الشاعر ببراعة قوله أن ينقل شعور الحزن إلى القارئ بألفاظه الرقيقة التي تناسب نفسه الملتاعة، فجعله يعيش الألم و يشاركه حزنه، فقد أنبأ النص عن مدى مرارة الفقد و وفاء الأب لابنه حتى بعد الموت، فيبدأ بمخاطبة الأب المرثي، و المخاطبة بحد ذاتها مناجاة تفصح عن مرارة الفقد، ثم نلتقي بنداء الشاعر على ابنه المفقود (يا غائباً) الذي فقد صداه مع أن الشاعر يعلم بغيابه إلا أنه مُصِرٌ على ندائه لعله يرجع من جديد، و في بيته الأخير كان رائعاً حين عكس حزنه بالاستفهام.

فالرثاء معزوفة الحزن على أوتار القلب، و أنشودة الأسى على قيثارة النفس الحزينة الباكية، و هو من أجل ذلك يسمو على الفنون الشعرية من حيث الصدق و تفجر المشاعر، و هو بصفة عامة بكاء على الميت بالألفاظ المحزنة، و ذكر المآثر التي كانت له في الحياة و التي افتقدت بموته.

و يذهل ابن عبد ربه ثانية لوفاة ابنه الطفل، و تتأجج أحزانه و تمتزج مشاعره كلها في نفسه فيأتي شعره حزيناً باكياً فيقول:

واكبدا قد تقطّعتْ كبدي ... و أحرقتْه لواعجُ الكمدِ[١]

ما ماتَ حَيٌّ لميتٍ أسفاً ... أعذرُ من والدٍ على ولدِ

يارحمةَ الله جاوري جدثاً[٢] ... دفنتُ فيه حشاشتي بيدي

و نوّري ظلمة القبور على ... مَنْ لمْ يصلْ ظلمُه إلى أحدِ

أيُّ حسامً أخذتَ رونقَه ... و أيُّ روح نزعْتَ من جسدي

يا قمراً أجحفَ[٣]الخسوفُ به ... قبلض طلوع السواءِ[٤] في العددِ

أي حشىً لم يذبْ لـه أسفاً ... أيُّ عينٍ عليه لم تَجُدِ

لا صبرَ لي بعده و لا جلدٌ ... فُجِعْتُ بالصبر فيه والجَلَدِ

يا لوعةَ لا يزالُ لاعجُها ... يقدحُ نارَ الأسى على كبدِي[٥]

---

[١] لواعج الكمد: حرقة الحزن والهم. ابن منظور، **لسان العرب**.

[٢] جدثا: جدث: القبر. **المصدر نفسه**.

[٣] أجحف: جحف: أذهب. **المصدر نفسه**..

[٤] طلوع السواء: هي ليلة أربع عشرة أو ثلاثة عشر، يريد من ذلك أنه مازال صغيراً: أي لم يكتمل. الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص٨٨. الحميدي، **جذوة المقتبس**، ترجمة ٣٣٣. الضبي، **بغية الملتمس**، ترجمة ١٣٨٨.

[٥] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص٨٨، **ديوان ابن عبد ربه**، ص٧٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لعل أبرز ما يميز هذه الأبيات استخدام أسلوب الندبة و النداء في رثاء الميت، فكأن الشاعر وجد فيهما النفس الطويل لتفريغ عاطفته المشحونة بالأسى.

كذلك نلمح الصدق العاطفي في أبيات ابن عبد ربه المتقدمة، فهو يعزف لحناً حزيناً، فيأتي الصدق يترقرق في رثائه، لأنه يستمد معانيه من حزنه الذي يعانيه و يتقلب على جماره، نتيجة مصيبته في ابنه الصغير، فكأن الحزن على فقده لا يريد أن يغادره فظل يبكي و يتألم بنفسية حزينة قلقة من أول بيت إلى الآخر، فما أراد البكاء أن ينفك عن نفسه حتى أصبح دمعه فوق خده نثراً، و صدره من سقامه شعراً و كل ضلع من ضلوعه شطراً.

و من الرثاء أيضاً، ما قاله الشعراء في رثاء أصدقائهم، فقد عبر مقدم بن معافى[١] عن وفائه وصداقته لسعيد بن جودي، فيرثيه و يذكر مآثره، و فرط كرمه فيقول:

من ذا الذي يُطعمُ أو يكسو ... و قد حوى حلفُ الندى رمسُ ؟
لا اخضرت الأرضُ و لا أورقَ ... العودُ و لا أشرقتْ الشمسُ
بعد ابن جودي الذي لن ترى ... أكرمَ منه الجنُّ و الأنسُ
دموعُ عيني في سبيل الأسى ... على سعيدٍ أبداً حبسي[٢]

بدأ الشاعر رثاءه بأسلوب الاستفهام الإنكاري الذي لا يريد جواباً منه و إنما أراد موت الكرم و الإطعام و الإكساء بموت ابن جودي، فبعد موته تموت الحياة فلا تنبت الأرض و لا تشرق الشمس بموت ابن جودي. حيث عبّر الشاعر عن ذلك باستخدام أسلوب الدعاء، فجاء الدعاء موضحا حزن الشاعر على صاحبه.

و قال يوسف بن هارون يرثي صاحباً له اسمه أبو العباس:

تأمّلتُ من بينِ الدموع كأنّما ... تأملتُ من بين السحابِ المواطرِ

[١] مقدم بن معافى القبري: من شعراء عصر عبد الله بن محمد وعبد الرحمن الناصر، ذكره ابن فرج في كتاب الحدائق، و إليه ينسب الفضل في اختراع الموشحات. حسب رأي حكمة الأوسي في كتابه، **فصول في الأدب الأندلسي**، ص٦٣.
[٢] ابن الأبّار، **الحلة السيراء**، ج١، ص١٥٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

محلَّ أبي العباس حيثُ عــهدتُهُ ... لعلَّ أبــا العباس يبــدو لناظري
فلما انثنتْ عيني و لم ترَ شخصَه ... رجعْــنَ إلى تمثالِه في خواطري
كأنّا تــمتعْنا لقلّــةِ عمـــــره ... بلمحةِ بــرقٍ أو بــلمحةِ طــائــرِ
فإن يتخذْ بين المقابـــــر موطِناً ... فأوطانُنــا من بعدِه كالمقـــــابرِ
و قالوا صغيرٌ فاصطبرْ لمصابه ... فقلــتُ: أشدَ الفقدِ فَقــْدُ الأصاغِرِ[١]

حيث وصل الشاعر في أثناء البكاء و الذهول إلى مرحلة التأمل، و سؤال الــنفس عــن الفقيد فقد حلق خياله بعيداً يبحث عند السحاب لعله يبدو لناظره، لكن هيهات أن يبــدو بعــد أن قضى الموت بمخالبه على شبابه، ففي الأبيات إشارة واضحة على موت صديق الرمادي و هــو صغير السن، فكأن الرمادي لم يتمتع منه في حياته و إنما مرت حياته سريعاً كلمح البرق أو لمح طائرٍ، فغدت أيام الشاعر بعد فقده كالمقبرة و الجامع بينهما الظلام و السواد، و في نهاية الأبيات استخدم الشاعر الحوار لتسلية نفسه المصابة حين قالوا له اصبر فأجاب لا صبر بعد فقــد أبــي العباس لأن أصعب الفقد فقد الأصاغر. و هذه العبارة تعكس تجربة حياتية قــد يكــون الــشاعر عاشها.

أبدع الشعراء في وصف أحزانهم، فسالت عيونهم على فقدان الأحبة، فجــادت ألــسنهم، فظهر صدقهم في قولهم و خصوصاً في رثاء ابن عبد ربه لطفله، هي الدنيا لا تقف عند أمنيــة، تجري بنا إلى غير ما نريد، تطوي وقت السعيد فلا يشعر به، و تتمطى أيام البؤس فتزيــد مــن أيام بؤسه شقاوةً و إيلاماً، فها هو الحزن يسرق من عيوننا الفرح عندما يختلس منا مَن نحبُّ.

و على هذا النحو من الحزن سار الأندلسيون في الشعر الحزين، مكثرين من التوجــع و التحسر على موتاهم و إن كان توجع الأبناء مثلاً أقوى عاطفة و أكثر حسرة و بكاءً من رثــاء الأمراء أو الأصدقاء، إلا أن تلك المعاني المؤلمة تبقى إنسانية عامة يشترك فيها الناس جميعاً.

---

[١] **شعر الرمادي**، ص٧٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: الفخر

لم يخلُ الشعر الأندلسي من الفخر بالأصل و الأجناس، فقد تعمّقت العصبيّة القاتلة في نفوسهم، و كثر الشعر الذي يمجد العرب والمولدين، و خاصة بعد أن احتدم الصراع بين العرب و المولدين، فكان كل فريق منهم يفتخر بأصله و نسبه و عرقه.

و في وقوف الشعر إزاء العصبية الناشئة، تعبير عن الصراع الأدبي بين العرب و المولدين إلى جانب الصراع السياسي ، فما خلا ذلك الشعر من الفخر بالقبيلة، حيث مثل هذا اللون من الشعر سعيد بن جودي حيث افتخر بقادة العرب، مثل سِوّار بن حمدون القيسي، و قد انضمت إليه قبائل العرب من كورة إلبيرة و جيان و ريّة و غيرها، فتغلب على المولدين و افتخر بنصره و اتساع سلطانه و بقومه. و تمخضت هذه العصبيات عن قصائد المعارضات فكان الشاعر يفتخر بقومه و يرد على شاعر أعدائه بقصيدة من نفس الوزن و القافية، فهذا سعيد بن جودي[١] شاعر العرب المعروف بالعبلي يمدح زعيم العرب سِوّار ابن حمدون بقصيدة أشار فيها إلى قوة العرب و غزواتهم مع الأعداء، حيث قال:

لسوّارِ على الأعداءِ سيفٌ ... أباد ذوي الغوايةِ فاضمحلوا
سقاهم كأسَ حتفٍ[٢] بعدَ حتفٍ ... بها نهلَ العبيدُ ما وعَلُّوا
و قدْ رُفِعَتْ لسِوّار قناةٌ ... بها خضعَتْ رقابُهم وذلّوا
قناةُ المجدِ مركزُها عزيزٌ ... حماهم مانعٌ لا يُستذلُ
قتلتْ بواحد سَوّارُ ألفاً ... و ألفهم بواحدِنا يَقلُّ
و أكثرُ قتلِنا لهم حلالٌ ... بما ارتكبوه ظلماً واستحَلُّوا
فأوردنا رقابهمُ سيوفاً ... تشبُّ النارُ منها إذ تُسَلُّ[٣]

سعيد بن جودي شبَّ على الفروسية والميل إلى الأدب، و كان من زعماء العروبة في غرناطة أثناء الحركة العنصرية التي كانت بين العرب والمولدين، فهذه النشأة الفارسية التي نشأ عليها ابن جودي عكست ألفاظ الملاحم في شعره فجاء شعره قوياً مسيطراً ألفاظ القوة و الفروسية بلغة قوية جزلة

---

[١] سعيد بن جودي: هو سعيد بن سليمان بن جودي بن أسباط بن إدريس السعدي، من شعراء هوازن من جند قنسرين، كان شجاعاً بطلاً فارساً، قد تصرف مع فروسيته في فنون العلم، وتحقق بضروب الأدب فاغتدى أديباً وشاعراً محسناً، وله من الصفات ما تفرد بها في زمانه مثل: الجود، والشجاعة، والفروسية والخطابة والشعر والشدة والطعن. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج١ ، ص١٥٠-١٥٥.

[٢] حتف: الموت. ابن منظور، **لسان العرب**.

[٣] ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج١، ص١٥٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه النقائض كانت محصورة بين العرب و المولدين، و نجد معانيها سطحية ضحلة، فهي مقصورة على افتخار الشاعر بمآثر قومه، و بصورة واضحة فضل سعيد بن جودي قومه لأنهم أصحاب سيادة و غيرهم أذلاء و لم يتورع عن و صفهم بالعبيد، فقال:

وَرَثنَا العزَّ عن آباءِ صدقٍ و إرثُكم بني العبدان ذلٌّ[١]

افتقدت الأبيات السابقة العنصر الفني الذي يضفي على الشعر الجمال و التأنق، فهي عبارة عن رمي ساذج يفتقر إلى المعاني الخطيرة التي نجدها في نقائض جرير و الفرزدق. إلا أن ألفاظها قوية فخمة، تناسب الفخر الذي يصدر عن العصبية و التباهي بالأصول و القوة، و من خلال الأبيات السابقة يمكن أن نربط بين الفخر و الحرب، فالفخر في الغالب ينجم عن الحرب، فكل فريق يريد أن يثبت لنفسه و لغيره بالدرجة الأولى القوة، و السيطرة في تولي الأمور و ضبط زمامها، فقد حفظ لنا التراث من الشعر ما يبرز هذا الغرض، و خير دليل ما أنشأه عمرو بن كلثوم و الحارث بن حِلِزَّة من معلقات خاصة بقبائلهم، فظل الشعر مباهيا بأصولهم، و مرتبطا بحروبهم، فعلى نهجهم سار الأندلسيون في تخليد آثارهم و إبراز هيبتهم، فظهر الفخر في أشعارهم، كما أن فخرهم لم يخل من مبالغة ظاهرة، و هذا ما بدا من قتل سِوّار لألف رجل مقابل واحد من عصبته، لكن هذه المبالغة محمودة و رامية للهدف الذي أراده الشاعر، و هو رفع جانب قومه أمام الخصم.

و في موضع آخر قال سعيد بن جودي في وقعة سوار الثانية المعروفة بوقعة المدينة[٢] و التي تغلب فيها سِوّار على أعدائه المولدين في مدينة إلبيرة فأكثر فيهم القتل، حتى ليقال أن قتلاهم في هذه الوقعة كانوا اثني عشر ألفاً.

قال ابن جودي:

---

[١] ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج١، ص١٥٣.

[٢] وقعت هذه الغزوة يوم الجمعة لأربع خلون من شال عام ٣٠٠هـ ، وكان فيها من شيعة المارق عمر بن حفصون، من أغوى أهلها وأضلهم، فتمنعوا من النزول فأحاطت بهم العساكر وأضر ربضهم ناراً حتى نزلوا ودخلوا في الطاعة. ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقولُ بنو الحمراءِ لو أن جنحْنَـا ... يطـيرُ لعشـاكُم بشـؤبوبِ[١] وابـلِ
و هاجت شآبيبُ الحتـوفِ عليهُمُ ... بـرعدٍ و بـرقٍ سَحْـمٍ وهواطِـلِ
لظلت سيوفُ الهندِ تحصدُ جمعَكم ... حصـادَ زروعٍ أينـعَتْ للمناجـلِ
و لما رأوْنا راجعيـن إليهـم ... تولّوا سراعاً خوفَ وقـعِ المناصـلِ[٢]
فصرنا عليهم و الرماحُ تنوشُهم ... لوقعِ الصياصي[٣] تحتَ وهجِ القساطلِ[٤]
فلم يبقَ منهم غير عانٍ مصفَّـدٍ ... يـُقادُ أسيراً موثقاً بالسـلاسـلِ
آخرُ منهم هاربٌ قـد تضايقَـتْ ... به الأرضُ يـهفو من جوىً[٥] و بـلابلِ
لقيتم لنا ملموسـةً مستجيـرةً ... تـُجيدُ ضِرابَ الهامِ تحتَ العوامل
بها من بني عدنـان فتيانُ غارةٍ ... و من آل قحطانَ كـمثلِ الأجـادلِ[٦]
يقودهم ليثٌ هِزَبْـرٌ صَـارمٌ ... ممسٌّ حروبَ ماجـد غيـرُ خامـل
له سَـوْرةٌ[٧] قيسـيةٌ عربيةٌ ... بها ذادَ عن دينِ الهـدى كلَّ جاهـلِ
لقد سَلَّ سِـوَّارٌ عليكم مهنـدا ... يَجِزُّ به الهـاماتِ جزَّ المفاصـلِ
به قتـلَ اللهُ الذيـن تحـزّبوا ... علينا و كانـوا أهلَ إفكٍ وبـاطـلِ[٨]

نلاحظ في القصيدة مزجاً بين الهجاء و الفخر، فقد هجا الشاعر أعداءه المولدين، كما فخر و تعالى بقوة قومه إلى السماء، حيث وضع قومه في موضع تضاءل فيه حجم المولدين، فقد عـدّد أيام قومه و انتصاراتهم و شيد زعمائهم مثل (سِوّار بن حمدون) حيـث قـرن ذلـك بمخـازي أعدائهم.

فالشاعر أكثر من الفخر بقومه و شجاعتهم حتى رأيناه يكرر الفخر في كل بيت من أبياته تقريبـاً دون أن يشعر بالملل، كان الفخر هو الطاغي على كل ما في القصيدة من عواطف، بل أنه فـي أبيات أخرى قد جاوز حدود المبالغة عندما صور قوة قومه و هي تحـصد المولـدين حـصداً، مستخدماً في ذلك لغة قوية صعبة الألفاظ تتطلب الجهد فـي معرفـة معانيهـا مثـل شـآبيب، الصياصي، حتوف، قساطل، و غيرها من الألفاظ. كما عجّـت الأبيـات بالـصوت و اللـون و الحركة من خلال صوت الليث، و حركة السيوف و الرماح، كما أن الشاعر الأندلسي في فخـره

[١] الشؤبوب: مفردها شآبيب: الدفعة من المطر. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] المناصل: السيوف.**المصدر نفسه**.
[٣] الصياصي: مفردها: صيص: الحصون. **المصدر نفسه**.
[٤] القساطل: الغبار الساطع في الحرب. **المصدر نفسه**.
[٥] جوى: الحرقة وشدة الحزن. **المصدر نفسه** .
[٦] الأجادل: الأجدل: الصقر. **المصدر نفسه**
[٧] سورة: حِدّة وسطوة. **المصدر نفسه**
[٨] **الحلة السيراء**، ج١، ص ١٥٠

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يستغنِ عن الطبيعة، فقد وظفها توظيفا مناسبا للحدث و قوته، فاختار ظاهرة البرق والرعد، و كلا الظاهرتين تثير الرعب في النفوس. و على صعيد آخر اتسعت دائرة الفخر حتى اشتملت التباهي بالأصول و إبراز عظمتها.

فقد قال أحد الأمويين بالأندلس:

ألسنا بني مروانَ كيفَ تبدّلتْ بنا الحالُ أو دارتْ علينا الدوائرُ
إذا وُلِدَ المولودٌ منا تهللتْ له الأرضُ و اهتزتْ إليه المنابرُ[١]

لا شك أن الشاعر صوّر الأمويين في بيتيه السابقين تاجاً على رؤوس الأمم، طرّز بكلماته الفخر في شعره حتى أصبح وثيقة في حياة الشعوب و تاريخ الأمم. نلاحظ في البيتين السابقين تقليد واضح لعمرو بن كلثوم حين قال:

أذا بَلَغَ الفطامَ لَنا صبيٌّ تَخِرُّ له الجبابرُ ساجدينا[٢]

و في عهد الناصر. استطاع الناصر بحكمته و رجاحة عقله أن يخمد الفتن، و يقضي على رمادها الذي يؤجج نار التباهي، حيث خفتَ ضوء الفخر في عهده فقد عاش الشعراء الفخر مصورين للملوك المعارك غير مكترثين للأصول.
ففي فتح مدينة لبلة أنشأ أحمد بن عبد ربه شعراً مدح به الناصر لدين الله و وصف تلك المعركة، قائلاً:

خليفة الله و ابن عمّ رسو لِ الله والمصطفى على رُسُلِهْ
هنّتك نُعْمى نَمَتْ سوابقُها كما استتمّ الهلالُ في كَمَلِهْ

[١] الكلبي، ابن دحية (ت٦٣٣هـ). **المطرب في أشعار أهل المغرب**, (تحقيق إبراهيم الأبياري، و حامد عبد الكريم، و أحمد بدوي، و راجعه طه حسين)، المطبعة الأميرية، القاهرة, ١٩٥٤م، (ورد البيتان منسوبين للحكم المستنصر).انظر ابن سعيد الأندلسي، **المُغْرب**، ج١، ص١٩٠.
[٢] التبريزي، الخطيب، **شرح المعلقات العشر**، ص٢٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و جاءك الفتحُ ما له مثـــــلَ ... و كــلُّ شيءٍ يُعْزى إلـــى مَثـلِـــه
عفواً و صفواً بغيرِ سفكِ دمٍ ... يقــطرُ من بيضِه و مـــن أسَلِـــه[١]
إلا اعتصاماً لضيْغَمٍ[٢] هَصَرٍ[٣] ... تــميدُ شُمُّ الجبالِ من وَجَلِـــــه
مُظفّراً لا تـــــردُّ عَزمَتُـــهُ ... و مـــن يُرَدُ الكتابُ مـــن أجلِـــه
إقدام عمرو و بأس عنتـــرةٍ ... يـــعجزُ عن كيـــــدِه و عن حيَلِه
نصراً من الله قـــد تضمّنَه ... ينهضُ في رَيْثِه و فـــي عجلِـــــه
يجري بشأوِ[٤] الإمام منصلتاً[٥] ... يَسْبقُ حضرَ الجياد[٦] و في عَجَلِـــه
فأصبحت لبـــلةَ مؤمّنَـــــةً ... لا يعتدي ذئبُها على حَمَلِـــــــه[٧]

يبدو من خلال الأبيات الشعرية أن الشعر رافق جيش الناصر، و واكبت قوافيه شعراءه، فقد وصف ابن عبد ربه في هذه الأبيات أحداث معركة لبلة، و من خلال الأبيات مدح قائد المعركـــة عبد الرحمن الناصر مبرزاً قوته، و رباطة جأشه، و إرهابه لعدوّه، فبعـــد فـــتح هـــذه المدينـــة أصبحت لبلة آمنة في عهده لا يجرؤ أي ذئبٍ على الاعتداء عليها ما دامت تحت إمرة الناصـــر، إلا أن المعاني في هذه الأبيات كانت واضحة بسيطة لا تحتاج إلى جهد للوصول إلى مفهومها و الخيال فيها كان محدودا. و من خلال الأبيات نلحظ أيضا ربط بين نسب الناصر و بـــين نـــسب الرسول الكريم، و في ذلك تشريف و تمجيد كبير للناصر، كما ربط بينه وبـــين المقـــدمين فـــي الشجاعة و الإقدام من أمثال عمرو وبن كلثوم عنترة بن شداد.

مما تقدم كله يتبين لنا أن هذا الاتجاه قد ساير الحياة السياسية في الأندلس و تأثر بها، إذ أنه صور ميول الشخصيات السياسية ونزعاتهم، كما صوّر النزاع الـــسياسي بـــين العـــصبيات الكبرى.

و قد استغل شعراء كل طرف الفخر بالقبيلة و النسب، باعتبارهما وسيلة للحط من نسب الطرف الآخر، و لهذا أكثروا من الهجاء باللؤم و صفاته و نتائجه، و دعوا إلى التكتل و الوحدة.

---

[١] أسله: الرماح. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] ضيغم: الأسد الواسع الشدق. **المصدر نفسه**.
[٣] هُصر: يكسر ويميل. **المصدر نفسه**.
[٤] شأو: زمام. **المصدر نفسه**.
[٥] منصلتاً: السيف البارز المستوي. **المصدر نفسه**.
[٦] الجياد: اسم موضع بمكة. **المصدر نفسه**.
[٧] القرطبي، ابن حيان، **لمقتبس**، ج٥، ص١٢٩-١٣٠، **وديوان ابن عبد ربه**، ص١٦٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

أما على الصعيد الشعري فقد جاءت الأبيات حية تتراوح بين الـــسهولة و الـــصعوبة، و تكشف عن جانب من اهتمامات الشاعر بظروف قومه و تكشف ما أصابهم، باعتباره لا يمتلـــك القدرة على تقدير حجم الضرر الذي لحق بالقوم.

و من ناحية أخرى كشفت الأبيات الشعرية عن الواقع المرير الذي عاشته تلـــك الأمـــم، فكانت حياتهم قائمة على الكر و الفر، و هذا بحد ذاته يعكس صوره على النتائج المترتبة عليـــه في إلهاب الفتنة، و غيرها من السلبيات.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الرابع: الشعر الديني

هو التجاء الإنسان لله ــتعالىــ بعيداً عن صخب الحياة و نفاقها، ففوضى الحياة المادية وترفها دفعت فريقاً من الأندلسيين إلى العزلة وإيثار الدين على الحياة ومجونها.

فوجود الشعر الديني يتفق مع المنطق الطبيعي لتطور الأشياء، فحيثما وجد اللهو والمجون، وجد الزهد و الورع، و تلك سنة الحياة في كل زمان ومكان.

فعندما وصل الإنسان بفكره وتأمله إلى أن الحياة زائلة و العمر فان، اختلفت نظرته إلى ما يجب فعله، فمنهم من بقي على لهوه و مجونه، و منهم من انطوى على نفسه و طهرها من أدران الشر في الحياة المادية، و أصبح يتطلع إلى حياة خالدة باقية.

الزهد:

الزهد لونٌ من ألوان التعبير الشعري في الأندلس، حيث عبّر الشاعر فيه عن موقف شخصي إزاء الحياة، و غالباً, يصدر شعره عن الخوف من الموت، و ما بعده، و يحركه إلى هذا النوع غزو الشيب للرأس و العجز، و الضعف، فهو الإنسان كما عهدناه قوياً، جبّاراً عنيداً، يعيش الحياة لهْوَها، و متعها و حلوها و لا يأخذ مرّها باعتبار أن يوم الآخرة بعيد، لكن تتقدم الأيام، و العمر يجري بنا جرياناً، إلى حيث لا نريد، فيقف العاقل من الشعراء وقفة متأمل، و كثيراً ما يستغفر من ذنوبه التي اقترفها إبان الشباب.

الناس في نظرتهم إلى الحياة مختلفون، و ما أحد منهم يشك أن الحياة قصيرةٌ، إلا أنهم أو بعضهم يكابرون، فيستغلون الحياة بالعبث و المجون، و بعضهم يغتنم حياته و يراقب نفسه و يطهرها من أدران الحياة الزائلة، يتطلع إلى حياة خالدة باقية.

أما عن تاريخ شعر الزهد في العهد الأندلسي فهو قديم يرجع إلى أيام الحكم الربضي كما قال المراكشي في مُعْجبه: "و في أيام الحكم أنشأ الفقهاء أشعار الزهد و الحض على قيام الليل في صوامع المساجد، و أمروا أن يمزجوا مع ذلك شيئاً من التعريض بالحكم، فكانوا ينادونه ليلاً في أعالي الصوامع، الصلاةَ الصلاةَ يا مخمور، المسرف المتمادي في طغيانه المُصِرِّ على كبره، المتهاون بأمر ربّه، أفق من سكرتك و تنبّه من غفلتك...."[١]

فالواضح أن شعر الزهد ظهر في الأندلس أواخر القرن الثاني الهجري خلال سلطان الحكم الربضي (١٨٠-٢٠٦هـ).

---

[١] المراكشي، **عبد الواحد، المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، ص٢٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

يقول أحمد بن عبد ربه في الزهد:

ألا إنما الدنيا غضارةُ[١] أيــكـــةٍ[٢] إذا اخضرّ منها جانبٌ جفّ جانبُ
هي الدارُ ما الآمال إلا فجـائــع عليها و لا اللذاتُ إلا مصائـــبُ
و كم أسخنتْ بالأمس عينا قريرة و قــرّت عيونٌ دمعُها الآن ساكب
فلا تكتحلْ عيناك منها بعبـــرة على ذاهب منهــا فإنك ذاهـــب[٣]

فهذا الشعر لابن عبد ربه مقرون بالتوبة، و فيما يبدو أن الخوف من الموت و التقدم في السن و الإحساس بالأجل هو الدافع له لقول مثل هذا اللون من الشعر، خصوصاً و أن ابن عبـد ربه عاش حياةً لاهية ماجنة، حيث اقترف في شبابه الكثير من الهفوات، و عنـدما سـارت بـه الأيام تنبّه إلى سوء حاله، فقرّر العودة إلى ربه و دينه، فجاد لسانه بكثير من شعر الزهد الـذي أظهر فيه الندم على ما فات. ففي الأبيات السابقة ظهر التراوح بين أسلوبي الخبـر و الإنـشاء، كما استخدم الجناس في كلمة (ذاهب) بصورة منسقة لا يظهر التكلف فيها.

و لابن عبد ربه أشعار كثيرة في الزهد سماها "الممحصات"[٤] و قد نقض فيها كل قطعـة قالها في الصبا و الغزل بقطعة في المواعظ و الزهد محصّها بها، أظهر في زهده التوبة و الندم على ما قال في غزله وخمره.

و من ذلك قوله:

يا عاجزاً ليس يعفو حيث يقتـــدرُ و لا يُـقَضَّى له من عيشِهِ وَطَـرُ
عايــنْ بقلبك إن العــينَ غَافـلـــةٌ عن الحـقيقـةِ و اعلمْ أنها سَقَـرُ
يا من تلهّى وشيبُ الرأس ينـدبُـهُ ماذا الذي بعد شيبِ الرأسِ تنتظرُ؟
لو لم يكنْ لك غيرُ الموتِ موعظةً لكـــانَ فيه عن اللـذاتِ مزْدَجَرُ[٥]
أنتَ المقولُ له ما فـات مـبتدِئـا ً هــلاّ ابتـكرتَ لبينٍ أنتَ مُبتكِرُ[٦]

---

[١] غضارة: غضر: الطين الحر وقصد بها النعمة والسعة في العيش. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] أيكة: أيك: الشجر الكثير الملتف.**المصدر نفسه**.
[٣] الثعالبي، **اليتيمة**، ج١، ص٦. **و ديوان ابن عبد ربه**، ص ٢٦
[٤] الحميدي، **جذوة المقتبس**، ج٥، ص١٠٢. وانظر: نافع، محمود، (١٩٩٠م). **اتجاهات الشعر الأندلسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ص٢١٤.
[٥] مزدجر: زجر: المنع والنهي. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٦] الحميدي، **جذوة المقتبس**، ج٥، ص١٠٢- ١٠٣، وينظر: ابن دحية, **المطرب**، ص١٥٤. وابن عبد ربه ص٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الشعر الديني يضع الشاعر في زاوية التأمل و التفكير في الحياة بنظرة زاهدة متواضعة، كأنه يحصر الشاعر بركن الصدق فيكون بعيدا عن رأي النقاد في أعذب الشعر أكذبه. فيبدو الشاعر في أبياته السابقة يريد أن يهجر الدنيا طمعا بالآخرة، إلا أنه استطاع الخروج من الجمود بإسدال ألوان البيان على شعره من نداء و نفي و أمر و غيره من المحسنات.

خُلق الإنسان ضعيفاً، و سيبقى ضعيفاً، لكن يا ترى لِمَ التمرد والكبر ؟! جاءت الأبيات ترسخ قاعدة عجز الإنسان، فالإنسان عاجز مهما تظاهر بالقوة، فبدأ الشاعر أبياته منادياً مذكراً بعجز الإنسان، و ضرورة تدارك العجز بالرجوع إلى الله ـتعالىـ لأن الحياة زائلة لا تدوم لبشر، فقال له: عاين بقلبك؛ لأن عينك غافلة عن الحقيقة التي لا مفر منها ... غافلة عن لهيب سقر. أيها الإنسان الضال, ماذا تنتظر بعد غزو الشيب للشعر ؟ فسوف تحين الساعة و ينشق القمر. فظهرت من خلال الأبيات توبة ابن عبد ربه التي تنبئ عن صدقها بأسلوب ديني و عظي رقيق، فاستطاع أن يمحو بزهده ما ترسب في فكرنا عن غزله، فهو يشير في بيته الأخير إلى قطعة له سابقة في الغزل، كان قد قالها أيام اللهو بمناسبة قرار محبوبته على الرحيل، و سقوط المطر الذي حال بين المحبوب و السفر، ففي تلك القطعة قال:

هلا ابتكرتَ لبينٍ أنتَ مُبْتَكِرُ ... هيهاتَ يأبى عليكِ اللهُ و القدرُ
مازلتُ أبكي حذارَ البينِ ملتَهفاً ... حتى رَثَى لي فيك الريحُ و المطرُ
يا بَرْدَهُ من حيا مُزنٍ على كَبِدٍ ... نيرانُها بغَليل الشوق تستعرُ
آليتُ أن لا أرى شمساً و لا قمراً ... حتى أراكِ فأنتِ الشمسُ و القمرُ[1]

[1] الحميدي، جذوة المقتبس، ج٥ ، ص١٠١، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص٨٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يكثر ابن عبد ربه في زهدياته و ممحصاته من الدعوة إلى تحقير الدنيا و ازدرائهـــا، و أخـــذ الحذر و الحيطة منها؛ لأنها مغرّرة في أهلها، متى سنحت لها الفرصة غرست أنيابها في أجـــساد البشر، فيقول:

بادر إلى التوبةِ الخلصاءَ مجتهداً و الموتُ ويحَك لم يمددْ إليك يدا
و ارقـــبْ من اللهِ وَعـــداً ليس يخلُفه لا بدّ لله من إنجازِ ما وعـــدا[1]

في الأبيات السابقة يطلب الشاعر من الإنسان أن يدرك نفسه و يسرع إلى التوبة قبـــل أن يمد الموت له اليد، فمتى وقعت الواقعة تجزى كل نفس ما كسبت؛ إن خيراً فخيـــراً، و إن شـــراً فشراً؛ لأن الله ـــتعالىـــ ليس مخلفاً وعده، بل ينجز ما وعد.
و يدخل في دائرة الزّهّاد والوعّاظ الأمير عبد الله بن عبد الرحمن الناصر، فقال الأمير:

يا مَن يراوغُه الأجـــــلُ حتّـــام يلهيـــــك الأمـــلْ
حتّام لا تخشى الـــردى و كـــأنّـــه بـــكَ قد نزلْ
أغفلتَ عن طلب النجاةِ و لا نـــجاةَ لِمـــَن غفلْ
هيهاتَ يَشْغَلُك الرجـــا ء لا يـــدوم لك الشُغَلْ
فكأن يومَك لـــم يكـــن و كأن تـــعبَك قد نـــزلْ[2]

مزج الأمير في شعره بين الحكمة و الوعظ، فيشير في أبياته السابقة إلـــى أن المـــوت مقبل، و لن ينجو منه أحد، ويبدو انه أراد أن ينبه بشعره الغافلين الذين غـــرتهم الحيـــاة الـــدنيا فأعمَتْ عيونهم عن الحق الذي لا مفرّ منه، ألا و هو الموت، فكل نفس ذائقة الموت، فـــالمرحى المرحى لمن اعتبر و تذكر. بدت الأبيات لقارئها بسيطة سهلة خالية من المبالغة و التعقيد. فيهـــا جانب وعظي يناسب عامة الناس دون الخاصة منهم المهتمين بالأدب و دراسته و نقده.

[1] المَقري، **نفح الطيب**، ج٦، ص٥٥.ابن عبد ربه ص٦٣.
[2] ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج١، ص١٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

حيث يعود الأمير عبد الله ثانية، يذكّر الغافلين حقيقة الدنيا الزائلة، فيحذرهم من زوال الـــدنيا وفنائها، و يحثهم على التقوى و الإيمان و التقرب من الله تعالى فيقول:

أرى الدنيا تصيرُ إلـــى فناءِ ... و ما فيها لشيء من بقـــــاءِ
كأنك قد حملت علـــــى سريرٍ ... و صار جديدُ حسنِك للبـــلاءِ
فنفسُك فابكها أو نـــــحْ عليها ... فربما رحِمَتْ على البكـــاءِ
فنافسْ في التُّقى واجـــنحْ إليه ... لعلك ترضيَن ربَّ السمـــاءِ[1]

لا زالت لغة الشاعر بسيطة سهلة بعيدة عن الغرابة، و إن احتوت على التصوير إلا أنه واضـــح بسيط بعيد عن التحليق في الخيال .

أثبت شعر الزهد و من خلال الأبيات الشعرية أنه حالة من حالات التوبة و الاستغفار تعتري الشعراء وخصوصاً في المراحل الأخيرة من حياتهم، أو عند الأزمات والملمـــات، و إذا هَـــزَّتهم مصائب الدهر.

فنجد أن الشاعر عندما يلفت نظرنا إلى مواطن الخير و الشر في الحياة؛ فهو يعبّر بطريقـــة واضحة عن معاناته الخاصة و انطباعاته النفسية نحو هذه الحياة، فوُجِد التيار الديني.

أمّا من الناحية الفنية يبقى شعر الزهد بسيطاً في لغته واضحاً لا يرقى فـــي عباراتـــه إلـــى الشعر في الغزل أو الوصف، وإنما يبقى متنفساً لآلام الشعراء في حياتهم المضطربة و مجتمعهم المتشابك.

و في العهد الأندلسي جاء الشعر الديني منسجماً منطقياً مع الحياة و تطور الأشياء، فحيثمـــا وجد اللهو و المجون وجد الزهد والورع.

[1] المراكشي، ابن عِذاري، **البيان المُغرب**، ج٢، ص١٥٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الخامس: وصف البيئة الأندلسية

أعني بالبيئة الأندلسية في هذا المبحث, الطبيعة و ما فيها من مباهج كالورد و المياه و النواعير و المطر و السحاب و البرق، و قد جعلته في مطلب مستقل عن مطالب البساتين، و الثمار، و القصور، و الأدوات.

المطلب الأول: وصف الطبيعة

هام الإنسان بالطبيعة منذ أن فتح عينيه على محاسنها و تطلع إلى جمالها، و في الأندلس أبرزت الطبيعة الأندلسية كل مفاتنها حيث، المياه الجارية، و الأشجار الملتفة، و الطيور المترنمة، كل هذا أثار الحس المرهف في نفس الشاعر فأطلق لخياله العنان كي يحلق و يبدع كل ما هو كامن في نفسه إثر هذه الطبيعة الغَنّاء.

و منذ القديم وجد الشاعر في الطبيعة مرتعاً لخياله، و مقيلاً لأفكاره، فيجود بالكلام الخالد و اللوحات الناطقة.

الطبيعة في الأندلس تربة خصبة لنمو العواطف الإنسانية، فكانت صديقة وفيّة يحبونها لما تمنحه من جمال لحسهم وهدوء لنفوسهم، فاستسلموا إليها، فمنحوا أقلامهم الحرية في التعبير عنها، فأبدع شعراؤها في التعبير عن جمالها.

قال صاحب معجم البلدان عن الأندلس: "و أما الأندلس فجزيرة كبيرة فيها عامر وغامر...تغلب عليها المياه الجارية و الشجر و الرخص و السعة في الأموال"[١].

و مما ساعد على ازدهار شعر الطبيعة في الأندلس الحياة اللاهية التي عاشها الشعراء نتيجة للانطلاق في مجتمع الأندلس؛ لذا كان الشاعر يعتبر الطبيعة مسرحاً لحياته اللاهية، و في أحضانها كان يستسلم للهوه و حبه و خمره فعكف على تصوير لهوه و غيِّه في مجال الطبيعة، فجاء ممتزجاً بها متفاعلاً معها. " لقد عكف الشاعر الأندلسي يصور اللهو و الحب و الخمر في إطار الطبيعة مقدماً لنا لوحات فيها التعبير و الأصباغ و الألوان"[٢].

---

[١] الحموي, ياقوت، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٦٢.
[٢] الركابي، **في الأدب الأندلسي**، ص١٣١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

لم يترك الشاعر الأندلسي مظهراً من مظاهر الطبيعة أحسه بحواسه و تفاعل معه بمشاعره إلا صوره فأبدع التصوير، و وصفه فأحسن الوصف، فالورد حظي بعنايتهم و نال قدراً كبيراً من اهتمامهم، فقال لب بن عبيد الله[١] في الورد:

صابَحْتَها و الرّوض يَسْطَعُ مِسْكُهُ فكأنّه بالليل بات مُغَلَّفا

و الورد يبدو في الغصون كأنَّما أضحى يقاربُ من نداه قرْقفا*[٢]

استطاع خيال الشاعر أن يصور جمال الورد و هو في أحضان روضة غنّاء، و الجميل منه هذا التشبيه الذي يبدو و كأنّ الورد مُغَلّفٌ بندى الليل فزاده جمالاً فوق جمال، و من ذلك ما قال يوسف بن هارون يفضل الورد على سائر الأزهار:

للآس والسوسن والياسمين الغضِّ والخيريِّ فضلٌ شديْد

سادَتْ به الرّوضُ ومن بينها و بين فضلِ الوردِ بونٌ بعيدِ

هل لك في الآسِ سوى شمّةٍ تطرحُهُ من بعدِها في الوَقودِ

و الوردُ إن يذبلْ ففي مائه نسيمُ ضمِّ الإلفِ بعد الصدودِ

و السَّوءُ في السوسن عام وفي ساعةِ سَوءٍ قد تُزَار اللحودِ

و الياسمينُ الياسُ في بدئه فهو لمن يَطمَعُ هَمٌّ عتيد

أخلَّ بالخيري خُلْقٌ كخُل ق ِ اللِّص يستيقظ بَعدَ الهجود

فالوردُ مولى الرّوض لكنّه في قدره عبدٌ لوردِ الخدود ِ[٣]

حضرت الطبيعة بمظاهرها المختلفة في الأغراض السابقة، إلا أنها أبت إلا أن يكون لها الحيز الأكبر من الشعر، فحظيت بالكثير من أقوال الشعراء حتى أصبحت جاذبة لعقولهم مسيطرة على أقلامهم، ممتعة لمن يقرؤها، فبها الروض و الآس و الورد مما يجعل القارئ يتخيل الروضة المقروءة، لذلك استقلت بذاتها لتكون غرضا شعريا خاصا، لدرجة أن الدارس إذا

---

[١] لب بن عبيد الله بن أمية يعرف أبوه بابن الشالية، وكان هذا الأب من كبار الثوار أيام الأمير عبد الله بن محمد إذ ملك جبل شمنتان من كورة جيان، ووالى شيخ المخالفين عمر بن حفصون، وفي أيام الناصر قبض على عبيد الله وأرسل إلى قرطبة، ثم استخدمه الناصر في بعض شؤونه، ورده إلى حصن شمنتان فهذأ من نجم ما فيه من عصيان، ونشأ ابنه لب شاعراً حسن التصرف، ولب من الشعراء الذين اختار لهم ابن أبي الحسين في كتابه جملة من التشبيهات. ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج١، ص٢٣١-٢٣٢.

* قرقفا: الماء البارد، ابن منظور، **لسان العرب**، ج٥، ص٣٦٠٣ .

[٢] ابن الأبّار، **الحلة السيراء**، ج١، ص٢٣٢.

[٣] **شعر الرمادي**، ص٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

قرأ شعر الطبيعة سرح بخياله نحو بيئة الأندلس، ففي الأبيات السابقة مزج الشاعر بين الغزل و الطبيعة، و تحديدا مزج بين حمرة الورد و حمرة الخدود.

أدرك الشاعر أهمية الجمال باعتباره يُسِرُّ النفس و حواسها بالإضافة إلى أنه يهيئ الخيال للتحليق، فقد جذبت الورود بَصَرَ الشاعر قبل فكره، فصور إحساسه اتجاه الورد، فجاء وصفه استجابةً لنفس تعشق الجمال، فالورد في نظره أجمل من كل الزهور، حيثُ يمتّع النفس بعبقه، و يزيلُ كلَّ همٍّ عتيد، و مهما بلغ هذا الورد من أوجه إلا أنّه سيبقى عبداً لورد الخدود. و في ذلك قال عبيد الله بن يحيى بن إدريس:

يُغازلُ عينَ الشمس حتى ترى لها ... إليه حنينَ المستكين منَ الوجدِ
إذا اشتهتِ الأنفاسُ طيبَ نسيمِه ... أتاها به من نافحاتِ[1] الصبا مُهدِ
فإن مجال العين في رونق الضُّحى ... عليه مجالُ اللحظِ في زَهر الخَدِّ
إذا ما جَنَيْنا الوردَ منه حكى لنا ... تورُّدُهُ ما في الخدود من الورد[2]

جاءت هذه الأبيات تصف لنا صورة الربيع، و تكشف عن قدرة الشاعر التعبيرية عن تلك الأجواء الشعورية التي وقع تحت تأثيرها، فوصفها وصفاً جميلاً معبراً عن مشاعره، و في الوقت نفسه توحي لنا التأمل، و تبعث فينا روح الانتعاش بجمال الطبيعة و تعمق من تفكيرنا فيها، و قد ساعده على ذلك الصور الجميلة التي ألصقها بفصل الربيع فهو مغازلٌ لعين الشمس، و هو مهدي الأرض أسرار الجمال، و هو مزين الروض بالورد و ما إلى ذلك من معطيات الربيع.

و من خلال وصف شعراء الأندلس للأزهار اتضح لي أن الشعراء لا يرون في الأزهار جمالاً جامداً، بل يرون في كل صورة من صور الأزهار ملامح لحبيب، و حين يشبه الشاعر حمرة الورد بحمرة الخد تكون أشد إمتاعاً للنفس و أروع تأدية للوصف.

أتى الربيع بخضرته و جماله سادلا ًستاره على سحبه و غيومه، فأشرقت الشمس بقدومه، فرحت الأرض بأزهاره، غناه الشعراء، فتفنّنوا بجماله، كيف لا يصف الشاعر الربيع و هو ابن الطبيعة، فهو الذي يوحي بأسرار الجمال الذي يصحبه معه، فيهدي هذا الجمال إلى سطح الأرض، فينشط إحساس الشعراء، و يلهبُ شاعريتهم، فقال يوسف بن هارون:

---

[1] نافحات: نفح: دفعة الريح. ابن منظور، **لسان العرب**.
[2] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٥٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بكت السحابُ على الرياضِ فَحسَّنَتْ ... منها غروساً من دموعٍ تَثْكُلِ
فكأنها و الطلُّ يُشْرق فوقَــهـــــــا ... وشْيٌ يُحَاكُ بلؤلـــــؤٍ مفصولِ[١]

ما زالت البيئة الأندلسية مسرح الصورة الأدبية، فنسج الشعراء من أجزائها لوحات فنية معبــرة زاد الطبيعة الأندلسية جمالا فوق جمال، حيث صور الشاعر الطبيعة لحظة الشروق عندما تقــع عليها أشعة الشمس فتتلألأ فتعطي منظرا جميلا، بصورة ثوب جميل زُيِّن باللؤلؤ فيعطي لمعانــا و منظرا جميلا.

و قال ابن عبد ربه:

وجهُ ربيعٍ أتاك باكرُهُ ... يرفِلُ[٢] في حَلْيه و في حُلَلِــهْ
كأنّ أيّامهَ ملبَّسَـــــــةٌ ... أثوابَ غضِّ الشبابِ مقتبلهْ[٣]

تبدو الصورة حديثة، و قد رسمها ابن عبد ربه بأسلوب سهل رقيق، فهذا يعكس نفس ابــن عبد ربه في الشعر حيث أنه رُزِقَ موهبة شعرية خصبة في الوصف، فهو فــي صــوره رســام دقيق في تعابيره يلون الأشياء حسب ذوقه المرهف، وينفخ فيها من قاموس شــاعريته، فتخــرج صورة جميلة ملفتة للنظر.

التمع الليل بالبرق الذي يخطف الأبصار سناه، فأومضَ البرق بين صوت الرعــود منــذراً باقتراب الخير ونزول المطر، و وصفه الشعراء بوصف أذهل العقول، غــدّوا الــروح بغــذاء الصور، فرسموا البرق و الرعد في أجمل اللوحات و في أفخر الصور، فقال أحمد بن فرج فــي البرق و الرعد:

---

[١] **شعر الرمادي**، ص١١٦. و ينظر: الحميري، أبو الوليد سعيد بن محمد, (ت٤٤٠هـ). **البديع في وصف الربيع**، ط١, (تحقيق علــي الكردي), دار سعد الدين, دمشق, ١٩٩٧م، ص٧.

[٢] يرفل: جر الذيل وركضه بالرجل. ابن منظور، **لسان العرب**.

[٣] **شعر ابن عبد ربه**، ص١٤٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و ليلتُنا بالغـــور أوْمَـضَ[١] بـــارقٌ حثيثُ[٢] الجناح مثل ما نبضَ العِرقُ
سرى مثلما يسري الهوى في جوانحي بِثِنْتَيْن من أحواله النّارُ الخفـــقُ
و لاحَ كأمـــثال البُـــرَى[٣] خُطِمَتْ بـــه من الغيم في ليل السُّرى أيْنُقٌ ورْقُ[٤]
و بـــاتت ديـــاجي الليل منـــه كأنّهـــا أحابيشُ[٥] في أيديهمُ الأمـــلُ الزُّرقُ[٦]

من خلال ما تقدم من أبيات شعرية نرى أن التشبيه التمثيلي سيطر على تـــشبيههم، فكـــأنهم وجدوا في هذا النوع من التصوير مجالا رحبا لرسم اللوحات المتداخلـــة المتـــشابكة، فالطبيعـــة الأندلسية لا يطوّقُها إلا الجمال، و مثل هذا الجمال لا يسعه إلا الإبداع في الخيال، و هذا ما كنـــا غير واجدين له بهذه الكثرة بالأغراض الشعرية السابقة من هذه الرسالة، إلا أنه كثر فـــي هـــذا الغرض تحديدا.

بل كانت الطبيعة هي الملهم الأول للأندلسين ، فكلنا يعلم أن البيئة الأندلسية تختلـــف عـــن تلـــك المشرقية، فلم يكن البرق و الرعد و الغيم و المطر شيئا غريبا عليها، لذلك وقَـــرت لهـــم بيئـــة خصبة للوحات فنية جميلة عبروا فيها عن مشاعرهم فأبدعوا التصوير أيما إبداع.

و قال يوسف بن هارون:

كأنّ انـــدفاعَ البرقِ بيـــن رعـــوده تطايرُ نارٍ لاصطكاك جنـــــادِلِ[٧]
أو أُسد الشَّرَى في مذهباتِ سلاسلٍ إذا هي دارت نُهْنِهَت[٨] في السلاسل
كأنّ نبات الزنج فيها مشيـــــــرةٌ إلى الأرض عن أكمامِ حمر الغلائل[٩]

جاءت أبيات الشاعرين حيّة تصف لنا ظاهرة البرق و صوت الرعد، و تكشف عن قدرة الشاعرين التعبيرية التي وقعا تحت تأثيرها، فقد جاءت الأبيات توحي إلى قارئها التأمل و التفكر في حادثتي البرق و الرعد، فكلاهما شبه البرق بالنّار، و لعلنا نلمح بوضوح مقـــدرة الـــشاعرين في اتباع الصور الكثيرة المجتمعة في ليلة فيها برق و رعد، فكلاهما رسام دقيـــق، و مـــصور

---

[١] أومض: لمع. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] حثيث: سريع. **المصدر نفسه**.
[٣] البرى: جمع بره وهي الحلقة التي تجعل بين الوبر أو من الجلد. **المصدر نفسه**.
[٤] ورق: جمع أورق وهو: لون بين الخضرة والسواد. **المصدر نفسه**.
[٥] أحابيش: جماعة سود اللون. **المصدر نفسه**.
[٦] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٣٨.
[٧] جنادل: الجندل: الحجارة. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٨] نهنهت: زجرت وصيح بها. **المصدر نفسه**.
[٩] **شعر الرمادي**، ص١٠٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بارع يجسم الأشياء و يلونها؛ و لكن يبث فيها من شاعريته، فلم تكن رسومات جامدة، بل غـدت رسوماً قريبة من خيال القارئ أو السامع.

أما المطر و ما يصحبه من برد وغيم وندف منهمر، فلم يدعه الأندلسيون يمر مروراً بـل توقفوا بشاعريتهم الرقيقة أمام تلك المناظر المدهشة الجميلة التي توحي لناظرها بالسعادة، فقـال جعفر ابن عثمان:

طَرقتْنا طوارقَ الغيثِ وَهْناً ... فَمَحَتْ أيديَ الحوادثِ عَنّـا
فكأن الرياضَ حُلّةُ وشـيٍ ... ندفَتْ حولها السحائبُ قُطنا[1]

في البيت الأخير لمسة جمالية رائعة حيث جعل الرياض حلة وشيٍ بيضاء من أثر ندف السحاب للثلج الأبيض والذي شبهه بالقطن.

وقال أحمد بن فرج:

يا غَيمُ أكبرُ حاجتـي ... سَقْيُ الحمى إن كنتَ تُسْـعفْ
رَشِّفْ صـداه فطالمـا ... روّى الصّدى فيـه الترشُّفْ
و اخلعْ عليـه من الربي ... ع ووشيه ثوبـاً مصنّـفْ
حتى تـرى أنهـاءَهُ ... و كأنّـها أعـشارُ مُصْحَـفْ
و تخالُ مُرْقَضّ[2] النـدى ... في روضهِ شكلاً وأحـرُفْ[3]

ابتهج الشاعران في الأبيات السابقة بنزول المطر، لأن بعد المطر يأتي الربيع بحلله الملونة، فيزين الأرض و الرياض، فقد تفتحت أذهان الشعراء و استجابوا لكل ما يحـيط بالحيـاة مـن مظاهر، فتصدوا لوصف المطر متأملين قدوم الربيع. و مع المطر يمتزج الريح فيقـول الحـسن بن حسان:

---

[1] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص١٦٥.
[2] مرفض: متفرق. ابن منظور، **لسان العرب**.
[3] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٤٦.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فجبْتُ بساطَ الأرضِ لم ألكُ سامعاً ... به غير شدوِ الجنّ هتفاً إلى هتفِ
كأن حنينَ الريحِ في جنباتِه ... حنينُ المثاني و المثالثِ في الغُرفِ[١]

أما السفن فقد خصها الله ــتعالىــ بالذكر في القرآن الكريم، فقال: "وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام" الرحمن، آية٢٤" لتكون تلك السفن دليل نعمةٍ من الله ــتعالىــ على خلقه، والشعراء في الأندلس لم يتركوا تلك النعمة (السفينة) تفوتهم دون وصف أو تشبيه، فقال ابن عبد ربه:

بَحْرٌ يسيرُ على بحرٍ بجاريةٍ ... للبحر حاملةٌ للبحر تحتمل
كأنّها جبلٌ في الماءِ منتقلٌ ... يا مَن رأى جبلاً في الماء ينتقلُ
تحكي العروسَ تهادَى في تأوّدها[٢] ... وقد أطافت بها الراياتُ والخولُ*[٣]

جاء ابن عبد ربه في الأبيات السابقة مازجاً بين المدح والوصف، استخدم ابن عبد ربه التشبيه، فصاغ لنا بالشعر لوحة محسوسة، فقد شبه ممدوحه بالبحر الذي يسير عليه البحر بالسفينة، فهذه السفينة في تصوير ابن عبد ربه جبلاً من حيث الثقل والضخامة، وكأن مشيتها مشية عروس متمايلة، غير أن ابن عبد ربه في أبياته السابقة استخدم أسلوب التكرار بصورة واضحة أضعف من قوة الخيال والإبداع، و قد تمثل التكرار في الكلمات الآتية: بحر، حاملة، تحتمل، جبل، منتقل، ينتقل.

و قال يوسف بن هارون:

و السفنُ قد جلّلّها قارُها ... كأنّها أعراءُ[٤] حُبْشان

---

[١] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٣٥-٣٦.
[٢] تأودها: تثنيها. ابن منظور، **لسان العرب**.
* الخول: حشم الرجل وأتباعه. **المصدر نفسه**
[٣] **ديوان ابن عبد ربه**، ص١٥٤.
[٤] أعراء: جماعات. ابن منظور، **لسان العرب**.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كأنها في دار مضمارها ... خيلٌ يُصَنّعْنَ[١] لميـــدانِ
كأنها و الماءُ ميدانُهـــا ... في الجوِّ منقضَّةٌ عِقبانِ
ترى المقاذيف بأحنائهـــا ... كأنما تُرْمى بميـــزانِ[٢]

لا زالت الصورة الفنية مسيطرة على شعر الطبيعة، فالمتأمل للأبيات السابقة يجدها في كـــل بيت، و سرّ الجمال في الأبيات السابقة يقع في عنصري اللون و الحركة التي تحدث الصوت.

فجمع الشاعر في أبياته السابقة عدّة أوصافٍ للسفينة فهي كالحبش و الخيل و العقبان، و نرى الشاعر اختار لسفينته أوصافاً تنبئ عن قوتها و أصالتها و علوها، كما أنه شبه الـــسفينة و هي في حالة التجديف بالميزان، و في ذلك دلالة واضحة على اتزانها و عدم ميلها في مـــشيتها حيث كان موفقاً في تشبيهه.

استغل الأندلسيون متع الحياة، فترف الحياة أورث لهم البهجة و البذخ في القول فأنـــشدوا الشعر في كل عادة من عاداتهم، في كل بسمة خطها لهم الزمن، فحفظوها لنا في بطون الكتب و دواوين الشعراء لتبقى وثيقةً مؤرخة ولسان صدق لمن أتى بعدهم، و رغب في الوقـــوف علـــى آثارهم و تصوير لهوهم، فقال ابن عبد ربه في الطرد:

يختلس الأنفسَ باستلابـــهْ ... كلبٌ يُلقّى الوحيَ من كُلاّبهِ
يموُّنُ أهلَ البيتِ باكتسابه ... أهَبْتُهُ فانصاعَ فـــي إهبابهِ
كأنه الكوكبُ في انصبابِهِ ... أو قبسٌ يُلْقَـــطُ من شهابهِ[٣]

جاءت الأبيات تصوّر الكلب في أثناء عملية الطـــرّد، حيث امتازت هذه الكلاب بالطاعة و الانصياع فاختار لأبياته ألفاظا توائم المطاوعة مثل (انصاع، انـــصبابه)، فقـــد شـــبه الكلـــب بالكوكب اللامع، و لعلنا نلمح بوضوح مقدرة الشاعر في خلق الصور الكثيرة المجتمعة في كلب صيد، و هذا يدل على ترف الحياة التي عاشها الأندلسيون في تلك البيئة.

---

[١] يصنعن: يضمرن ويهيأن. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] **شعر الرمادي**، ص١٣١.
[٣] **ديوان ابن عبد ربه**، ص٣٥.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فاق الفن في العمارة وصف الواصفين، و أعجز الأدباء و الشعراء عن النطق بـــدقتها و عظمتها، فتلعثمت الكلمات أمام جمالها، إلا أن النفوس تاقت إلى النطق بأبَّهتها، فخرجـــت كأنهـــا دُرَرٌ

بهيجة تنبئ عن جمالها و رونقها، فقال محمد بن الحسين الطاري في النواعير:[١]

لحـــنينها جـــنَّ الفـــؤادُ التـــائـــقُ ... و بكى الكئيبُ المستهامُ الوامقُ[٢]

أنَّـــتْ أنيـــنَ مُغَـــرَّبٍ عن ألفِـــهِ ... و دموعُها مثلُ الجمانِ سوابقُ

تبكي و يضحكُ تحتَ سيلِ دموعِها ... زَهْـــرٌ تبسّم نـــورُهُ وشَقـــائقُ[٣]

وصف الأندلسيون روائع الجمال فوقفوا أمامها، و حاولوا أن يبدوا إعجـــابهم بعظمتهـــا فتحدثوا عن تلك النواعير التي شبهوا الماء فيها كأنه بكاءٌ جمان، ففاق الشاعر الخيال عندما قال: هي تبكي ماءً ويضحك غيرها أي تتفتح الأزهار و تزدهر، ففي الأبيات السابقة مـــزج الطـــارئ بين مظاهر الطبيعة و مشاعر النفس المتضاربة من حنين و أنين و بكاء و ضـــحك و تبـــسم و دموع، فأضفى على صوره شتى المشاعر، و مختلف الأحاسيس الإنـــسانية، و وشَّـــى أوصـــافه بضروب من البيان كالاستعارة، و البديع كالطباق دون تكلف.

---

[١] الناعورة: هي التي ترفع الماء من باطن الأرض، ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] الوامق: المحب. **المصدر نفسه**.
[٣] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثاني: وصف الثمار

التفت الأندلسيون إلى وصف الثمار، حيث يعدّ هذا الوصف من الوسائل الفنيّة التي تذرع بها الشاعر للإتيان بالجديد في وصفه، و تعميق التذوق الفني في النفوس، فكان العنب و الكمثرى و السفرجل من الثمار التي أثارت شاعرية الأندلسيين، فقال أحمد بن عبد ربه في وصف عنبٍ أبيض و أسود شبهه ببنات الروم و الحبش:

أهديتُ بيضاً وسوداً في تلوّنِها ... كأنّها من بناتِ الروم و الحبشِ
عذراءَ تؤكَلُ أحياناً و تشربُ ... أحياناً فتعصمُ من جوعٍ و من عطشِ[١]

نلاحظ في الأبيات السابقة استخدام اللون للدلالة على نوع العنب في الأبيات السابقة، و هذا النوع من الوصف لم يكن جديداً في الأدب العربي فجذوره شبّت و ترعرعت حتى نمت على يد ابن الرومي في العهد العباسي، و من الجدير بالذكر أن الشاعر في وصفه كان تقليدياً و في تصويره أيضاً لم يخرج من دائرة التقليد إلا أن البيئة الأندلسية الجميلة بطبيعتها أكسبت الثمار تأنقاً وتلوينا.

و الصورة التي عرضها ابن عبد ربه صورة جميلة حيث شبه العنب الأبيض ببنات الروم و العنب الأسود ببنات الحبشة، و كشفت لنا تلك الصورة بوضوح نقاء العنب حيث جعل حبات العنب كالفتاة العذراء تؤكل أحياناً، و تشرب أحياناً عصيراً أو خمراً؛ فتعصم من جوع و من عطش، كما شبه أحمد بن فرج الفواكه بالشيء الحلو الجميل، فشبه حلو مذاق الفواكه بحلاوة الأخلاق و جمالها، فقال:

بعثْتُ بها أشباهَ أخلاقِكَ الزُّهْرِ ... بخطينِ من طيبِ المذاقةِ و النّشرِ
ملوّنةٌ لونين تحكيهما مَعاً ... بتلك الأيادي البيضِ و النّعَمِ الخضرِ[٢]

كذلك بدا اللون واضحاً في الأبيات السابقة مثل اللون الأبيض و اللون الأخضر في استخدامهما براعة واضحة، و من جانب آخر فإني أرى استخدام اللون مناسباً جداً بل ضرورياً لمثل هذا الوصف الذي يضفي على النص الدقة في الوصف كما أننا نلحظ التجديد في صياغة الصورة فالجديد فيها تشبيه الثمار بحلاوة الأخلاق مع أنّ الحلاوة في هذه تختلف عن الحلاوة في تلك

[١] **ديوان ابن عبد ربه**، ص١١٤.
[٢] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٨٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فنرى ابن فرج في بيته الثاني شبه بياض العنب ببياض يده و الأيادي البيضاء كناية عن الفضل و الإحسان.

و السفرجل أيضاً نال نصيباً من شعر أحمد بن فرج فوصفه بأزكى الفروع والأصـــول، حيث صوّره محاكياً للعشاق في صفرتهم و مخالفاً لهم في حجمهم فلم يكن نحيلاً و ضعيفاً.

أوالفُ أغصاناٍ تركـــنَ فـــروعَهـــا ... ليقصدنَ أزكى أفرعاً و أصولا
حكتْ من حلى العشَّاق لوناً و خالفتْ ... بنعمتِها منـــــهم ضنىً و نحولا[1]

نلحظ من خلال الأبيات السابقة دقة الوصف بتصوير حجم الثمار و لونها بالإضـــافة إلـــى لونها الأصفر، حيث اختار لها وصفاً واضحاً متعارفاً عليه لا يحتاج إلى جهد في استنتاجه.
كما قال فيها أبو عثمان المصحفي:

و مصفرةٍ تختالُ في ثوبِ نرجسٍ ... و تَعْبَقُ عن مسكٍ ذكـــيِّ التَّـــنفسِ
لها ريحُ محبوبٍ و قســـوةُ قلبـــهِ ... و لونُ محبٍّ حُلّة الســـقَم مُـــكْتَسي
فصفرتـــها من صُفرتي مستـــعارةٌ ... و أنفاسُها في الطيبِ أنفاسُ مؤنسِ
فلما استتمْتْ في القضيبِ شبابَها ... حاكـــتْ لها الأنواءُ أبرادَ سُـــندسِ
مددْتُ يدي باللطفِ أبغي اقتطافَها ... لأجعلَها ريحـــانتي وَسْـــطَ مجلـــسي
و كانَّ لها ثوبٌ من الزّغبِ أغبرٌ ... يرفُّ على جسمٍ من التبـــرِ أملـــسِ
فلما تعرتْ في يـــدي من لباسِها ... و لم تبـــقَ إلا في غـــلالةِ نرجـــسِ
ذكرتُ بها من لا أبـــوحُ بذكـــرهِ ... فأذبـــلَها في الكـــفِّ حَـــرٌّ تنفُّـــسي[2]

لقد حدثنا المصحفي عن السفرجل الزكي و حسن منظره، ثم مزج ذلك بوصف المـــرأة أحياناً، و بثها مشاعره أحياناً أخرى في ألفاظ رقيقة، و صور حية، غير أننا نلمس فـــي أبياتـــه شهوة جسدية عارمة، حين وصف السفرجلة بعد تقشيرها بأنها تعرت من ثيابها و لم تبق إلا في غلالة نرجس؛ فتذكر بها فتاته التي أدى معها الدور نفسه، و لم يكن في هذا حرجاً؛ لأنه جـــزء من المجتمع الأندلسي، مجتمع التحرر و الانطلاق.

---

[1] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٨٥.
[2] ابن الأبار، **الحلة السيراء**، ج١، ص٢٦١-٢٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و من أبدع الصور التي جاء بها الشعراء في وصف الثمار تصوير ابن فـرج للرمـان حيث شبه داخله بشبكة الصدف التي ملئت جوهراً أحمرَ نقياً به مرجان، ثم شبه طعمه و مذاقه بلثات الحبيب، فقال:

و لابسةٍ صَـــــــدَفاً أحمرا أتتكَ و قدْ مُلِئتْ جوهـــرا
كأنّك فاتِحُ حَـــــــقٍّ لطيفٍ تضمّنَ مرجانَه الأحمـــرا
حـــبوباً كمثل لِثـــاتِ الحبيبِ رُضاباً إذا شئتَ أو منظرا[1]

نلحظ من خلال هذا المبحث أن عنصر اللون كان مسيطراً على كل وصفٍ فيه، فلا تكـاد مقطوعة تخلو من استخدام لون واحد على الأقل، واستخدام اللون أضفى على الوصف امتيازاً لا يوجد في غيره من وصف الطبيعة أو وصف الحرب.

في هذا الجانب لم يكثر الأندلسيون من الوصف للثمار وبالتحديد لا تعنينا الكثرة بقـدر مـا لُفِتَتْ أنظارُنا إلى طرافة ما تخيلوه من صور و ما أبدعوه من تصوير.

[1] المقري، **نفح الطيب**، ج٢، ص ٤٦٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الثالث: وصف البساتين

رسم ابن عبد ربه صورة فنية جميلة وصف بها بستاناً و قد حَفّته الجنّات و أثقلتــه الثمــار التي إذا عُصِرَت مَجّت رُضَاباً كأنه العسل، و قد يكون هذا المعنى مطروقاً لكن جمال التعبير و الإحساس العميق لمسا أوتار النفس و حركا الكامن فيها، فقال ابن عبد ربه:

تَحفُّ به جَنّاتُ دنيـــــا تعطّــفــتْ ... لصائفِــه في الْحَلْيِ شاتيــةً عَطْلــى
مُطبَّقةُ الأفنانِ طيّبـــةُ الثـــــرى ... محمَّلــةٌ مــا لا تــطيقُ لــه حــملا
عناقِدُها دُهــــمٌ[1] تنوّطُ بينهـــــــا ... و قد أشرقتْ علْواً كما أظلمــتْ سُــقْلا
كأنّ بني حامٍ تدلــّــــــت خِلالَهــا ... فــوافقَ منــها شــكلــُها ذلك الشــكلا
و إن عُصِرتْ مَجّتْ رضاباً كأنّهــا ... جنى النَّحلِ من طيبٍ و ما تعرفُ النحلا[2]

في هذه الأبيات شبه الشاعر الطبيعة بالطبيعة باختلاف عناصــرها؛ فجمــال الأنــدلس وطبيعتها الخلابة أوحت للشاعر بمشاهد طبيعية متآلفة فيما بينها، فقد شبه الأشجار و ما تجــود به من ثمار تتساقط لغزارتها أرضاً تلون بها تربتها اللؤلؤية، بسماء الأندلس حيث تزخر شــاتية تسقي البساتين و تضيء قصورها بلمعات قطرات الماء، كما أنه شبه سواد الأشجار و كثافتهــا بالثمار، و أوراق الشجر بالظلمة التي تحيط البستان وقت سقوط المطر. و لــم يــنس الــشاعر إشراقة الصباح في هذه الصورة، فالظلمة السابقة ليست إلا جمالاً براقاً عليــه ظــاهر الــشجر، فالشجر هو الأعلى مشرقاً براقاً بثماره. و لم ينس أيضاً ربط الطبيعة الخلابة بخلق البشر، فقــد شبه هذه البساتين بكثافة أشجارها و سوادها بنسل بني حام في كثافتهم و سواد لونهم، فلــم يــأت عطاء هذه البساتين و الأشجار من جود الطعم و نقائه إلا كعطاء سلالة بني حام فــي عطــائهم. كما كشفت الأبيات و بكل وضوح عمق ثقافة الشاعر الأدبية و التاريخية على حد سواء.

يبدو أن هذه البساتين كانت مسرحاً لحياة الشعراء، مستسلمين إلــى أحــضانها، يبثــون آلامهم و أحزانهم، فتعطيهم الحبّ و الحنان و تجود عليهم بأجود الأشعار، فكانت ملهمــةً لهــم، ممتّعةً لأنظارهم بجمال ورودها، فيتنسمون عبيرها الفوّاح فتذكي قرائحهم وتــشعل شــاعريتهم فيألفون أجمل الشعر و أعذبه فيها.

---

[1] دهم: الدهمة الأسود. ابن منظور، **لسان العرب**.
[2] **ديوان ابن عبد ربه**، ص١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الرابع: وصف الحمام و هديله

يبدو أن الشعراء الأندلسيين عندما يسمعون تغريد الطيور يجدون في ذلك نغمة تحـــرك نفوسهم و تهز قلوبهم، و تدفعهم إلى شدو الشعر ليتناغم مع صوت الطيـــور، فيـــأتي شـــعرهم صورة صوتية للهديل العذب، قال ابن عبد ربه:

و إنَّ ارتياحي من بكاءِ حمامةٍ كذي شجَنٍ داويتـــُـــهُ بشجونِ
كأنّ حمامَ الأيكِ حينَ تجاوَبتْ حزينٌ بكى من رحمةٍ لحزين[١]

و قال أيضا:

و لربَّ نائحةٍ علـــــى فَنَنٍ تُشْجي الخَليَّ و ما به شَجْوُ
و تغرّدتْ في غصنِ أيكتِها فـــكأنَّ تغريدَهـــا شـــــدوُ[٢]

في الأبيات الأولى, ركز الشاعر على حاسة السمع التي قادته إلى قول الشعر فقد شـــارك الحمامة حزنها حينما هيجت عواطفه، فانهالت أحاسيسه حتى بلغت ذروتها، عندما تـــصور تلـــك الحمامة الحزينة بشجوها الحزين حتى انفجر بكاءً لحزنها، و قد استخدم الشاعر أســـلوب التكـــرار ليؤكد حزنه الذي سببه شجو الحمام، فهذا بحد ذاته يثبت شاعرية الشاعر و رقة إحساسه، و ربمـــا البيئة الأندلسية الناعمة كانت سبباً في إضفاء الرقة على الناس بشكل عام، و على الشعراء بـــشكل خاص.

و في الأبيات الثانية, يكرر الشاعر نفس الصورة بأسلوب رقيق يكشف عـــن تفـــسير ذات الشاعر أمام عجائب مخلوقات الله ــ عز وجل ــ إلا أنه في تلك الأبيات وجه السمع إلى التغريـــد الذي شبهه بالشدو مصْرفاً نظره عن الحزن والبكاء.

و من الشجو و الحزن ننتقل إلى الغناء و الفرح حيث شبه الطُّبْني الحمامة بداعية الهوى دون لسانٍ, لكنها تغني، فتحبّب الأراك بها فوق الغصون، فقال محمد بن الحسين الطُّبْني:

قـــُمريةٌ دَعَتِ الهوى فكـــَأنَّما نطقتْ وليس لها لسانٌ ناطـــــقُ

---

[١] **ديوان ابن عبد ربه**، ص١٦٥.
[٢] **المصدر نفسه**، ص١٩٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

غنّت فحببتِ الأراك كأنَّمـــا فوقَ الغصونِ حبابـــةٌ و مخارق[١]

في الأبيات السابقة اختار الشاعر للحمامة اسم تدعى به، فكان اسمها في نظـــر الطبنـــي (قمرية)، فقد شبهها بالإنسان بعد إبقاء شيء من لوازمه ألا و هو اللسان الذي يدعو للهـــوى، و هذا الوصف مختلف عن سابقه: فقد ركز ابن عبد ربه على فقط الصوت إلا أن الطبنـــي رغـــب في التمييز فأوكل للحمامة وظيفة فكانت صورة مبتدعة جميلة منه.

و هكذا نرى أن الشعراء الأندلسيين بشاعريتهم الشفّافة طربوا لطرب الحمام و حَزنـــوا لشجوه، فأبدعوا الصور التي تكشف القناع عن تلك الأحاسيس الرقيقة، و المشاعر المرهفة التي هزها ذلك الصوت بحزنه و فرحه.

[١] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب الخامس: وصف القصور

قد شجع أمراء الأندلس شعراءهم على وصف قصورهم، وإظهار أبّهتها و جمالها لأنهم كانوا يرون فيها عظمةً لهم و تخليداً لذكراهم، فيقال أن عبد الرحمن الناصر قال أبياتاً في هذا:

هِمَمُ الملوكِ إذا أرادوا ذكرَها ... من بعدِهم فبألسنِ البنيانِ
أو ما ترى الهرمين قد بقيا وكمْ ... ملكٍ محاهُ حوادثُ الأزمانِ
إنّ البناءَ إذا تعاظمَ شأنُه ... أضحى يدلُّ على عظيمِ الشأنِ[١]

وقف الشعراء أمام القصور يتأملونها بكل إعجاب ببنائها و فخر ببانيها، فكانت تلك الأشعار أكثر ثباتاً و رسوخاً من تلك القصور الفانية، فحفظوا لنا عظمتها بألسنتهم و أشعارهم، فقد تلاشت تلك القصور و أفناها الزمن و بقي الشعر يحدثنا عن تلك العجائب المقامة، فبذلك خلّد الأمراءَ الشعرُ و لم تخلّدهم قصورهم، فهذا النوع من الشعر صوّر لنا الحضارة القائمة في ذلك الزمن، و كما تفنن الشعراء الأندلسيون في وصف الطبيعة تفننوا في وصف الطبيعة الصناعية، فوصفوا قصور الخلفاء و الأمراء التي أسرفوا في تشييدها مقلدين بذلك الأمويين و العباسيين، بل فاقوهم أحياناً. فتلك القصور التي تنافس في تشييدها أمهر المهندسين بناء و تصميماً و زخرفة، كذلك تنافس الشعراء في وصفها بالكلمات، و رسمها بالعبارات.
حيث يطالعنا في هذا الصعيد ابن شخيص[٢] مصوّراً لنا قصر الزهراء العامر فيقول:

هذي مباني أميرُ المؤمنين غدت ... يُزري[٣] بها آخرُ الدنيا على الأولِ
كذا الدراري[٤] وجدْنا الشمسَ أعظمَها ... قِدْراً و إنْ قُصرتْ في العلو عن زُحَلِ
لقد جلا مصنعُ الزهراءِ عن أثرٍ ... مُوّحدَ القَدر عن مِثلٍ و عَنْ مَثَلِ
فاتت محاسِنُها مجهودَ واصِفِها ... فالقولُ كالسكتِ و الإيجازُ كالخطلِ[٥]

---

[١] الأندلسي، ابن سعيد، **المُغرب**، ج١، ص ١٧٩-١٨٠.
[٢] هو أبو عبد الله: محمد بن مطرف بن شخيص. ينتمي إلى بيت رفيع بقرطبة، وقد كان من الشعراء البارزين أيام الحكم المستنصر، يقوم في المناسبات العيدية والاستقبالية بقصائد المدح، ولابن شخيص نشاط في الشعر الهزلي أيضا، فقد نظم أشعاراً هزلية على لسان شخص يسمى أبا الغوث كسبت له مالاً ورفعة، توفي قبل الأربعمائة. الحميدي، **جذوة المقتبس**, ترجمة ٨٤. الضبي، **بغية الملتمس**, **ترجمة** ٧٦.
[٣] يزري: يعيب. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٤] الدراري: العزيز في ظل جبل لا تصيبه شمس. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٥] الخطل: الكلام الفاسد. **المصدر نفسه**.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بل فضلُها في مباني الأرضِ أجمعِها ... كفضلِ دَولةِ بـانيها علـى الـدولِ
كادت قِسِيٌّ[١] الحنايا أن تضارعَـهـا ... أهلّةُ السَّعدِ و لا وصـمَةُ الأفـلِ[٢]
تألفت فغـدا نقصانُهـا كمـلاً ... و ربما تنقصُ الأشيـاءُ بالكَمَـلِ
أوفى سناها على أعلى مفارقِـها ... من لؤلؤِ حالياتِ الخلقِ بِالعطـلِ
كم عاشِقَـيْنِ من الطيارِ ما فتئـا ... فيها يرودانِ مِن رَوْضٍ إلى غَلَـلِ[٣]
إذا تهادى حَبابُ الحـوضِ حَثّهما ... على التّنقُّل من نَهلٍ إلى عَلَـلِ
كأنَّـما أفـرغَـتْ ألـواحَ مَرمرِهِ ... من ماءِ عَصراءَ لم يُجمَدْ و لم يسلِ[٤]

نرى في القصيدة تصويراً دقيقاً بارعاً لعظمة القصر حتى إن قصور الأرض كلها لا تساوي شيئاً إلى جنبه، فقد رسم القصر بريشة الفنان التي عكست جماله على عقولنا بحيث أصبح يُخيّـل للقارئ أنه يقف أمام ذلك القصر العظيم المتناهي في الطول والجمـال، و الـشاعر دقيـق فـي تصويره، مجيد في تعبيره، فقد أبدع حين جعل أبياته لوحة فنية ناطقة، تنطق عن لسان العـز و الجمال الذي كسا الزهراء، حين فاقت محاسنها جهود الواصفين، كأن العقول قـد ذهلـت عنـد عظمتها فتوقفت عن التخيل والكلام، و وقفت الأقلام جافة أمام عظمتها وأبهتها، إلا أنها سـتبقى لسان عز يفخر بعظمة الأمويين و اهتمامهم بالبناء و على رأسهم عبد الرحمن الناصـر؛ الـذي خصص جزءاً من ميزانية الدولة للبناء "فقد قسم الناصر هذه الجباية إلى ثلاثة أقسام: قسم للجنـد و الحروب، و قسم للبنيان، و قسم للادخار"[٥] و لعل القسم الثاني هو الذي يفسر رقـي الأنـدلس العمراني، فتكون لسان حال على قوة الدولة.

و في هذا الجانب من الوصف لم يكن الأندلسيون أصحاب ابتكار بل كانوا مقلدين لغيـرهم، فقد سبقهم المشارقة في وصف القصور، فهذه سينية البحتري في وصف قصر المتوكل ما زالت تمثل وثيقة عز وفخار إلى يومنا الذي نعيش.

---

[١] قسي: المكان المرتفع. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] أفل: غاب. **المصدر نفسه**.
[٣] غلل: شدة العطش وحرارته. **المصدر نفسه**.
[٤] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٧٥.
[٥] الأندلسي، ابن سعيد، **المغرب**، ج١، ص١٨٣. المراكشي، ابن عذاريّ، **البيان المغرب**، ج٢، ص٢٣١. المقري، **نفح الطيـب**، ج١، ص١٤٦، ٢٧٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المطلب السادس: وصف الأدوات

عبر الشعر عن الحضارة و وصف أدواتها ، فكشف ذلك الشعر عن رقي الحياة في مختلف ظروفها في الحرب و السلم، ففي الحرب وصفوا السيوف و الدروع وصفاً يبرز قوة الأندلسيين و فاعلية سيوفهم في الأعداء، حيث كانت الأرواح تأتي مسلمة لتلك السيوف، فبهذا السيف تنتهي الآجال لأنه سيفٌ ردينيٌ لا يعمل إلا في الرؤوس، فقال يوسف بن هارون:

له حُسْنُ خلقٍ في العيون إذا بدا ... على أنَّه تُردي النفوسَ غوائِلُهْ[١]

تضاءلَ حتى ما تأملتَ شخصَه ... بلحظكَ إلاّ خِلْتَ أنَّك خاتلُه[٢]

كانّ هواهُ في الجماجم والطّلى ... أحلَّ الضنا[٣] في جسمِه فهو ناحِلُه

لطيفٌ كلطفِ الروح عند ولوجِه ... فمسلكُهُ في كلِّ جسمٍ مفاصلُه[٤]

حاكى الأندلسيون المشارقة في وصف أدواتهم (سيوفهم)، فمنذ فجر الأدب العربي حفلت كتب الأدب بالعديد من الأبيات التي تبرز وصف السيوف وإعمالها في رؤوس الأعداء، و جاء عنترة ليسجل بشعره لنا أروع مشهدٍ في الشجاعة و إعمال السيف، فقد قال:

و سيفي كانَ في الهيجا طبيباً ... يداوي رأسَ من يشكو الصداعا[٥]

مَنْ يقرأ وصف الرمادي يشعر بمتعة الإبداع الذي وصل إليه حيث أضفى صفة الجمال على سيفه، فإذا بدا السيف فتن الناظرين بحسنه، و في سيفه تكمن القوة وراء الجمال، فهذا السيف لا يعمل إلا في الجماجم و المفاصل؛ فكأن ملك الموت موصولٌ بحده، فكان تصويره ينساب إلى النفس انسياباً فيصنع فيها الفخر بكلامه، و الإعجاب بتنسيقه.

---

[١] غوائله: غائلة: داهية مهلكة. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] ختاله: الختل: تخادع عن غفلة. **المصدر نفسه**.
[٣] الضنا: المرض. **المصدر نفسه**.
[٤] **شعر الرمادي**، ص١٠٢.
[٥] فرهود، أحمد عبد الله, (١٩٩٩م). **عنترة بن شداد العبسي, ديوان شعر**. شرح عبد القادر مايو, حلب: دار القلم، ص١٤٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الحرب لا تقوم على السيوف فقط بل تتطلب أدوات أخرى لم يعزلها الشعر من قاموسه، فكان للرماح نصيب من تلك الأشعار فقال ابن عبد ربه في الرماح:

لكلِّ رُدَينيٍّ كـــأنَّ سنانَـــــــــه شهابٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ساطعُ
تقاصرتْ الآجالُ في طولِ مَتْنِه و عادتْ بـــــه الآمالُ وهي فجائعُ[١]

في هذه الأبيات شبه الشاعر رمحه بالشهاب الذي يكسر ظلمة الليل بنوره، و يقـضي علـى الأرواح حدُّ متنه. فهنا يلتقي الرمادي في وصفه للسيف مع ابن عبد ربه في وصفه للرمح، فكلا الأداتين تقصّر الآجال وتحقق الآمال.

و يحسن بنا الانتقال من أجواء الموت والقتل إلى أجواء الثقافة و الانفتـاح، فقـد عبـر الأندلسيون عن ثقافتهم و حضارتهم بوصف صحائفهم و أقلامهم التي جادت بالكثير من الشعر و النثر، فكان إنتاجهم موضع فخر و إعجاب، حين أنبأ ذلك عن شخصية الأندلسي و ذوقه و حسه و فضله في مجال الإنتاج، فقد وصف الأندلسيون أغلب الأشياء التي وقعت تحـت أنظـارهم و جاء وصفهم لها طبيعياً جميلاً يصنع في النفس صنعها من المتعـة و الانتـشاء دون تكلـف أو تصنع.

وقد وصف الأندلسيون الصحف كما وصفوا الأقلام، و من ذلك الوصف للصحف، ما قاله محمد ابن الحسين الطارئ في صحيفة:

كأنّها الروضةُ الغنّاءُ قـــد وَلَفَتْ فيها الغوادي بتسكـــابٍ من الدِّيَم
بكتْ عليها عيونُ المُزْنِ فابتسمتْ عن أقحوانٍ كحسنِ الثغرِ مُبْتَسِم
كأنّ أحرُفَها الأصداغُ قـد عُطفتْ في خدِّ ريمٍ بكـفِّ الحسنِ ملتطِم[٢]

مزج الشاعر في أبياته السابقة بين الطبيعة والمرأة لاشتمالهما على قيم جمالية عالية في عُـرف البشر، فكلاهما استخدمه في تشبيهه لصحيفته، فظلت الطبيعة حاضرة في جميـع الأوصـاف لا تريد أن تنفك عنها، و في ذلك تبرير يعود إلى سر الطبيعة و المرأة في جمالها.

---

[١] **ديوان ابن عبد ربه**، ص١٢٢. وانظر الثعالبي, **اليتيمة**, ج٢, ص٧٦.
[٢] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٢٢١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي الأبيات السابقة شبه محمد بن الحسين الطارئ الصحيفة بالروضة الغنّاء التي سقتها الغوادي من دموع أعينها فخطت أحرفاً كأنها الأصداغ في خدّ غزال.

و قال عبد الملك بن جهور:

صُحْفٌ إذا لوحظتْ يشبِّهُهَا ال ... ناظرُ فيها بروضةٍ أُنُـــف ِ

عطفةُ نُوناتِهـا إذا عُطفـــتْ ... كسالفٍ بالعبيـر ِمنعطِـــف ِ

و الألفاتُ التي تصوّرُهـــــا ... قـــدُ غلامٍ مُسْتملـح الهَيف ِ

أغيدَ كالخُوْطِ[١] فوقَ دِعْص[٢] نقاً ... فالموتُ منه في اللام و الألفِ[٣]

فعبد الملك شبه الصحف بالروضة أيضاً لكن خصّ الصحيفة بحرف النون الذي يفوح منه العبير، و شبه الألف القائمة بقدّ الغلام الأهيف الحسن. ففي هذا التشبيه أرى بُعد النظر و جمال التصوير و عمق الإحساس غير المعهود فأبدع في تشبيهه أيما إبداع.

فكلا الشاعرين وصفَ الصحيفة بالروضة لكن محمد بن الحسين شبه حروفها بالأصداغ التي عطفت في وجه الحسناء و ابن جهور شبه حروف صحيفته بالغلام الأهيف الجميل، ففي كلا الصورتين بدا الإبداع واضحاً، كما بدت الحداثة في الوصف أيضاً.

أما القلم؛ فوصفه الشعراء فبلغوا الدقة في وصفه فقال الطارئ:

بمُرهَفٍ يستمدُّ مُـــرْهَفَـــةً ... مُذلـّقَ[٤] الحدِّ ناحلَ الطّرَفِ

ينشرُ سرَّ الضَّمير عاملُـــــهُ ... كالدَّمع يبدي سرائرَ الكَلَف ِ[٥]

لولاه ما قـُيـِّدتْ و لا انطلقتْ ... على الليالي مآثرُ السَّـلفِ

كأن أنفاسَـــــــه بناصِعِهـا ... سوادُ شعرٍ في الخدِّ منعطفِ[٦]

---

[١] الخوط: الغصن الناعم. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] دعص: كومة الرمل. **المصدر نفسه**.
[٣] ابن الكتاني، **التشبيهات**, ص٢٢٤.
[٤] مذلق: محدد. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٥] الكلف: لون بين السواد والحمرة، الحب. **المصدر نفسه** .
[٦] ابن الكتاني، **التشبيهات**, ص٢٢٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

مدح الشاعر في أبياته السابقة ذلك القلم الذي لولاه ما قيّدت و لا انطلقت على الملأ مآثر التاريخ و أمجاد العرب، فقد وصف الشاعر القلم وصفاً مادياً و معنوياً، و جاء وصفه منسقاً جميلاً.

أثبت الأندلسيون قدرتهم على وصف الأشياء التي وقعت تحت أبصارهم، فدرسوا الأشياء بفكرهم، و سرّحوا عواطفهم فأخرجوا لنا البديع و الجميل ليبقى شاهداً على شاعريتهم و حسن ذوقهم في تخريج الصور، وتفعيل العواطف الكامنة في النفوس.

في هذا الباب من الشعر، لفت الشعراء أنظارنا إلى محاسن الأندلس عامة، فوصفوا لنا الرياض والربيع والأزهار وتغريد الطيور وجمال القصور وما يحف بها من جنان، كما عكست الأبيات لنا حب الشاعر الأندلسي للطبيعة حباً جماً، فإنه لم يحاول في أحيان كثيرة أن ينفخ فيها من روحه، و يمتزج فيها بأحاسيسه و مشاعره امتزاجاً تاماً، بل كان يكتفي (غالباً) بتصويرها معتمداً على حواسه المختلفة، أبرزها حاسة البصر، ثم يجسم ما يراه و يبرزه معتمداً في ذلك على خياله و صوره.

و قد كشف وصف الطبيعة لدى شعراء الأندلس عن حبهم لبلادهم و تفضيلها على ما سواها من البلدان، وهذا ما أكده جودت الركابي فقال: "إن وصف الطبيعة في الأندلس كان في الغالب الأعم شغفاً بمحاسنها، و تصويراً حسياً لمباهجها تموج به بين حين و آخر خفقة من حياة و دفقة من عاطفة صادقة"[١].

[١] الركابي، جودت, **في الأدب الأندلسي**، ص١٣٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الفصل الثالث: الخصائص الفنية للشعر في بلاط عبد الرحمن الناصر

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: اللغة والأسلوب

المبحث الثاني: الصورة الشعرية

المبحث الثالث: الإيقاع الموسيقي

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الأول: اللغة والأسلوب

تعد اللغة ركناً أساسياً في تكوين القصيدة، فهي وسيلة الشاعر في التعبير، و هي موسيقاه و ألوانه ومادته الخام، و اللغة في يد الشاعر أو الكاتب قادرة على أن تحمل صورة نابضة حية، والشاعر الماهر هو الذي يستطيع السيطرة على عناصر اللغة، ويتمكن من توظيفها لإبراز الإحساس الواحد في قصيدته. و قد أدرك نقادنا القدماء دور الألفاظ في بناء القصيدة، فاشترطوا أن تكون سمحة، سهلة مخارج الحروف، عليها رونق الفصاحة مع الخلو من البشاعة[١].

و ذهب ابن رشيق إلى أن للشعراء ألفاظاً معروفة، و أمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها، و لا أن يستعمل غيرها، كما أن الكتّاب اصطلحوا على ألفاظ بأعيانها سموها الكتابة لا يتجاوزونها إلى سواها[٢].

فاللفظة تؤدي دورها في ترجمة جيشان العواطف الوجدانية، و التعبير عنها بصورة دقيقة تامة، يساعدها على ذلك ما تتمتع به من أبعاد نفسية و ظلال موحية، و حالة شفافة، تشع عما تكمنه من شحنات عاطفية، و ما تحمله من دلالات انفعالية تجتذب إليها الشاعر فتصدق التعبير عن نفسه و تؤثر في سامعيه[٣]، و تنحصر صناعة الشعر في تحويل الألفاظ إلى أعمال مسرحية وملحمية؛ و ذلك لأن الفرق الأساسي بين استعمال الألفاظ في الشعر و النثر هو مقدار الحيوية و النشاط اللذين ينبعثان منهما، و كلما كان الشاعر أصيلاً كانت ألفاظه تتضح بالقيم فتقطر منها الموسيقا و المعنى و الذاكرة و البساطة و الزخرفة و الصورة و الفكرة.[٤]

فاللغة إذن مادة الأدب، يستخدمها الشاعر استخداماً خاصاً، و بها ينقل إلى الناس تجربة جديدة منفعلة بالحياة، غير أن اللغة ليست مجرد مادة، و إنما هي ذاتها من إبداع الإنسان لذلك فهي مشحونة بالتراث الثقافي[٥] تستطيع بطبيعتها و مزاجها أن تعيش في المجتمع و تتفاعل معه فتؤدي حاجته الفكرية و الروحية.

فإذا رجعنا إلى لغة الشعر الأندلسي فإنها اتسمت بالسهولة و الوضوح و ابتعدت عن الغموض و التعقيد في إطارها العام، و تغير إحساس الشعراء بالألفاظ بتطور ذوق العصر، و تخلصوا ما أمكن من الوقوع تحت تأثير المعجم اللغوي القديم، و أخذوا يعبرون عما في نفوسهم

---

[١] ابن جعفر، قدامة, **نقد الشعر**،(تحقيق محمد منون)، القاهرة، د.ت، ص٨.
[٢] القيرواني، **العمدة**، ج١، ص١٢٨.
[٣] الأهواني، عبد العزيز, (١٩٦٢م). **ابن سناء الملك ومشكلة العقم والابتكار في الشعر**. القاهرة: مطبعة الأنجلو المصرية. ص٢٤.
[٤] درو، اليزابيث, (١٩٦١م). **الشعر كيف نفهمه ونتذوقه**. ترجمة محمد إبراهيم الشوش، بيروت، ص٩١.
[٥] رينيه ويلك، و استن وايرن، (١٩٨٧م). **نظرية الأدب**، ترجمة: محيي الدين صبحي، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص٢٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بلغة رقيقة بسيطة بعيدة عن الغريب و المستكره، ولعل هذا التطور اللغوي لم يقتصر على الأندلس وحدها، و إنما امتد ليشمل البيئات العربية أيضاً، و في هذا يقول يوهان فك: "لقد تراجع في ذلك العهد ــ الأموي الأندلسي ــ الطابع الوحشي للغة العربية القديمة بثروتها الفياضة في الألفاظ و القوالب أمام أسلوب منمق مهذب، لا يسبب استواؤه و سهولته صعوبات ذات بال للأفهام. هذه اللغة المنسكبة الواضحة سرعان ما اجتذبت و استعملت في الأدب من قبل المثقفين جميعاً في العالم الإسلامي"[١]. فالذي ذهب إليه يوهان فك بدا أكثر وضوحاً في المجتمع الأندلسي من غيره من المجتمعات الأخرى؛ ذلك لأن الابتعاد عن الغريب و الجنوح إلى الرقة و السهولة ظاهرة أصبحت سائدة في الشعر الأندلسي تنسجم مع العصر و ما اقتضاه التطور، فكانت السهولة و البساطة في الشعر الأندلسي من الأمور التي يفخر بها الشعراء، فقال دَرْوَد:[٢]

تَحَلّتْ بامتداحِكَ إذ تَحلّتْ ... فما تركَتْ لغانيةٍ حُلِيّا
معانٍ كالأهلةِ لا تُشكَى ... دجىً منها ولا تَخْشى خَفيّا[٣]

و مع هذا فقد حافظ الأدب الرسمي على اللغة العربية الأم و هذا أمرٌ طبيعي، فلم ينفصل العرب في الأندلس عن جذورهم العربية في المشرق طوال العهد الأموي على الأقل، و كان لتدريس الشعر العربي المشرقي للطفل الأندلسي المسلم منذ نعومة أظفاره قبل تدريسه علوم الدين، الأثر البالغ في تكوين ذائقته الشعرية فيما بعد، و يبدو من خلال ما وصل إلينا من شعر ذلك العصر أن الشعراء "كانوا يكتبون لهدف واضح، لا يدعو إلى الشعور بوجود محاولة دفاعية من جانبهم للتوكيد على توجه ثقافي مختلف أو التنافس مع أدب غير عربي في أي مكان"[٤]. و لكن هذا لا يعني أن اللغة العربية الأندلسية لم يخالطها شيءٌ من اللغة الإسبانية فقد مرت عبارة واحدة إسبانية هي "شوقول" التي وردت في معرض مداعبة الخليفة الناصر و وزيره ابن جهور للوزير أبي القاسم، أما الغالب على الشعر الأندلسي فهو المحافظة على النقاء اللغوي.

---

[١] فك، يوهان، (١٩٥١م). **العربية**، ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة: مكتبة الخانجي، ص٨٥.

[٢] درود: هو عبد الله بن سليمان، ويصغر اسمه فيقال "دريون"، كان نحوياً شاعراً، وقد شرح كتاب الكسائي. الحميدي، **الجذوة**، ترجمة رقم ٢٤٣. الضبي، **بغية الملتمس**، ترجمة رقم ٩٢٤. إلا أن ابن الأبار ترجمة له في التكملة رقم ٣٦٦: لمن اسمه محمد بن أصبغ النحوي الضرير، وقال: إنه يعرف بدريود، وأن الخليفة بقرطبة نقله إلى الزهراء وأنزله من دار، فكان يقعد للسامعين في قصبة مطلة على قرطبة.

[٣] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص١١٤.

[٤] الجيوسي، سلمى الخضرا, (١٩٨٨م) **الشعر الأندلسي ــ العصر الذهبي**، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة كتاب, الحضارة العربية في الأندلس، ج١، ص٤٨١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و قد دخلت ألفاظ التمدن و التحضر إلى لغة الشعر الأندلسي، فنجد الشعراء في وصفهم للعمـــارة يذكرون الزهراء و بعض أسماء المجالس في القصور، كما أنهم يـــشيرون إلـــى أســـماء الآلات الحربية كالسيف و الرمح و المنجنيق و الرايات، و الأدوات الموسيقية مثل العود و المزهـــر و الطنبور. غير أن البحث في المعاني المبتكرة ظل هاجساً عند الشاعر الأندلسي في محاولة منـــه للتفوق على منافسه المشرقي، و قد أشار شاعر إلى أنه صاحب معانٍ مبتكرة في الـــشعر، فقـــال الحسن بن حسّان:

مِنْ شاعرٍ يُزْجي معانيَ فطنـــة ... يُنبوعُها من ذهنـــِـــه لا كُتبهِ
لو صافحَتْ فلكَ السماءِ لخالَها ... فلكَ السماءِ كواكباً من شُبْهِهِ[١]

كما أن الكثير من المعاني الشعرية جاءت مباشرة تخلو من العمق، تكاد تكون نظماً أكثر منه شعراً، و أكثر تلك المعاني وردت في القصائد والمقطوعات التي تتحدث عن العلم و العلماء و أدوات الكتابة، فمن الأمثلة على ذلك في وصف القلم:

قلمُ الـــوزيرِ كسيفهِ ... هذا يصولُ و ذا يطولُ
أضحى كليثِ خفيّةٍ ... و دَوائُه للـــّيث غيـــلُ*[٢]

و قول ابن عبد ربه في كتب الفلك:

فأين الزيجُ[٣] و القـــانو ... نُ و الأرْكَسنْدُ و الكمّه[٤]
و أين السِّنْدُ[٥] هِندُ البا ... طلُ الجدولُ هل ثمّه[٦]

---

[١] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص١١٠.

* غيل: اللبن (الحليب). ابن منظور، **لسان العرب**.

[٢] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص٨. وردت الأبيات الثلاثة الأولى أيضاً: ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ). ، **رايـــات المبرزين وغايات المميزين**.(تحقيق محمد رضوان الدايه)، دمشق: دار طوس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٧م، ص٧٧.

[٣] الزيج: خيط البناء، وهو المطمر(فارسي معرب). ابن منظور، **لسان العرب**.

[٤] الكمه: رؤية انزياح الشك. **المصدر نفسه**.

[٥] السند: ما ارتفع من الأرض في قبل الجبل أو الوادي. **المصدر نفسه**.

[٦] **ديوان ابن عبد ربه**، ص٢٠٠.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

كما أن الكثير من المعاني الشعرية اشتركت في العديد من الأبيات الشعرية مما أثر في تكرار الصور في إطارها العام مهما بدت مختلفة في تفصيلاتها الصغيرة، و هذا ما سَيُدْرس بالتفصيل في الجزء المتخصص بالصورة الشعرية في هذا الفصل.

كما لجأ بعض الشعراء الأندلسيون إلى تضمين بيت أو شطر من شعر المشارقة في شعرهم، و في ذلك قول ابن عبد ربه في الخمر و ساقيه:

و حاملةٍ راحاً على راحةِ اليدِ ... مورّدةً تَسعى بلون مُوَرَّدِ
متى ما ترى الإبريقَ للكأس راكعاً ... تصلِّ له منْ غيرِ طهرٍ وتَسجدِ
على ياسمينٍ كاللجينِ و نرجسٍ ... كأقراطِ دُرٍّ في قُضُبِ زبرجدِ
بتلك و هذي قالهُ ليلُكَ كلّهُ ... و عنها فسلْ لا تسألْ الناسَ عن غدِ
ستبدي لك الأيامُ ما كنتَ جاهلاً ... و يأتيكَ بالأخبارِ ما لمْ تزوّدِ[١]

فقد ضمن ابن عبد ربه في أبياته السابقة بيت طرفة بن العبد المشهور، فكان التضمين منسجماً مع السياق غير منفصل عنه أو مُجْبَر عليه، و ربما يعود السبب في ذلك إلى تلك الثقافة المشرقية الموسوعية التي نالها من خلال مؤلفه المعروف "العقد الفريد" والذي أتاح له فرصة الاطلاع على الآثار المشرقية و التأثر بها.

كذلك لجأ الشعراء الأندلسيون إلى المزج بين حبه للطبيعة وبين عناصرها مزجاً جميلاً لا نراه إلا عند من هام بالجمال و استعذب رقته.

و ابن عبد ربه سحره الجمال و هزته الطبيعة الناطقة، فأشرك عناصر الطبيعة في مشاعره، فرسم صورة جميلة لممدوحه برقة لفظ و وضوح أسلوب فقال:

يا هلالاً قد تجلّى ... في سحابٍ من حرير
و أميراً بهواه ... قاهراً كلَّ أمير
ما لخدَيْك استعارا ... حمرةَ الوردِ المنير[٢]

[١] الثعالبي، **يتيمة الدهر** ، ج٢، ص٩٥. وردت الأبيات الثلاثة الأولى أيضاً: ابن سعيد، **رايات المبرزين**، ص٧٧، **وديوان ابن عبد ربه**، ص٦٣.
[٢] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص١٠٣، **وديوان ابن عبد ربه**، ص٩١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يستمر الشعر الأندلسي مع هذه الرقة و البساطة التي تدل على لغة العصر و ذوقــه؛ إلا أننا لا ننكر أن بعض الشعراء ظلّ ماضياً في تمثله إلى الشعر القديم في ألفاظه و صوره، فيقول ابن عبد ربه حاذياً حذو القدماء في ألفاظهم و معانيهم:

و أعذُرُ من أدمى الجفونَ من البكا كريمٌ رأى الدنيا بكفِ لئـــــيم
أرى كلَّ فدمٍ[١] قد تبجحَ في الغِنـــى و ذو الظَّرفِ لا تلقاه غيرُ عديمِ[٢]

و كثيراً ما يلتقي القارئ في أثناء قراءته للشعر الأندلسي الكثير من ألفاظ الحرب التــي تعكس الاضطراب على لغة الشعر و ألفاظه، فمن هذه الألفاظ "الحــرب، الــسيف، الــوغى" و الأمثلة على ذلك كثيرة منها قول ابن عبد ربه:

بكــلّ رديــنـــــيٍّ كـــأنّ سنانَــه شهابٌ بدا في ظلمةِ الليلِ ساطعُ
تقاصرتْ الأجيـــالُ في طولِ متنِه و عــادتْ به الآمالُ و هي فجائعُ
و ساءتْ ظنونُ الحربِ في حسنِ ظنِّه فهنَّ ظبــاتٌ للقلــوبِ قــوارعُ[٣]

و يقول ابن عبد ربه أيضاً:

كمْ ألحمَ السيفُ من أبناءِ ملحمةٍ ما منهمْ فوقَ ظهرِ الأرضِ ديّارُ[٤]

تأثرت لغة الشعر الأندلسي بمعجم الطبيعة، حيث عكف الكثير من الشعراء على ذلك المعجم الطبيعي يستجدون منها الكثير من ألفاظه في موضوعاتهم المختلفة، فترددت ألفــاظ: "الريــاض، الورد، الزهر"، و من ذلك قول ابن عبد ربه:

و ما روضةٌ بالحَزنِ حاكَ لها الندى برود اً على الموشّى حُمْرَ الشَّقائقِ[٥]
يقيمُ الدُّجى أعنــاقــها و يــُميلــها شعاعُ الضُّحى المستُّفي كلِّ شارقِ

---

[١] الفدم: الأحمق. ابن منظور، **لسان العرب**.
[٢] الثعالبي، **يتيمة الدهر** ، ج٢، ص٨٩-٩٠، **ديوان ابن عبد ربه، ص١٧١**.
[٣] **المصدر نفسه**، ج٢، ص٨٧، **ديوان ابن عبد ربه**، ص١٢٣.
[٤] **المصدر نفسه**، ج٢، ص٨٦، **ديوان ابن عبد ربه**، ص٨٨.
[٥] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص٨٢، **ديوان ابن عبد ربهِ**، ص١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يقول كذلك:

و روضةٍ وردٍ حفَ بالسوسنِ الغضِّ تحلَّتْ بلونِ السامِ و الذَّهبِ المَحْضِ[١]

و على نحو ما أثرت الطبيعة الأندلسية في ألفاظ الشعر أثرت كذلك في أسلوبه، فأورثتها السهولة و الوضوح إلى جانب الرقة و السلاسة.

كما اقترب الشعر الأندلسي في بعض حالاته من الشعبية، و قد لاحظنا بعض الألفاظ الشعبية و في ذلك يقول عز الدين إسماعيل: "و هو لكي يوصل فكرته أو شعوره إلى الآخرين مضطر لأن يستخدم هذه العملة التي يتعامل بها الناس"[٢]، فيقول ابن عبد ربه:

من لي بمخلفةٍ وعدِها تخلطُ لي اليأسَ والرجاءَ
سألتُها حاجة لم تفهْ لي بنعم لا و لا بلا[٣]

فبدت في هذين البيتين البساطة والشعبية.

و من الظواهر البارزة في الشعر الأندلسي اقترابه من النثر في قصائد كثيرة، حتى ليخيل لنا أنه لم يعد متميزاً عنه إلا بالوزن و القافية، و من الأمثلة على ذلك قول ابن عبد ربه: (٢)

منظومةٌ هَذَبَ ألفاظُها ليست من الشعرِ الحجازيِّ
لكنَّها في الصوغ نجديّةٌ صاحبُها ليس بنجديِّ
كوفيةٌ الإبداع بصريَّةٌ لغيرَ كوفي و بصريِّ
كأنَّها شاذورةُ عَلَقَتْ بوجهِ دينار هرقليِّ[٤]

ولعل النثرية في الشعر تعود إلى أن معظم الشعراء في ذلك الوقت كانوا علماءً أو فقهاءً.

و في النهاية وبصورة عامة انقسم الشعر الأندلسي في لغته إلى قسمين: لغة القدماء و الشعراء الفحول الذين حافظوا على نهج القدماء في لغتهم، فكانت قوية جزلة، تناسب موضوعات معينة منحصرة في الفخر والحماسة، و لعل أبرز من يمثل هذا الاتجاه في هذا العهد سعيد بن جودي و ابن عبد ربه و عبيد الله بن يحيى، و لغة الحداثة و ما يتضمنها من بساطة،

---

[١] **المصدر نفسه**، ج٢، ص٨٢، **و ديوان ابن عبد ربهِ**، ص١١٧.
[٢] اسماعيل، عز الدين, (١٩٧٣م). **الأدب و فنونه**. ط٥، القاهرة: دار الفكر، ص٤١.
[٣] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص٨٥.
[٤] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص١١٤-١١٥، **ديوان ابن عبد ربهِ**، ص١٩٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فقد تزعمها كثير من الشعراء من أمثال المصحفي، و المرادي، و السِّناط، وابن عبد ربه، و أحمد بن فرج، فقد جدد هؤلاء الشعراء في المعاني و الصور، إضافة إلى اللغة؛ حيث سار أصحاب هذا الاتجاه مسيرة الباحثين عن المبتكر الرائع، فسعوا سعي مجتهد إلى تجميل الصياغة بألوان من البديع وتوشيتها بصنوف من المحسنات كالمقابلة و الطباق و الجناس وكما ظهر التكرار في استخدام الألفاظ والصور والمعاني بصورة لافتة للنظر.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثاني: الصورة الشعرية

تستعمل الصورة للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسي، و تطلق أحياناً مرادفة للاستعمال الاستعاري للكلمات.[١]

و الصورة بالمفهوم الفني تعني أية هيئة تثيرها الكلمات الشعرية بالذهن، شريطة أن تكون هذه الهيئة معبرة و موحية في آن.[٢]

و هي كل شيء تقوى على رؤيته أو سماعه أو لمسه أو تذوقه[٣]، فهي وسيلة الشاعر و الأديب في نقل فكرته و عاطفته معاً إلى قرائه أو سامعيه[٤].

و يقاس نجاح الصورة على مدى قدرتها على تأدية هذه المهمة، كما أن حكمنا على جمالها و دقتها يرجع إلى مدى ما استطاعت الصورة أن تحققه من تناسب بين حالة الفنان الداخلية، و ما يصوره في الخارج تصويراً دقيقاً خالياً من الجفوة و التعقيد فيه، روح الأدب و قلبه[٥].

و نقد الصورة من أهم مقاييس الإبداع الشعري لدى النقاد؛ لأنها تسمو بالنتاج الأدبي كلما كانت صادقة، مترابطة، ناقلة للتجربة الناضجة في أصالة وعمق؛ لأنها تصور خلجات النفس، و كوامن الأشجان والوجدان، مع بيان وقع الأحداث و الأشياء عليها[٦]. و الصورة ميدان العمل الذي يبرز مقدرة الشاعر و مدى تمكنه من الصنعة[٧]، و إذا كان لكل فن واسطة، فإن واسطة الشعر هي الصورة التي تتشكل من علاقات داخلية مترتبة على نسق خاص أو أسلوب متميز[٨]، و الصورة ليست لغزاً أو ناقلة يقصد بها مجرد تجميل و زينة؛ و إنما هي تعبير عن نفسية الشاعر[٩]؛ لذا يسمى الشاعر شاعراً؛ لأنه يشعر بما لا يشعر به غيره[١٠].

و الشعر قائم على الصورة منذ أن وجد ، و لكن استخدام الصورة يختلف بين شاعر و آخر[١١]، فالعبرة في قدرة الشاعر على صوغ معانيه في ألفاظه، و قدرته على تصويرها، إلى هذا أشار ابن طباطبا بقوله: "و كم من معنى حسن قد شين بمعرضه الذي أبرز فيه، و كم من معرض حسن قد ابتذل على معنى قبيح ألبسه"[١٢].

---

[١] ناصف, مصطفى، (د.ت). **الصورة الأدبية**، بيروت: دار الأندلس، ص٣.
[٢] الرباعي، عبد القادر، (١٩٩٥م). **الصورة الفنية في النقد الشعري**. ط٢، إربد: مكتبة الكتاني،ص٨٥.
[٣] **المصدر نفسه**، ص٦١.
[٤] الشايب، أحمد, (١٩٧٣م). **أصول النقد الأدبي**، ط٨، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ص٢٤٢.
[٥] **المصدر نفسه**، ص٢٤٩.
[٦] النوش، حسن, (١٩٩٢م). **التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي**، بيروت: دار الجيل، ص٢٧٤.
[٧] اسماعيل ، عز الدين, (١٩٧٤م). **الأسس الجمالية في النقد الشعري**. ط٣، دمشق: دار الفكر العربي، ص٨٥.
[٨] الرباعي، عبد القادر, **الصورة الفنية في النقد الشعري**، ص٨٥.
[٩] عباس، إحسان, **فن الشعر**، ط٣، بيروت: دار الثقافة، ص٥٧.
[١٠] القيرواني, **العمدة**، ج١، ص٢٣٠.
[١١] عباس، إحسان، **فن الشعر**، ص٢٣٠.
[١٢] ابن طباطبا، محمد بن أحمد،(د.ت). **عيار الشعر**، (تحقيق طه الحاجري و محمد زغلول)، دار المعارف, القاهرة، ١٩٥٦م، ص٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و هنالك أشياء كثيرة تبدو لأول وهلة غير شاعرية أو ذات موضوع قليل القيمة؛ و لكن الشاعر العظيم إذا أضفى عليها من شعوره و تصويره وأخيلته القوية يستطيع أن ينفذ إلى معانٍ جميلة أو إنسانية، فبقوة الملكة الشعرية يستطيع أن يجد موضوعات للتجارب الصادقة في كل ما حوله، و بهذه الملكة التصويرية يستطيع نقل المشاهد اليومية إلى عالم الشعر[١].

و على الصعيد الأندلسي فقد اعتنى الشعراء الأندلسيون في العصر الأموي بالصورة الشعرية عناية بالغة، حيث نجد الواحد منهم يعمد إلى رسم اللوحة الفنية في البيت الواحد إذ يتعداها للمقطوعة الواحدة أو القصيدة، و هذا يتطلب منه الجهد الكبير الواضح و لعل هذا النمط في البناء الفني كان داعياً قوياً لجامعي المختارات الشعرية في العصر الأموي و خصوصاً عصر عبد الرحمن الناصر، فالصورة الشعرية ذات قيمة فنية بكل معانيها، و عنصر حيوي لا بدّ من إضفائه على البناء الشعري ليكسب الجمال، و من الأمثلة الدالة على تعدد الصور الشعرية قول أحمد بن فرج في بعث كمثرى:

جُنيَتْ من القُضبِ النواضر ... فأتَتْكَ كالغيدِ العَواطِرْ
يَلبَسْن من بُرُدِ النعيم ... ملابساً غضَّ المكاسرْ
ما بين مخضّرٍ الرَّبي ... ع و بين مُصْفّر الأزاهرْ
وكأن أصغرَها دِقَا ... قُ كواكبٍ في عين ناظرْ
أو مِثلَ صفراءِ المدا ... ة في أكَيَّاسٍ أصاغرْ
منتقسات ٍفي الأنو ... فِ بمثل أنفاسِ المجامرْ
حلوٌ ضمائرُها كما ... يحلو الهوى لك في الضمائرْ
أو مثلما تحلو القوا ... في من لسانٍ فيك شاكر
و كأنَّما هي منك في ... حُسْنِ المخابر و المناظرْ
و كأنَّها في شُكرها ... تمْلا البطونَ إلى الخناجرْ[٢]

[١] سلام، محمد زغلول, (١٩٨١م). **النقد الأدبي الحديث**، الاسكندرية: منشأة المعارف، ص٣٣٨.
[٢] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٨٨-٨٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ففي الأبيات العشرة السابقة عشرة تشبيهات يكاد يكون كل واحد منهـا لوحـة فنيـة، إلا أن اعتناء الشاعر بحشد هذا العدد من الصور الفنية جاء على حساب المعنى، و بدا ابن فـرج مـن خلال أبياته الشعرية مُستَـعرضاً لمهارته الشعرية في استخدام الخيـال، إلا أن النتيجـة أبيـات مفككة المعنى لا رابط يجمع بينها سوى وصف الكمثري، فلو حاولنا اجتزاء أي بيت من الأبيات السابقة أو حذف بعضها لما اختل المعنى.

و قد جاءت الصور في أغلبها جزئية في تركيبها إذ يعمد الشاعر إلى تصوير جزء من كـل بجزء من كل آخر و من ذلك قول الرمادي:

و كأنّ دُرّ الخدِّ يُكسى حمرة ال ياقوتِ من نظر العيون إليه[١]

و قول إسماعيل بن بدر في إهداء التوت:

فأهديْتُه غضاً حكى حَدَق المها لـَه مُنظر بالحسن منه يروق[٢]

فالرمادي في البيت الأول يأخذ صورة جزئية و هي حمرة الخدود ويشبهها بصورة جزئيـة أخرى و هي احمرار الياقوت، و هي تشبيهات تتناول أجزاء صغيرة من المشاهد التـي يـصفها الشعراء، فلا تحتاج إلى إعمال الفكر أو سعة الخيال، إذ أنها منتزعة من القريب المـشاهد. أمـا إسماعيل بن بدر فيشبه حبّات التوت بعيون المها.

و قد انقسمت الصورة الجزئية عند الشعراء إلى قسمين، أولهما الصورة المفـردة، و ثانيهـا الصورة المركبة، أما الصورة المفردة فهي التي يتناول فيها الشاعر شيئاً واحداً فـي صـورته و يشبهه بشيء واحد، ومن أمثلة ذلك قول الرمادي في ناعورتين و النهر بينهما:

كيف لا يبـردُ الهـواءُ لـنهرٍ بين غـرَّافـتين كالديمـتين[٣]

---

[١] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص٦٤. **شعر الرمادي**، ص١٣٤.
[٢] ابن الأبار، **الحلّة السيراء**، ج١، ص٢٥٦.
[٣] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٨٢. و **شعر الرمادي**، ص١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

بدت الصورة الشعرية في البيت السابق بسيطة، فالناعورتان تشبهان في البيت السابق السحابتين و العلاقة بينهما واضحة هي نزول المطر.

أمّا الصورة المركبة فهي الصورة الجزئية التي يُعنى الشاعر برسم تفاصيلها في المشهد الكلي الذي تنتمي إليه، أي مثل الاستعارة و التشبيه التمثيلي، و أغلب الصور الفنية في الشعر الأندلسي في زمن الناصر جاءت من هذا النوع، و من الأمثلة على ذلك قول أحمد بن عبد الملك في وصف راية عليها عقاب:

كأنّ العُقابَ المستطيرةَ بالصَّبا ... و قد فَغَرت منها بأنفاسِها فما
محبٌّ أتتهُ الريحُ من نحو إلفِهِ ... فقابَلَها مستنشقاً مُتَوَسِّما[1]

ولعل أهم ما يفسّر سبب شيوع هذا اللون من الصور الشعرية تلك الحياة الحضارية المترفة، و التي انعكست على البناء الفني للصور الشعرية، فاستطاع الشاعر أن يقف على جانب من جوانب تلك الحياة، و يصفه وصفاً دقيقاً مفصلاً يحمل كل ما يستطيع حمله، و هذا يعود من جانب آخر إلى بساطة الشاعر الأندلسي و عدم تعقيده في اختيار الألفاظ والمعاني فكانت الصور قريبة من الواقع، مأخوذة من مصادر الطبيعة.

ومما تجدر الإشارة إليه أن الشعراء استعانوا بالكثير من أدوات التشبيه، لاسيما "كأنّ" فقد حشد ابن الكتاني في كتابه العشرات من الأبيات الشعرية التي تبدأ بهذه الأداة.

و لعل الإكثار من استخدام هذه الأداة وغيرها من الأدوات الخاصة بالتشبيه، يعود إلى ميل الشاعر إلى التأمل في الحياة، و ما حوله فتعطيه المساحة الواسعة لإعمال فكره في وصف الأشياء الماثلة أمامه.

و مع أن الكثير من الشعراء التقوا في كثير من المعاني المعروفة، إلا أنهم تفوقوا على غيرهم من الشعراء فحاولوا التجديد في رسم الصورة وابتكار الخيال.

---

[1] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٢٠٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمن الصور المبتكرة في الشعر الأندلسي قول ابن عبد ربه:

إذا نَصلَ الخضابُ بكى عليه و يضحكُ كلّما وَصلَ الخِضابا
كأنّ حمامةً بيضاءَ ظلّتْ تقابلُ في مفارقِهِ غرابا[١]

و قد أقام بعض الشعراء شعرهم على عنصر المفارقة، ومن أمثلة ذلك قول إسماعيل بن بدر:

ما خَرَّ إبريقُهُمْ لكاسِهم إلا صبا جَمْعُهُمْ وإن حَلُموا
كأنّه ناطقٌ بحاجتِهِ سراً وإنْ كان شانَه البَكَمُ[٢]

و قد أدى ولع الشعراء الأندلسيين في ذلك العصر ببناء الصورة الشعرية إلى أن يكون كل شيء في الحياة حولهم صالحاً لأن يكون "مادة للفن في أيديهم"[٣]، و لكن هذه المبالغة دفعت بعضهم إلى المبالغة، و الجمع بين المتباعدات و جاء الاعتناء بزخرفة الصورة على حساب المعنى، وأحياناً أخرى أدّت الزخرفة في الصورة إلى إضعاف بيت من الأبيات و قويت في بيت آخر، و من مثل ذلك قول جعفر المصحفي في الخمر:

صفراءُ تُطْرِقُ في الزجاج فإن سَرَتْ في الجسم دبّت صِلٍّ لادِغ[٤]
خَفِيَتْ على شُرَّابها فكأنما يجدون رياً من إناءٍ فارغ[٥]

وقد علق الثعالبي الذي أورد هذين البيتين في يتيمته بقوله: "لم يحسن في تشبيه الخمر في جسم شاربها بدبيب الحيّة اللادغة، و قد أحسن في البيت الذي يليه جداً"[٦]

---

[١] ابن عبد ربه، **العقد**، ج٢، ص٣٤٨. ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٢٥٥.
[٢] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٩٨.
[٣] بالنثيا، آنجل, **تاريخ الفكر الأندلسي**، ص٤٦.
[٤] في البيان المغرب: تبرق بدلاً من تطرق، وفي التشبيهات: هبّت بدلاً من دبت.
[٥] الثعالبي، **اليتيمة**، ج١١، ص٣٦١-٣٦٢. ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٩١. وانظر: ابن خاقان، **المطمح**، ص١٥٨. و ابن الأبار، الحلة السيراء، ج١، ص٢٦٣. و ابن عِذاري ، **البيان المغرب**، ج٢، ص٢٥٥.
[٦] الثعالبي، **اليتيمة**، ج٢، ص٣٦٢.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

استوحى الشعراء بعض المقطوعات الشعرية في وصف الخمر صورة خمر الجنّة بتفاصيل دقيقة، و ألفاظ مستوحاة من القرآن الكريم، و في ذلك قول ابن عبد ربه:

رَقَتْ حُشَاشَتُها ورقَّ أديمُها فكأنَّها شِيْبَتْ من التّسنيم
و كأنّ عينَ السلسبيلِ تفجّرتْ لك عن رحيقِ الجنّةِ المختوم[١]

وظف الشاعر صورة الجنّة في الأبيات السابقة توظيفاً حسياً مباشراً، خالياً من النزعة الدينية في مفهوم الجنّة القرآنية، تلك الصورة داخل إطار الإحساس البصري المباشر[٢].

و قد كان لذكاء الشعراء وسرعة بديهتهم في اتخاذ الصورة الحسية الجمالية الماثلة أمامهم أثر في توظيف حواسهم الخمس من سمع و بصر و شم و لمس و تذوق، و برز ذلك في وصف البساتين و المتنزهات و الخمر، و هذا ينسجم مع الانطلاق الذي عاشه الأندلسيون والحرية التي اكتسبوها من الحياة المترفة الهانئة.

ففي توظيف حاسة البصر يقول عبيد الله بن يحيى:

فإنَ مجالَ العينِ في رونقِ الضحى عليه مجالُ اللحظِ في زَهَرِ الخدِّ[٣]

و في توظيف حاسة الشم يقول لب بن عبيد الله:

صابَحْتُها و الرَّوضُ يسطع مسكُهُ فكأنَّه بالليلِ باتَ مُغَلَّفاً

و من الشواهد الشعرية في توظيف حاسة التذوق قول ابن عبد ربه:

وإن عُصِرَتْ مَجَّتْ رضاباً كأنّها جنى النَّحل من طيبٍ وما تعرفُ النَّحلا
ومحجوبةٍ حجم الثديِّ نواهدٍ تميسُ بها الأغصانُ منْآدةً ثقلا
كأنّ مذاقَ الطَّعم منها وطعمُها لثاتُ عذارى ريقُها الشّهدُ أو أحلى[٤]

---

[١] **ديوان ابن عبد ربه**، ص١٥٧.
[٢] الجيوسي، سلمى, **الشعر الأندلسي**، ص٥٤٧.
[٣] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٥٠.
[٤] **ديوان ابن عبد ربه**، ص١٤٨.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ويلاحظ من الأمثلة السابقة أن الشعراء أكثروا من توظيف حواسهم في وصف البساتين و المتنزهات و الخمر، مما ينسجم مع نزعة التحرر عندهم، فالطبيعة و الخمرة، تحطم الحواجز النفسية عند الشاعر و توقظ حواسه ليحلق في سماء الإبداع.

و كان لحس الشعراء الأندلسيين في عصر الناصر الأثر الكبير في التفاتهم إلى أدق الحركات و أخفض الأصوات عند رسم صورهم الشعرية، فمن الأمثلة على ذلك قول المُرادي[١] في تجفاف على صورة ثعبان:

و لروعةِ الثُّعبانِ في حركاتِهِ هَوْلٌ يُرَاعُ بـــه الكميُّ الأروَعُ
غضبانُ يفغَرُ في الهواءِ كأنّه عطشانُ في مُهَجِ الأعادي يَكرعُ[٢]

و لم يكتف الشعراء بإضفاء الحيوية على صورهم إنما عمدوا إلى إضفاء صفات الإنسانية عليها، فجعلوها تفرح و تحزن و تتألم و تخجل و تغضب فيصيبها ما يصيب الإنسان من انفعالات مختلفة، فمن الأمثلة على ذلك قول جعفر المصحفي في سفرجلة:

فلما استتمّتْ في القضيب شبابَها و حاكت لها الأوراقُ أثوابَ سُندسِ
مددْتُ يدي باللطف أبغي اجتناءَها لأجعلَها ريحانتي وَسْطَ مجلسي
فبزّت يدي غَصْباً لها ثوبَ جسمِها و أعريْتُها باللطفِ من كلِّ مَلْبَس
و لمّا تعرّتْ في يدي من بُرودِها و لم تبقَ إلا في غُلالة نرجس
ذكرتُ بها من لا أبوحُ بذكره فأذبلَها في الكفِّ حَرٌّ تنفسي[٣]

---

[١] المرادي: هو عبد الملك بن سعيد الخازن، قال فيه الحميدي: رئيس أديب شاعر كثير الشعر، موصوف بالفضل، مدح الناصر و توفي آخر خلافة المستنصر سنة ٣٦٦هـ و هي سنة تعرف بسنة الأدباء لكثرة من توفي فيها منهم: أمثال القالي، ومحمد بن عين النحوي وغيرهما. **الجذوة**، ترجمة رقم ٢٦. و ابن عذارى، **البيان المغرب**، ج٢, ص٧٢.

[٢] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٢٠١.

[٣] المقري، **النفح**، ج١، ص٥٩٤.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و تعتمد الصورة الفنية في الشعر الأندلسي على عنصر التشبيه اعتماداً كبيراً، و قد أكثر الشعراء من استخدامه و من ذلك تشبيههم المحسوس بالمعقول، فمن ذلك قول ابن عبد ربه:

كأنَّ حمـــامَ الأيـــكِ حينَ تجاوبتْ حزينٌ بكى من رحمةٍ لحزيـــن[١]

فهو يشبه حمام الأيك بالحزين الباكي، وهو تشبيه محسوس بمعقول بينهما جامع الحزن.

فقد أبدع الأندلسيون في إخراج مالا تقع عليه الحواس إلى ما تقع عليه الحواس في صـــورة قريبة من البيئة الأندلسية، و ربما استخدمه الشعراء للتعبير عن ذواتهم، و التعبير عن اســـتجابة النفس لجمال الطبيعة و مظاهرها الرائعة، و من يتتبع الصورة الشعرية فـــي الـــشعر الأندلـــسي زمن عبد الرحمن الناصر يصل إلى أن التشبيه التصويري اســـتخدمه الـــشعراء فـــي أنمـــاط و أساليب مختلفة اعتمدت بشكل مباشر على مصادر الطبيعة و مظاهر البيئة الأندلسية.

و قد لاحظت أكثر تشبيهاتهم جاءت للخمرة إذ شبهوها بالـــسراب، و الـــدمع، و الـــنجم، و اللجين، و الشمس، و المذهبة، و يأتي تشبيههم للمرأة في المرتبة الثانية، إذ شبهوها بالغـــصن، و الهلال، و الغزال، و القمر، و يأتي الممدوح في المرتبة الثالثة، إذ شـــبهوه بالأســـد و الجـــود و القمر و البدر و تأتي بقية تشبيهاتهم متساوية تقريباً.

و كما أشرنا سابقاً لدور البيئة في رفدها للشعراء بالأخيلة و الصور، فكثير من تلك الـــصور كان مستوحىً من المعارك و الحروب التي دارت رحاها في الأندلس، فنلتقي بمثل هذا التصوير في شعر ابن عبد ربه[٢] فنجده مثلاً يتخيل أن النصر و التأييد جنود الناصر، مما أدى إلـــى فـــرح الأرض بنصر الناصر.

فصَلتَ والنصرُ والتأييدُ جنداكـــا والعِزُّ أولاك والتمكينُ أخراك
ورحمةُ الله في الآفاق قد نُشِرت والأرضُ تبدي تباشيراً لمَيداكا[٣]

[١] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٥٦، **وديوان ابن عبد ربه**، ص١٨٤.
[٢] القرطبي ، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص٥٩.
[٣] القرطبي، ابن حيان، **المقتبس**، ج٥، ص٥٩، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص٤٤ .

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و قد يلجأ بعض الشعراء إلى التصوير الساخر الهزلي، و هذا الأسلوب هو الذي يعتمده الشاعر في الحديث عن عيوب الآخرين و كشف مساوئهم، كما فعل أحمد بن نعيم في تصوير إحدى النساء تصويراً هزلاً ساخراً، فيقول:

كأن كلتا صفحتيْ وجههَا ... ركّبتا من كوبتيْ نافخ
لو كنتِ نبتاً كنتِ من حرملٍ ... أو أكلاً كنتِ من الكامخ[١]

و يبدو أن الاتجاه الذاتي هو أكثر الاتجاهات احتفاءً بالصور، لأن الشاعر يعبر فيه عن تجربة شعورية ذاتية، فيهيم في العالم الخارجي و يحلق في أجوائه بعيداً عن الواقع، و ابن عبد ربه واحدٌ من الذين ارتموا في أحضان الطبيعة و استسلموا إلى جمالها، مقتنصين منها كل رائع جميل، فها هو يحلق بنا بعيداً في تصوير الشروق:

بيومٍ راحَ في سربالِ ليل ... فما عَرَفَ الأصيلُ من البكورِ
وعينُ الشمسِ ترنو من قتامٍ ... رنوّ البكرِ من خلفِ السُّتورِ[٢]

فأول ما يلفت النظر في هذه الأبيات هو الدقة في استخدام الألفاظ، بحيث يحملها أقصى ما تستطيع حمله من وصف، فيستخدم الفعل لاح ليقول: إن الليل قد أزَفَ رحيله فبدأت خيوط النهار تزحف رويداً رويداً، و إزاء هذا الموقف الجميل يقف الشاعر في حيْرة، ثم يأخذ في تفصيل الشروق، فقرص الشمس عين بكر تختلس النظر بحياء من وراء سترها، كما أضفى على البيتين معنى الحركة باستخدامه لكلمة "الرواح" و كذلك استخدام اللون في الصورة، هي بيضاء خالطها سواد و لفتها حمرة خافتة.

و ننتقل إلى قضية أخرى تتعلق بالتشبيه إلا أنه حذف فيه المشبه أو المشبه به و بقي شيء من لوازمهما فهي الاستعارة المكنية، و في الاستعارة يتجلى خيال الشاعر، و تتجلى فيها قدراته الذهنية و قوته على إبداع الصور و استخدامها، فقال أحمد بن عبد ربه:

إذا ضاحكتْها الشمسُ تبكي بأعينٍ ... مكللة الأجفانِ صفرَ الحمالقِ[٣]

---

[١] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٢٤٦.
[٢] ابن بسام، ق١، م٢، ص٧٧٩، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص٩٣.
[٣] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص٨٢، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص١٣٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

هذه صورة فيها جمال الطبيعة و حلاوتها، فالموقف موقف تأمل للطبيعة، و الذي يهمنا من تلك الصورة هي الاستعارة التي جاء بها الشاعر، مع أن الموقف يتطلب السرور إلا أن الشاعر أصر على إبراز الحزن والبكاء.

و نقف أخيراً على الأوجه البلاغية في الشعر الأندلسي، أو المحسنات البديعية من طباق و جناس، و قد يكون الطباق أكثر أنواع البديع ظهوراً في الشعر الأندلسي في عهد الناصر، فيطابق ابن عبد ربه بين لفظة "حي" و "ميت" في قوله:

ما ماتَ حيٌّ لميتٍ أسفاً أعذرُ من والدٍ على ولدِ[١]

و في قوله:

بليَتْ عظامُك و الأسى يتجددُ و الصبرُ ينفدُ و البكا لا ينفدُ[٢]

وقع الطباق بين الفعلين "بلى" و "يتجدد"، و وقع طباق سلبي في الشطر الثاني بين "ينفد" و"لا ينفد".

و على أي حال لا يمكن أن نعد المحسنات البديعية زخارف إضافية للكلام تضفي عليه الرونق و الجمال فقط، بل هي منفذٌ أيضاً تمكن الشعراء من الدخول فيه ليزيدوا من الشعور.

و أخيراً يمكن أن نقول: إن الشاعر الأندلسي في هذه الفترة لم يكن مبدعاً كل الإبداع لأنه ومما لا شك فيه أنه وقع تحت تأثير تيار الثقافة المشرقية، فبقي في كثير من الأحيان مقلداً لها، و البعض الآخر أخذ بطرف من الثقافة المشرقية و الحضارة الأندلسية فمزجهما بعد استيعابه و تمثله ذاته ثم صبه في قالب شعري خاص به.

و قد لجأ الشاعر إلى التشبيه لأنه مادة غزيرة تعينه على الكشف عن بعض جوانب الحياة بما فيها من تفاوت أو تناقض، لتشخيص مظاهر الطبيعة و تجسيمها و التعبير عن مشاعره إزاءها، فكان إبداعه عطاء تجربته في الحياة و عصارة أفكاره و رؤيته الفنية، لهذا كان شعره ممتعاً و مفيداً في نفس الوقت.

---

[١] **المصدر نفسه**، ج٢، ص٧٥، **و ديوان ابن عبد ربه**،ص١٦٣.
[٢] **المصدر نفسه**، ج٢، ص٧٦، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص٧١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المبحث الثالث: الإيقاع الموسيقي

اهتم النقاد القدامى بالجانب الموسيقي في الشعر، فرأوا أن الوزن أعظم أركان حد الشعر و أولاها خصوصية، و هو مشتمل على القافية و جالب لها ضرورة[١]، فاشترطوا فيه أن يكون موزوناً مقفىً[٢]، و لا نستطيع أن نسمي الكلام شعراً من غير موسيقى؛ هذا لأن الشعر هو كلام تنفعل لموسيقاه النفوس، و تتأثر به القلوب[٣].

و الموسيقا: هي السحر في الشعر الذي يحدث تغييراً في الوجدان؛ لأنه لو جرد الشاعر من أوزانه و موسيقاه لانعدمت الفكرة الشعرية في كلامه، فالشعر لا يقوم على الخيال و العاطفة فقط و إنما يتطلب عاملاً هاماً في البنية العامة، ألا و هو الموسيقا المؤثرة التي يقوم عليها الشعر.

يرى النقد الحديث أن "كل عمل أدبي فني هو: ــ قبل كل شيء ــ سلسلة من الأصوات ينبعث عنها المعنى ففي العديد من الأعمال الفنية بما فيها الشعر طبعاً، تلفت طبقة الصوت الانتباه و تؤلف بذلك جزءاً من التأثير الجمالي ، يصدق هذا على كل الشعر الذي هو بالتعريف تنظيم لنَسَق من أصوات اللغة"[٤].

و في هذا النسق يقول إليوت: "أما كلمة موسيقا التي تستعمل دائماً في الشعر فإنها لا تعني أكثر من حلاوة الجرس، لأن الجرس في الشعر لا يصور شيئاً سوى المعنى"[٥].

فبذلك تكون الموسيقا هي السحر في الشعر، و الحجر الأساس الذي تقوم عليه القصائد و المقطوعات ، فهي تحدث تأثيراً في الوجدان فكل نغمة تصلنا في الشعر تؤثر في إدراكنا و ترفع معها نغمات عاطفية في نفوسنا.

و من خلال قراءة الشعر الأندلسي إبان عهد عبد الرحمن الناصر وجدنا أن الأندلسيين مالوا إلى البحور الطويلة كثيرة التفعيلات في أول عهدهم، و لكن سرعان ما مالوا إلى البحور القصيرة الخفيفة ذات النظم السريع، إلا أن ميلهم إلى البحور القصيرة لم يبعدهم عن استعمال البحور الطويلة، بل ظلوا متمسكين في استعمالها، ذلك لأنهم كانوا يدينون بالقيم الفنية الموروثة من الثقافة المشرقية و يعملون على ترسيخها.

---

[١] القيرواني، **العمدة**، ج١، ص١٣٤.
[٢] القرطاجني، حازم, **منهاج البلغاء**، ص٧١.
[٣] أنيس، إبراهيم, (١٩٥٥م). **موسيقى الشعر**. القاهرة: دار الفكر، ص٢٢.
[٤] ويلك، رينيه, و وارين، أوستن, **نظرية الأدب**، ص٢٠٥.
[٥] دور، إليزابيث, **الشعر: كيف نفهمه ونتذوقه ؟**، ص٤٩.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يبدو أن الاتجاه إلى الأوزان القصيرة لم يكن مرتبطاً بالبيئة الأندلسية، و إنما اتجهت إليه البيئات الإسلامية الأخرى، حيث يذهب إبراهيم أنيس إلى أن البحور القصيرة لم تكن مألوفة في الشعر القديم و لا سيما الشعر الجاهلي و شعر صدر الإسلام، ثم بدأ الشعراء يعنون بها أو ببعضها بعد ذلك، و نظموا منها أشعاراً كثيرة و قصائد متعددة حين بدأ الناس يتغنون بالأشعار و كثر تلحينها في عصور الغناء و الطرب[١]، و لكنه يستدرك ليؤكد أن الشعراء قد نظموا في البحور الطويلة لا سيما في المدح و الرثاء[٢].

و من وجهة نظري أرى أن شيوع الترف و انغماس الشعراء فيه و كثرة المجالس الأدبية، كل ذلك استلزم سرعة النظم ليؤديها البحر القصير.

قال الأندلسيون قصائدهم على مختلف بحور الشعر العربي دون استثناء سواء كانت طويلة أم قصيرة، لما طبعوا عليه من رقة و ترف فنظموا أغلب قصائدهم على الكامل و المتقارب و السريع و ما إليها، أمّا البحور الطويلة فقد كانت عوناً لهم في التأني إن أرادوه للتعبير عن موضوعٍ يبرزون فيه مهارتهم و قدراتهم الشعرية.

و في ضوء دراسة موسيقا الشعر في عهد الناصر، هناك قضية ذات أهمية تطرح نفسها و هي هل هناك صلة بين الوزن والموضوع ؟

إنني لا أميل إلى ربط الموضوع بالوزن، فإذا قيل أن البحور الطويلة تناسب المديح و الرثاء و البحور القصيرة تناسب الغزل، فإن هذه قاعدة ليست مطردة في جميع الشعر، و عندئذ قد نجد المدح أو الرثاء في البحر الطويل، و نجد الغزل في نفسه، و سأحاول عرض هذه القضية للوصول من خلالها إلى مناقشة أوزان الشعر الأندلسي، و في ضوئها أثبت انفصام الصلة بين الوزن و الموضوع، فنرى أحمد بن عبد ربه يرثى ابنه في قصيدة يستعمل فيها بحراً طويلاً و هو المنسرح فيقول:

واكبدا قد تقطّعتْ كبدِي ... و أحرقتْهُ لواعجُ الكمدِ
ما ماتَ حيٌّ لميِّتٍ أسفاً ... أعذرُ من والدٍ على ولدِ[٣]

---

[١] أنيس، إبراهيم، **موسيقى الشعر**، ص١٠٦.
[٢] **المصدر نفسه** ، ص١٠٧.
[٣] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص٧٥، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص١٦٣.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يعود ليستعمل البحر الطويل في أكثر من قصيدة في الغزل، كقوله:

إذا ضاحكتْها الشمسُ تبكي بأعينٍ مكللة الأجفانِ صفرَ الحمالقِ[١]

و الحقيقة أن الشعراء الأندلسيين استعملوا الأبحر الطويلة في مدائحهم و مراثيهم و كذلك استعملوها في غزلهم و خمرياتهم.

و لكل وزن من الأوزان العروضية صفة تميزه عن غيره من الأوزان، و تكسبه خصائص لما يحمله من موسيقا، و ما يتركه من أثر في أذن السامع[٢]، و ثمة صلة بين الوزن الشعري و الموضوع الذي يريده الشاعر؛ لذلك فإن خير البحور ما وافقت موسيقاها الأفكار و المعاني المرادة المطلوبة؛ لأن الأغراض الشعرية تحتاج إلى أوزان مناسبة لمقتضى الحال الذي عليه الشاعر، ففي البحور الشعرية ما يلبي حاجة الشاعر و يوافق نفسيته، فقد تصلح بحور الطويل و البسيط و الكامل و المديد و الرَّمل للتعبير عن الأفكار و الآراء و العواطف الإنسانية؛ لما في البحور من فخامة و رصانة.

و الآن تستدعي الضرورة الوقوف على قضية أخرى لها علاقة بسابقتها، و هي هل هناك علاقة بين الوزن و الحالة النفسية للشاعر ؟

لقد وقف الكثير من النقاد قدماء و محدثين إزاء هذه القضية حاملين معهم الأدلة و المبررات لإثبات العلاقة بين مشاعر الشاعر و انعكاس ذلك على موسيقا فنه، فابن طباطبا يذهب إلى أن: "الشاعر إذا أراد بناء قصيدة مخّض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثراً و أعدّ له ما يلبسه إياه من الألفاظ التي تطابقه و القوافي التي توافقه و الوزن الذي يسلس له القول عليه"[٣].

و يرد إبراهيم أنيس على هذا الرأي فيقول: "إن استعراض القصائد القديمة و موضوعاتها لا يكاد يشعرنا بمثل هذا التحيّز، أو الربط بين موضوع الشعر و وزنه... و قد يكون من المغالاة أن يتصور اشتراك الشعراء في العاطفة لمجرد اشتراكهم في موضوع الشعر"[٤].

---

[١] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص٨٢، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص١٣٣.
[٢] القرطاجني، حازم, **منهاج البلغاء**، ص٢٦٦.
[٣] ابن طباطبا، **عيار الشعر**، ص٥.
[٤] أنيس، إبراهيم, **موسيقى الشعر**، ص١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و يكمن إبداع الشاعر في البحث عن موسيقا للقصيدة تتماشى مع الأفكار و تتجاوب نغماتها و نبراتها مع حالات النفس، فتساير النغمات حالات النفس كما تساير موضوع القصيدة و فكرتها[١]؛ لأن الموسيقا تمثل عنصراً أساسياً في عملية البناء الشعري.

و إني أميل إلى الرأي النقدي الذي يرفض العلاقة بين البحر و الحالة النفسية للشاعر؛ لأن البحر قالب مجرد يمكنه أن يستوعب ما شاء من انفعالات الشاعر، بدليل وجود قصائد في الرثاء نظمت على بحورها قصائد أضفي عليها المرح و السرور.

و بعد هذه المقدمة الضرورية عن علاقة الوزن الشعري بالحالة النفسية، أجيء بمثال يثبت انفصام العلاقة بين الوزن و الحالة النفسية للشاعر، يقول ابن عبد ربه:

متى أشفي غليلي بنيلٍ من بخيل
غزالٌ ليس لي منه سوى الحزنِ الطويل
حملتُ الضَّيمَ فيه من حسودٍ أو عذول[٢]

هذه القطعة من بحر الهزج، و هو من البحور القصيرة التي يفترض أن تستعمل في حالات الفرح و السرور، لكن لاحظت مسحة الحزن الواضحة التي تجلّت في الأبيات السابقة، و هذا الحزن كُشِفَ عنه من بعض الكلمات نفسها، وكذلك استعماله لحروف المد في أواخر الكلمات "أشفي، غليلي، بخيل" و هي تناسب حالة الحزن، كما علاقة الكلمات فيما بينها تجبرنا على التريث و عدم الإسراع في القراءة، فالكلمات فيها حزن صوتي.

و قد امتازت أغلب القصائد و المقطوعات في هذه الدراسة بوجود حس موسيقي يعلو فيها و ينخفض وفق مقتضى الحال، و لا سيما فيما يتعلق فيها بالفنون، فنرى من خلال البيت الآتي ابن عبد ربه يريد أن يتفوق على الاحتفال الموسيقي الذي يصفه في قصيدته التي مطلعها:

يا مجلساً أينعتْ منه أزاهرُهُ ينسيكَ أوّلَهُ في الحسنِ آخرُهُ[٣]

---

[١] الحوفي، أحمد، (١٩٧٢م). **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**. بيروت: دار القلم، ص١٩٦.
[٢] الثعالبي، **يتيمة الدهر**، ج٢، ص٨٧، **و ديوان ابن عبد ربه**، ص١٦٢.
[٣] **ديوان ابن عبد ربه**، ص ٧٤-٧٥. ابن عبد ربه، **العقد**، ج٦، ص٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

فمال ابن عبد ربه إلى البحر البسيط ليعطيه بتفعيلاته الرباعية فرصة إبراز موهبته و قدراته الشعرية في مجاراة ما يسمع و ما يرى.

و قد أدى ولع الشعراء بالمحسنات اللفظية في شعرهم إلى توليد موسيقا داخلية في النص تعزز جمال الإيقاع، و إن جاء على حساب المعنى في كثير من المقطوعات، و من ذلك قول ابن عبد ربه في خمرة و ساق:

بل رُبَّ مذهبَةِ المزاج و مُذهبٍ ... راحاً براحةِ ريمهِ و غزالهِ

و كأنّ كفَّ مديرها و مديره ... فلكٌ يدورُ بشمسه و هلالهِ[١]

كما ساعد تكرار بعض الحروف ذات الجرس الموسيقي على إغناء الإيقاع الشعري، و من أبرز الأمثلة على ذلك قول الرمادي في روضة:

للآس و السوسنِ و الياسمينِ الغضِّ و الخيريِّ فضلٌ شديد

سادتْ به الروضُ و من بينِها ... و بينَ فَضْلِ الوردِ بونٌ بعيد

هل لك في الآسِ سوى شمَّةٍ ... تطرحُهُ من بَعدِها في الوَقُود

و الوردُ إنْ يذبلْ ففي مائه ... نسيمُ ضمِّ الإلفِ بعدَ الصُّدود

و السوءُ في السوسنِ عامٌ و في ... ساعةِ سَوءٍ قد تُزارُ اللُّحود

و الياسمين الياس في بدئه ... فهو لمن يَطْمَعُ هَمٌّ عتيد

أخلَّ بالخيري خُلْقٌ كخُلْ ... قِ اللّص يستيقظ بَعْد الهجود

فتكرار حرف السين ذي الجرس الموسيقي الهادئ، أضفى دفعة موسيقية رقيقة واعية تناسب الحديث عن الرياض و الزهور.

و خلاصة القول أن الشعراء الأندلسيين نظموا فيما نظم فيه سابقوهم من الشعراء فاستطاعوا و بكل نجاح أن يوائموا بين الموسيقا لشعرهم و بين دواعي الحياة الأندلسية.

[١] ابن الكتاني، **التشبيهات**، ص٥٧، **ديوان ابن عبد ربه**، ص١٦١.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

و قد مر في الفصل الأول أن الأندلس قد شهدت تطوراً في الموسيقا على يد زرياب من خلال حفظه لمقطوعات شعرية غنائية مشرقية، كما عرفت الأندلس فن الموشحات كذلك في القرن لثالث الهجري[١]، إلا أنه لم تصل إلينا أي موشحةٍ من ذلك العصر لنتعرف من خلالها بدايات الخروج على عمود الشعر العربي في الإيقاع، و من المرجح أنه خروج جاء موافقاً لتطور الغناء و الموسيقا، و في بعض قصائد شعراء القرن الرابع و مقطوعاتهم ما يوحي بتأثر الشعر العمودي بموسيقا الموشحات دون اقتداء قالبها الشعري، و لاسيما عند هارون الرمادي، و ابن عبد ربه.

و يبدو لي في نهاية هذه الدراسة الفنية أن الشعر الأندلسي في عهد عبد الرحمن الناصر، اتكأ في كثير من أغراضه و أساليبه و لغته و صوره و إيقاعه على الشعر المشرقي، إلا أنه واكب التطور و الحضارة التي حلّت في الأندلس فبدأ الشعر في تلك المرحلة ينزع نحو الاستقلالية و بدأت حركة انفصاله عن المشرق، و ظهور الشخصية الأندلسية المميزة المتحررة المنطلقة اللاهية المحبة للطبيعة، و التي بدت واضحة في الأبيات الشعرية.

[١] هيكل، أحمد, **الأدب الأندلسي من الفتح إلى السقوط**، ص١٧٧.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

الخاتمة:

حاولت أن أتبين أنماط الشعر في بلاط عبد الرحمن الناصر، و قد توصلت إلى نتائج توزعت بين الفصول، و أعيد الآن ذكرها في النقاط التالية:

١. أظهرت الدراسة العوامل المؤثرة في الشعر في بلاط الناصر، و من أبرزها: رعاية الخليفة الكبيرة لنهضة الشعر، كما كشفت عن الثقافة التقليدية للشرق و أثرها في الشعر الأندلسي في تلك الفترة.

٢. أبرزت الدراسة عناية الخلفاء بتربية الأبناء على قول الشعر منذ نعومة أظفارهم، و هذا بدوره أبرز الاهتمام في الشعر الرسمي دون الشعر الشعبي.

٣. كشفت هذه الدراسة أن هذه المرحلة ــ مرحلة الناصر ــ لم تكن مرحلة ظلام أو فقر أدبي، فقد رأينا نماذج شعرية عالية المستوى متنوعة الأغراض عند الشعراء، رغم كثرة الحروب و تواليها.

٤. بلغ الأندلسيون من الحضارة مبلغاً رفيعاً، و تمتعوا بذوق حضاري رفيع، فضلاً عن أنهم كانوا مترفين، دفعهم هذا إلى التأنق في أحوال معيشتهم التي أثرت في قولهم الشعر.

٥. كشفت المضامين الشعرية التي تناولت حقبة الناصر عن عدد من السمات الحضارية، التي تتمتع بها في ظل تلك الحضارة، و من أهمها: الذوق، و الرقة، و التعلق بالحياة و مباهجها، و الفكاهة و الدعابة، و النزعة إلى التحرر و التغيير و التجديد، و البعد عن التكلف و التعقيد، و الاعتناء بالتفاصيل الدقيقة.

٦. كشفت الدراسة عن اتجاهات الشعر الذي تناولته، و بينت أنه توزع في اتجاهين: أحدهما تقليدي و الآخر محدث، و كان لكل منهما بواعثه و دواعيه، فالاتجاه التقليدي ردفته النماذج التراثية التي تدفقت على الأندلس من الشرق من طلاب اللغة و النحو و علوم الشرع إلى جانب الروافد المحلية. أما الاتجاه المحدث كان يسانده الجو الحضاري الصاخب الذي عرفته الأندلس، و تطور أذواق الناس فيها، و الطبيعة الساحرة التي خلبت النفوس بجمالها، بالإضافة إلى الحركة الشعرية المجددة في المشرق. إلا أن أياً من الاتجاهين لم يعرف شعراء منقطعين انقطاعاً مطلقاً، إنما كان بعض الشعراء يراوحون بين الاتجاهين.

٧. استفاد الشعر الأندلسي المحدث من الحركة المجددة في الأندلس، إلا أنه ظل شعراً أندلسياً له خصائصه و ميزاته التي استمدها من البيئة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

٨. كشفت الدراسة عن عمق الإحساس و صدقه و عمق التجربة في الشعر الوجداني.

٩. تأثرت لغة الغزل بالحياة الأندلسية المتحضرة، فاستلهمت منها صوراً و عبارات قد لا نجد مثيلاً لها في الغزل القديم، مع عدم تورع بعض الشعراء من ذكر مفاتن بصورة جريئة و صريحة.

١٠. كشفت الدراسة عن ميل شعر الهجاء إلى القصائد القصيرة و المقطوعات، كأن الشاعر أراد من تلك المقطوعات القصيرة بث الشحنة الانفعالية من نفسه بعبارات موجزة توصل إلى الهدف.

١١. كشفت الدراسة عن ارتباط الشعر الديني بالعمر، فمتى تقدم العمر بالشاعر تدارك نفسه و عاد إلى ورعه و التزامه، باثاً التمسك بالفضيلة و البعد عن الرذيلة.

١٢. كشفت الدراسة عن كثرة شعر الوصف مقارنة بالأغراض الأخرى، حيث مزج الشاعر في وصفه بين حبه للطبيعة و حبه للمرأة، فأضفوا عليها صفات الطبيعة، فوصفوها بالروضة و الجنة، و هذه الظاهرة أثر من آثار البيئة الأندلسية و طبيعتها الجميلة.

١٣. تعددت مجالات الصورة الفنية في هذا العصر، و تنوعت أساليبها، و تعددت ألوانها؛ و ذلك نابع من جمال البيئة، و قدرة الشعراء الخيالية، فاختار الشاعر صوراً بعضها مميز، و البعض الآخر تقليدي، إلا أنه أضفى عليها حيوية و ذكاءً، فأعاد صياغتها بشكل مبدع.

١٤. استغل الشعراء وسائل التصوير الفني، و خاصة الصور الحسية، و أنماط التصوير المجازي، و إن كانت معظم الصور قد أدت وظائفها عن طريق الإيماء و التشخيص، و المبالغة، و غير ذلك.

١٥. ظل الشعراء محافظين على بحور الشعر التي استخدمها فيها شعراء العرب منذ القديم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

المصادر و المراجع

أولاً- المصادر المطبوعة:

- القرآن الكريم.

- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي, (ت٦٥٨هـ). **الحلة السيراء**, ط٢، (تحقيق حسين مؤنس)، دار المعارف، القاهرة, ١٩٨٥م.

- الأصفهاني، أبو الفرج، (ت٣٥٦هـ) **كتاب الأغاني**، دار إحياء التراث العربي، بيروت, ١٩٥٥م.

- الأندلسي، صاعد بن أحمد الأندلسيَ, (ت٤٦٢هـ). **كتاب طبقات الأمم**، نشره: الأب لويس شيخو اليسوعيَ, المطبعة الكاثوليكية, بيروت, ١٩١٢م.

- ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال, (ت٥٧٨هـ). **كتاب الصلة**، ط١، ٣مج، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، الدار المصرية للتأليف، القاهرة, ١٩٨٩م.

- الثعالبي، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري (ت٤٢٩هـ). **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، ٥مج، (تحقيق مفيد محمد قميحة)، دارالكتب العلمية، بيروت،١٩٨٣م.

- ابن جعفر، قدامة, **نقد الشعر**،(تحقيق محمد منون)، القاهرة، د.ت.

- الجمحي, ابن سلاّم، (ت٢٣١هـ). **طبقات فحول الشعراء**، (تحقيق محمود شاكر)، دارالمعارف, مصر, د.ت.

- ابن حزم، ابو محمد علي بن أحمد بن حزم, (ت٤٥٦هـ). **رسائل ابن حزم**، ط٢، ٢مج، (تحقيق إحسان عباس)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت, ١٩٨٧م.

- الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**, ط١، (تحقيق إحسان عباس)، دار الغرب الإسلامي، (١٩٩٧م) .

- الحموي، ياقوت، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الأزديَ, (ت ٤٨٨هـ). **جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس**, الدارالمصرية للتأليف والنشر، ١٩٦٦م.

- الحميريَ، أبو الوليد سعيد بن محمد, (ت٤٤٠هـ). **البديع في وصف الربيع**، ط١, (تحقيق علي الكردي), دار سعد الدين, دمشق, ١٩٩٧م.

- الحميري، محمد بن عبد المنعم، (ت٩٠٠هـ). **الروض المعطار في خبر الأقطار**, (تحقيق إحسان عباس)، مكتبة لبنان، بيروت, ١٩٧٥م.

- ابن خلدون, عبد الرحمن بن محمد بن خلدون الحضرمي, (ت٨٠٨هـ). **مقدمة ابن خلدون**, ٢مج، دار الكتاب المصري، القاهرة، ١٩٩٩م.

- الرشاطي، أبو محمد, (ت٥٤٢هـ) و الإشبيلي, ابن الخراط (ت٥٨١ هـ). **الأندلس في اقتباس الأنوار و في اختصار اقتباس الأنوار**, (تقديم وتحقيق إيميليو مولينا) وخاثينتوبوسك بيلا)، معهد التعاون مع العالم العربي, مدريد, المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، ١٩٩٠م.

- ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥هـ). **رآيات المبرزين وغايات المميزين**. (تحقيق محمد رضوان الدايه)، دمشق: دار طوس للدراسات والترجمة والنشر، ١٩٨٧م.

- ابن سعيد الأندلسي، علي بن موسى (ت٦٨٥هـ). **المُغرب في حلى المغرب**، (تحقيق شوقي ضيف)، دار المعارف, القاهرة, ١٩٦٤م.

- الشنتريني، ابن بسام أبو الحسن علي, (ت٥٤٢هـ). **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**, (تحقيق إحسان عباس)، دار الثقافة، بيروت, ١٩٧٨-١٩٧٩م.

- الضبي، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة, (ت٥٩٩هـ). **بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس**، (تحقيق إبراهيم الأبياري)، دار الكتاب المصري، القاهرة, ١٩٨٩م.

- ابن طباطبا، محمد بن أحمد،(٣٢٢هـ). **عيار الشعر**، (تحقيق طه الحاجري ومحمد زغلول)، دار المعارف, القاهرة، ١٩٥٦م.

- ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي, (ت٣٢٨هـ). **العقد الفريد**، ٦مج، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- ابن عِذاريّ، أحمد بن محمد بن عذاريَ المراكشي, (ت٦٩٥هـ), **كتاب البيان المُغرب في أخبار الأندلس و المغرب**, (تحقيق إ.ليفي بروفنسال)، دار الثقافة, بيروت, ١٩٩٥م.

- العسكري، أبو هلال، (٣٩٥هـ). **ديوان المعاني**, مكتبة القدسي، القاهرة, مصر، ١٣٥٢هـ.

- العسكري, أبو هلال، (٣٩٥هـ). **كتاب الصناعتين: الكتابة و الشعر**, (تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم)، المكتبة العصرية، بيروت, ١٩٨٦م.

- الفتح ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسي الإشبيلي, (ت٤٢٩هـ). **مطمع الأنفس و مسرح التأنس في ملح أهل الأندلس**, ط١، (تحقيق محمد علي شوابكة)، دار عمان ومؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣م.

- ابن الفرضي، أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزديَ الحافظ, (ت٤٠٣هـ). **تاريخ علماء الأندلس**، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة, ١٩٦٦م.

- القرطاجني, أبو الحسن حازم بن محمد، (ت٦٠٨هـ). **منهاج البلغاء و سراج الأدباء**، (تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة), دارالكتب الشرقية، تونس, ١٩٦٦م.

- القرطبي، ابن حيان أبو مروان, (ت٤٦٩هـ)، **المقتبس في أخبار بلد الأندلس**، (نشره: ب. شالميتا، و ف.كورينطي), م.صبح، المعهد الإسباني العربي للثقافة مدريد وكلية الآداب, الرباط, ١٩٧٩م.

- القرطبي, أبو عمر يوسف بن عبد الله القرطبي، (ت٤٦٣هـ), **بهجة المجالس و شحذ الذاهن و الهاجس**, (تحقيق محمد مرسي الخولي)، دار الكتاب العربي، القاهرة, ١٩٨١م.

- القرطبي، ابن القوطية، (د.ت), **تاريخ افتتاح الأندلس**, (تحقيق عبد الله أنيس الطباع)، دار النشر للجامعيين، بيروت, ١٩٥٨م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الأنصاري, (ت٦٨٢هـ), **آثار البلاد و أخبار العباد**, دار صادر, بيروت, ١٩٩٨م.

- القيرواني, أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني, (ت٤٦٣هـ), **العمدة في محاسن الشعر و آدابه**، ط١، (تحقيق محمد قرقزان)، دار المعارف، بيروت، ١٩٨٢م.

- ابن الكتاني، أبو عبد الله بن محمد بن الطبيب (ت٤٢٠هـ). **كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**, ط٢، (تحقيق إحسان عباس)، دار الشروق، بيروت, ١٩٨٦م.

- الكلبي، ابن دحية (ت٦٣٣هـ). **المطرب في أشعار أهل المغرب**, (تحقيق إبراهيم الأبياري، و حامد عبد الكريم، و أحمد بدوي، و راجعه طه حسين)، مطبعة الأميرية، القاهرة, ١٩٥٤م.

- المراكشي، أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي، (د.ت)**. الذيل و التكملة لكتابي الموصول و الصلة**، (تحقيق محمد بن شريفة)، دار الثقافة، بيروت،١٩٨٠م.

- المراكشي، محي الدين عبد الواحد، (د.ت). **المُعْجب في تلخيص أخبار الأندلس و المغرب**، المطبعة الجمالية، القاهرة, ١٩١٤م.

- المقدسي، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد البناء, (ت٣٨٠هـ). **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**, ط٢, لندن, ١٠٩٤م.

- المَقَّري، أحمد بن محمد التلمساني، (ت١٠٤١هـ). **أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض**, (تحقيق مصطفى السقا و إبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي)، صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة, الرباط, ١٩٧٨م.

- المَقَّري، أحمد بن محمد التلمساني، (ت١٠٤١هـ). **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**, ٨مج، (تحقيق إحسان عباس)، دار صادر, بيروت, ١٩٨٦م.

- المقري، أحمد بن محمد التلمساني, (ت١٠٤١هـ). **نفح الطيبب من غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب**, ٢مج، (تحقيق مريم قاسم الطويل ويوسف الطويل)، دارالكتب العلمية، بيروت, ١٩٩٥م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- المقّري, أحمد بن محمد التلمساني، (ت١٠٤١هـ). **المصباح المنير**، مكتبة لبنان ناشرون, بيروت, ١٩٨٧م.

- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن منظور الإفريقي المصري، (ت٧١١هـ). **لسان العرب**, دار صادر، بيروت، ٢٠٠٤م.

- مؤلف مجهول، **تاريخ عبد الرحمن الناصر**, (تحقيق ليفي بروفنسال، واميليوغرسيه غومس)، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية, مدريد، غرناطة, ١٩٥٠م.

- النووي، الإمام محيي الدين, (ت٦٥١هـ). **صحيح مسلم**, ط٣، (تحقيق الشيخ خليل شيحا), دار المعرفة, لبنان, ١٩٩٤م.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

ثانيا: المراجع:

- اسماعيل، عز الدين, (١٩٧٣م). **الأدب و فنونه**. ط٥، القاهرة: دار الفكر.
- اسماعيل، عز الدين, (١٩٧٤م). **الأسس الجمالية في النقد العربي**. ط٣، دمشق: دار الفكر العربي.
- أمين، أحمد، (د.ت). **ظهر الإسلام**. ط٣، بيروت: دار الكتاب العربي.
- أنيس، إبراهيم, (١٩٥٥م). **موسيقى الشعر**. القاهرة: دار الفكر.
- الأهواني، عبد العزيز, (١٩٦٢م). **ابن سناء الملك و مشكلة العقم و الابتكار في الشعر**. القاهرة: مطبعة الأنجلو المصرية.
- الأوسي، حكمة علي ، (١٩٧٧م). **فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني و الثالث الهجري**. القاهرة: مكتبة الخانجي.
- بالنثيا، أنخل جنثالث، (١٩٥٥م). **تاريخ الفكر الأندلسي**. ترجمة حسين مؤنس، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- البستاني، بطرس، (١٩٦٨م). **أدباء العرب في الأندلس و عصر الانبعاث**. ط٦، بيروت: دار النهضة العربية.
- التبريزي، الخطيب، (١٩٩٧م). **شرح المعلقات العشر**، تحقيق فخر الدين قباوة، دمشق، سوريا: دار الفكر.
- جرّار، صلاح، (٢٠٠٣م). **صلاة في أروقة الزهراء (قراءة في المشهد الحضاري الأندلسي)**. عمان: أمانة عمان الكبرى.
- جرّار، صلاح، (٢٠٠٧م). **قراءات في الشعر الأندلسي**. عمَان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- جرّار، ماهر، (١٩٨٠م). **شعر الرمادي (شاعر الأندلس في القرن الرابع الهجري)**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

- الجيوسي، سلمى الخضرا, (١٩٨٨م). **الحضارة العربية الإسلامية**. ط١، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

- الجيوسي، سلمى الخضرا, (١٩٨٨م) **الشعر الأندلسي ــ العصر الذهبي**، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة كتاب, الحضارة العربية في الأندلس.

- حسين، محمد أحمد، (د.ت)، **الهجاء و الهجاؤون في الجاهلية**. مصر: المطبعة النموذجية.

- الحوفي، أحمد، (١٩٧٢م). **الحياة العربية من الشعر الجاهلي**. بيروت: دار القلم.

- الحوفي, أحمد، (١٩٦١م). **الغزل في العصر الجاهلي**. بيروت: دار القلم.

- الدجاني، بسمة صدقي، (١٩٩٤م). **القصيدة العربية الأندلسية الغزلية**. القاهرة: دار المستقبل العربي.

- درو، اليزابيث, (١٩٦١م). **الشعر كيف نفهمه و نتذوقه**. ترجمة محمد إبراهيم الشوش، بيروت.

- الداية، محمد رضوان، (١٩٧٩م). **ديوان ابن عبد ربه**. بيروت: مؤسسة الرسالة.

- الرباعي، عبد القادر، (١٩٨٤م). **الصورة الفنية في شعر زهير بن أبي سلمى**، الرياض: دار العلوم.

- الرباعي، عبد القادر، (١٩٩٥م). **الصورة الفنية في النقد الشعري**. ط٢، إربد: مكتبة الكتاني.

- الرّكابي، جودت، (١٩٦٠م). **في الأدب الأندلسي**، مصر: دار المعارف.

- رينيه ويلك، و استن وايرن، (١٩٨٧م). **نظرية الأدب**، ترجمة: محيي الدين صبحي. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.

- زيدان، جرجي، **عبد الرحمن الناصر (دراسة ونصوص)**. بيروت: دار المفيد في عالم الثقافة.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- سلام، محمد زغلول, (١٩٨١م). **النقد ألأدبي الحديث**، الإسكندرية: منشأة المعارف.

- الشايب، أحمد, (١٩٧٣م). **أصول النقد الأدبي**، ط٨، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

- شاك، فون، البارون، (١٩٩١م). **الشعر العربي في إسبانيا و صقلية**. ٢مج، ترجمة الطاهر مكي، مصر: دار المعارف.

- الشكعة، مصطفى، (١٩٩٧م). **الأدب الأندلسي موضوعاته و فنونه**. ط٩، بيروت: دار العلم للملايين.

- ضيف، شوقي, (١٩٦٠م). **الفن ومذاهبه في الشعر العربي**. ط٦، مصر: دار المعارف.

- الطباع، عمر فاروق، (١٩٩٤). **ديوان ابن خفاجة**. بيروت: دار القلم.

- طه، نعمان محمد أمين، (١٩٨٧م). **ديوان الحطيئة**. شرح ابن السكيت, (١٨٦-٢٤٦هـ)، القاهرة: مكتبة الخانجي.

- عباس، إحسان, (١٩٨٥م). **تاريخ الأدب الأندلسي/ عصر سيادة قرطبة**. ط٧، بيروت: دار الثقافة.

- عباس، إحسان, (١٩٨٧م). **فن الشعر**. ط٣، بيروت: دار الشروق.

- عبد الرحمن، نصرت، (١٩٨٢م). **الصورة الفنية في الشعر الجاهلي**. ط٢، عمّان: مكتبة الأقصى.

- عيسى، فوزي، (د.ت). **الهجاء في الأدب الأندلسي** . مصر: دار المعارف.

- غريب، جورج، (١٩٧٥). **الغزل: تاريخه و أعلامه**، ط٣، بيروت: دار الثقافة.

- غومس, غرسيه, (١٩٦٥م). **الشعر الأندلسي: بحث في تطوره و خصائصه**. ط٢، ترجمة حسين مؤنس، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

- فرهود، أحمد عبد الله, (١٩٩٩م). **عنترة بن شداد العبسي, ديوان شعر**. شرح عبد القادر مايو, حلب: دار القلم.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

- فك، يوهان، (١٩٥١م). **العربية**، ترجمة: عبد الحليم النجار، القاهرة: مكتبة الخانجي.

- كرد، محمد علي، (١٩٣٤م). **الإسلام و الحضارة العربية**. القاهرة: مطبعة دار الكتب.

- مؤنس، حسين، (١٩٦٣م). **رحلة الأندلس حديث الفردوس الموعود**. القاهرة: الشركة العربية للطباعة و النشر.

- ناصف، مصطفى، (١٩٨٣م). **دراسة الأدب العربي**، ط٣، بيروت: دار الأندلس.

- ناصف, مصطفى، (١٩٨١م). **الصورة الأدبية**، ط٢, بيروت: دار الأندلس.

- نافع، محمود، (١٩٩٠م). **اتجاهات الشعر الأندلسي حتى نهاية القرن الثالث الهجري**. بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.

- النعيمي، أحمد، (١٩٥٠م). **تاريخ الشعر حتى نهاية أواخر القرن الثالث الهجري**. القاهرة: دار الكتب المصرية.

- النوش، حسن, (١٩٩٢م). **التصوير الفني للحياة الاجتماعية في الشعر الأندلسي**، بيروت: دار الجيل.

- هيكل، أحمد، (١٩٧٩م). **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة**. ط٧، مصر: دار المعارف.

ثالثاً: الرسائل الجامعية

- العلي, فريال, (٢٠٠٢), **معالم الحضارة في الشعر الأندلسي, عصر بني أمية**, رسالة دكتوراة غير منشورة, الجامعة الأردنية, عمان, الأردن.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit

POETRY IN THE COURT OF A'BD-EL-RAHMAN AL-NASER

By
Suzan A. Al-Holy

Supervisor
Prof. Salah M. Jarrar

ABSTRACT

This thesis aims to study the poetry in the court of A'bd-el-Rahmăn Al-Năser, especially the types of poetry that predominated in his era (٣٠٠-٣٥٠ A.H).

This study investigated the factors that influenced the literature in the era of A'bd-el-Rahmăn Al-Năser including political, social, cultural, and economical factors. The study revealed the significant role that the women played in the literature. Additionally, it focused on the types of poetry in the era of Al-Năser, and those included heroic poetry (battles description, praising of Al-Năser, and victory congratulations), brotherhood poetry (poetry correspondences, and satire), sentimental poetry (love poetry, elegiac and pride), religious poetry (prudence), and the poetry of describing the environment of Al-Andalus (description of nature, fruits, gardens, palaces, pigeons and their cooing, and tools). This study also demonstrated the technical characteristics of poetry in terms of language, vision, imagination, rhyme and music.

Additionally, the study revealed the significant role that Al-Năser played in the development of poetry. Also, it demonstrated the remarkable impact of the traditional eastern culture on the poetry in Al-Năser era. Moreover, despite the wars and the frequent battles that characterized that era, it was thriving with different poetry types and patterns. Also, the poetry in that era was characterized by thorough and honest emotions in the sentimental poetry, especially the love poetry, which was greatly influenced by the beauty of the nature and the civilized life of Al-Andalus that inspired poets by imagination and expressions that we seldom find in the old love poetry.

All Rights Reserved - Library of University of Jordan - Center of Thesis Deposit